عبد الرحيم مطلق قابل الأحمدي

من مرويات ابن قابل

محمد سعيد بن قاسي بن قابل الأحمدي



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

ح دار المفردات للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأحمدي ، عبدالرحمن مطلق كامل

من مرويات ابن قابل - الرياض.

... ص ؛ .. سم

ردمك ٩ - ٧ - ٩٠٦٧ - ٩٩٦٠

١ - الشعر الشعبي السعودي أ - العنوان

ديوي ٨١١,٠٩٥٥٣١ ١٨/٢٤٩٩

رقم الإيداع : ١٨/٢٤٩٩
ردمك : ٩ - ٧ - ٩٠٦٧ - ٩٩٦٠

دار المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية،

ص.ب : ٧٠٣ / الرمز البريدي : ١١٤٢١

هاتف : ٤٨٢٤١٠٦ - ٤٨٢٤٦١٧ / فاكس ٤٨٢٤٦١٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهــداء..

إلى بلادي المملكة العربية السعودية

وإلى أبنائها الذين شهدوا هذه الوحدة الوطنية وتفيأوا ظلالها أمنا واستقرارا وحضارة.

لعلهم يجدون في هذه المرويات من صور الحياة في الماضي ومعاناة الأجداد مثلا وعبرة.

فما أحرانا بأن نشكر الله تعالى على هذه الوحدة وما صاحبها من خير عميم، وعلى الهامه مؤسس هذا الكيان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله ومن جاء بعده من أبنائه سبل الرشاد، حتى تحقق على أيديهم ما انتقل بالبلاد من حالة الخوف والتمزق والتخلف إلى حالة رائدة من الأمن والنماء والعزة والكرامة.

ولنبتهل إلى الله تعالى بأن يغفر لمن لقي منهم ربه، وأن يهب القائمين منهم على أمر قيادة البلاد العون والتوفيق.

المحتويات

الباب الثاني

الباب الثالث

مقدمة



هذا كتاب يضم تراثاً أدبياً واجتماعياً، إنه ديوان لحقبة زمنية لم تتناولها الأقلام ولا الدراسات الجادة، غير ما جاء في كتب الرحلات من انطباعات ولمحات خاطفة، لم تتجاوز معابر القوافل ومحطاتها ولم تكن ذات شمولية في نقلها للواقع الذي كانت عليه الحياة في الماضي.

تلك الفترة المضطربة في البعد بداية، والمنتهية بإطلالة عهد جديد أعاد للحياة روحها وإشراقها، وللمجتمع طمأنينته واستقراره، إنه مولد المملكة العربية السعودية، بزعامة وقيادة مؤسسها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يرحمه الله.

أما عن الراوية في هذا الكتاب فهو محمد سعيد بن قاسي بن قابل الأحمدي، أحد رجالات الأحامدة المعروفين، الذين شاركوا في معالجة قضايا القبيلة منذ نعومة أظفارهم، واكتسبوا تقدير واحترام رؤسائها وأبنائها، وهو من أبناء مكة المكرمة البررة، حيث أمضى بها الجزء الأكبر من حياته، وعمل في مؤسساتها الإدارية بدءاً من رئيس فرقة عمال في مصلحة الطرق حوالي عام ١٣٦٢ هـ فوزارة الصحة وانتهاء بالعمل في إمارة مكة المكرمة ، وهو بذلك يكون من الذين شهدوا عهود العسر ومرارة الحياة وأدركوا اليسر في ظلال العصر الذهبي لهذه البلاد، أمد الله في عمره ومتعه بالصحة وأدام لهذه البلاد عزّها.

وكان من الذين شاركوا اجتماعياً في كثير من لجان الاصلاح وحل المنازعات التي تشكلها الحكومة أو التي تقوم بمبادرات أهلية، وقد أضافت حكمته وفراسته ولباقته وثقة الناس فيه إلى هذه اللجان كثيراً من أسباب نجاحها.

وكان له من الأعمال الإنسانية والمواقف الرجولية ما أهله مكانة رفيعة، وأكسبه سمعة سامية، فمثلما كانت داره مضافة الحي ومنتداه كانت أيضاً محط أنظار ذوي الحاجات والمعاناة من المشكلات، الذين تلفظ همومهم أنفاسها حين يمسك القلم ليكتب توصية، أو تدير أنامله أرقام الهاتف، أو يخرج محفظة نقوده، أو ينادي أحد أبنائه، أو يردد آية أو حديثاً أو بيتاً من الشعر، فينزل ذلك من أفئدة ذوي الهموم منزل السكينة من الخوف، واليقين بزوال الغمة.

ولئن كان مرحاً ولين الجانب فهو شديد التمسك بالقيم الاجتماعية والعادات الأصيلة، ولا يقبل المساومة في التحلل منها، ولئن وصل ذلك إلى حد القسوة في التوجيه والتربية، إلا أنه يضطر وعلى مضض للاستسلام لنفوذ العصر وسلطته، متخذاً من القرآن والحديث والشعر متنفساً لمعاناته.

وكان مجلسه ومايزال ملتقى الأصدقاء، ومنتدى أدبياً لعشاق الرواية الشعبية والشعر، وكان لذاكرته الوقادة واهتمامه واصغائه إلى جلسائه وحبه للقراءة وتعلقه بالأدب وأخبار الرجال معين على تكوين ذخيرة من المرويات التي رافقته منذ صغره والتي نتناول طرفا منها في هذا الكتاب.

وقد ولد «ابن قابل» عام ١٣٢٧ هـ في «طاشا» أحد الأودية التي تفيض في «وادي الصفراء» وتبعد عن المدينة المنورة مائة ميل غربا.

والذين يعرفون «ابن قابل» يدركون قصور هذه المقدمة عن التعريف به، ولعلنا نفي بذلك في الدراسة التي نعدها عن ديوان شعره.

أما عن المرويات فهي مزيج من القصص الواقعية، والقطوف الأدبية، والمواقف الإنسانية، والأخبار الطريفة والنوادر، إلى غير ذلك من موضوعات الحياة

الاجتماعية، قيمها ونظمها وتقاليدها وأعرافها، والعلاقات التي تقوم بين أفراد المجتمع الواحد بخاصة والمجتمعات المجاورة له بعامة.

ولقد كانت هذه المرويات عطر المجالس في الماضي، و صحافتها ومذياعها وقنواتها الفضائية، فمجلس «ابن قابل» مازال يضفي على جلاسه ضياء من ثقافة الماضي وأخباره، ويجذب إليه أفئدة كثيرة من عشاق التراث وحفظته، وكم أثارت ملكة «ابن قابل» الدهشة لدى العديد من النابهين الذين جمعتهم به مجالس أو رحلات، والذين كم تمنوا ان تدون هذه المرويات في كتاب يستمتع به القارىء في وحدته ويستفيد منه الباحث في دراساته.

وتكتسب هذه المرويات أهميتها من عدة جوانب، لعل من أهمها نقل صورة عن واقع اجتماعي يجهله كثير من المعاصرين، ولهذه المعرفة أهمية اجتماعية وتأريخية وتربوية وفكرية، كما أن هذه المرويات تحتوي على ذخيرة ابداعية في الأدب والفكر والسياسة تشكل تراثاً ذا دلالة على فكر وابداع ومعاناة مجتمع بدوي كثيراً ما ينعت بالبدائية والتخلف وضآلة الفكر، وربما وجد الباحثون في هذه المرويات مجالاً للدراسة والبحث، ينفذون من خلاله إلى الكشف عن حقائق مجهولة، واستلهام أفكار لم تخطر على ذهن المؤلف.

وأخيراً فإن المؤلف يعد هذه المرويات اسهاماً في جمع الموروث الشعبي الذي يحفظ في صدور الرجال الذين سرت إلى ذاكرتهم سحائب النسيان، أو الذين غادروا الساحة إلى خير منها.

أما عن المجال الزمني لحدوث هذه المرويات فمنها ما نقله الراوية في شبابه عن السابقين ولم يشهد حدوثه، ومنها ما كان الراوية طرفا فيه أو وقع في زمنه،

ومنها ما نقله الراوية فيما بعد عن المجالس التي حضرها، وإنك لو استمعت إليه وهو يرويها شفاهة لعشت قريباً من الظروف التي أنشأتها والأجواء والمرابع التي تحرك في ميادينها أبطال هذه المرويات، وستعرف كم يسلب التدوين مثل هذه المرويات شيئاً من حيويتها وجمالها.

أما عن المنهج الذي اتبعته في كتابة هذه المرويات، والمعالجة الصياغية لها، فلقد كان البدء نقلاً شفهياً، ونشراً حيث ظهرت بعض هذه المرويات في مقالات في الصحافة المحلية، وعندما اعتزمت إصدارها في كتاب عمدت إلى التسجيل الصوتي، فاجتمع لدي عدد وفير من «المرويات»، فأخضعتها للمقارنة بروايات أخرى، وبعد ذلك تم اختيار المرويات المدونة في هذا الجزء، مؤملاً إصدار البقية وما يجد منها في جزء آخر.

ولا أفشي سراً إذا قلت إنني قد عمدت إلى شيء من التصرف والمعالجة غير المخلين بالمضمون عند صياغة الأحداث التي تتصل بالمناوشات والاعتداءات، وما يصاحبها من أشعار الفخر والإقلال من مكانة الآخرين ،فهذه نتاج فترة زمنية مضطربة سادتها الفوضى وسيطرة القوى، لانفراط زمام الأمور وتحكم الجهل والجوع في سلوك الناس، وحياة تخضع لهذه الظروف لا بد وان يكون نتاجها موافقاً لطبيعتها، وقد خشيت ان يتخذ الأحداث من تلك الأشعار والمواقف مجالاً للإثارة والسخرية فيشوبون صفاء التآلف الذي تحياه مجتمعاتنا بأحداث لو كان أبطالها بيننا اليوم لما كفوا عن الدعاء والابتهال إلى الله بأن يرحم السابقين ويغفر لهم، ولتوجهوا إليه تعالى شاكرين على ما حبا مجتمعاتهم من أمن واستقرار وخير وفير كفاهم مغبات تكبد الصراع الذي كان عليه الأجداد.

هذا وأحب ان أنوه بأنني لم أعمد إلى توثيق أكثر أحداث هذا الكتاب تأريخاً ومكاناً وأناساً، باعتبار ان طبيعته اجتماعية أدبية، وان التوثيق قد لا يخدم أهداف الكتاب في بعض موضوعاته.

وختاماً لقد حاولت جاداً ان أحسن هذا العمل فلعلي وفقت إلى ذلك، ولا يلام المرء بعد الاجتهاد، والحمد لله رب العالمين.

المؤلــف

الباب الأول
الحياة الاجتماعية

يتناول هذا الباب الموضوعات التي تدور حول الحياة الاجتماعية من علاقات إنسانية، ومعاناة معاشية ووجدانية، ومن جود وشح وتربية وشجاعة ومواسم ومناسبات اجتماعية وإقامة وارتحال ،وغير ذلك من الموضوعات التي تتصل بحياة الناس.

ومعظم هذه الأحداث مخاض فترة زمنية كانت الحياة فيها تنتعش بهطول الأمطار وتكفهر عند احتجابها، فتظل الأعين معلقة بسحابة عابرة فتتبعها أين أمطرت، وربما قادتها هذه الرحلة إلى مهلكة، مما جعل الناس ينحسرون إلى ديارهم لمواجهة همومهم ومواجعهم بالاستسلام حينا وبالتمرد حينا آخر، وحسبك ما تجلبه حياة قلقة من صراع ومعاناة.

ولن نطلق حكما جائراً على ذلك الزمن، فالمرويات تزودنا بصور اجتماعية لمواقف إنسانية مواسية، وأخرى جائرة، وللسخرية والترفيه عن النفس بين ذلك صور أخرى.

المواسم والشعر

١

كانت ولم تزل مواسم الحج والزيارة تمد الشعراء بمثريات الشعر، فهي تتيح لهم اللقاء بعيداً عن الارتباطات الأسرية، وتهيىء لهم مناخاً شاعرياً يتبادلون في مجاله ما تجود به قرائحهم من إبداع، وإذا قدم شعراء البادية إلى هذه المواسم فهم إما أن يكونوا حجاجا أو متكسبين يبحثون عن مصادر الرزق كالعمل لدى المطوفين أو في التجارة، أو يعملون في نقل الحجاج على إبلهم في المشاعر المقدسة وبين مكة والمدينة وجدة وينبع، وهي رحلة ممتعة يحلو فيها الشعر غزلاً كان أو مداعبات أو تعبيراً عن معاناة، ولا يستبعد أن يكون بين الحجاج من يشاركهم الإبداع إنشاءً أو تذوقاً، وهؤلاء الشعراء القادمون من البوادي يجذبهم لباس نساء الحجاج وجمالهن وترفهن، مثلما يجدون في نساء الحاضرة من ترف ونضارة، ومن حصاد مثل هذه المواسم في المداعبات والإبداع الخيالي أن جماعة من أصحاب الإبل تجمعوا في إحدى المحطات يتسامرون وقد هجع الحجاج كل في ركابه، فقال الشاعر مرشد بن راشد الأحمدي يفتخر :

حنّا رمـيْـنا الذيب مـا اخْطَينا   من راس «عاصِر» «للسباعية»(١)

وأجابه مطلق بن قابل الأحمدي مفاخراً أيضاً :

حنا وردنا البـحـر وارْوَيْنا   وبْدَار نصّ الربْع مطْويّة(٢)

فأجابه مرشد معجزاً :

مع ثقب الابرة ملْطوا بينا   وايضاً معه ركب وطرقيّة(٣)

---

١ - عاصر والسباعية موقعان يبعد كل منهما عن الآخر مسافة بعيدة لا يمكن معها تحقيق اصابة الهدف حسب ادعاء الشاعر.

٢ - بدار : جميع بدرة وعاء من جلد الماعز لحمل الماء وحفظه.

٣ - بينة : جبل في ديار الاحامدة ذكره كثير عزة في شعره. ملطوا : مرروا. ركب : عدد كبير من الناس وركابهم. طرقية : مشاة.

فأجابة مطلق :

حنا حـــمـــسْنا البن في ايدينا ماعقّبتْ فيها السحومية(١)

ثم تدخل آخر وقال :

حنا نمسّ الشـــمس بايدينا وان قمت غير اكُفْ رجليه(٢)

وكان يجلس معهم احد الحجاج المغاربة فقال لهم : ما هذا الكلام؟ فأجابوه : هذا شعر، قال إذا أحب المشاركة. فرحبوا بمشاركته، فقال :

نحن اولاد الغرب ما نعرف نكذبا نحـمّل البـرغـوث ميّـة اردبا
ونعلّق القـصْـعـة وفـوقـه نركـبـا

فضحك الجميع لهذه المبالغات التي يفاخر بها كل منهم ليعبر عن تفوق جماعته في الانجاز وكل ذلك تسلية ودعابة.

* * * *

٢

أما في مجال الغزل فإن الشاعر علي بن غنمي الأحمدي شاهد فتاة جميلة تلقى اهتماماً من المطوف وهو المسؤول الأول عنها منذ قدومها للحج فالزيارة فالعودة إلى بلادها، ويشاركه الاهتمام المزوّر وهو الذي يتولى ارشادها أثناء زيارة مسجد الرسول ﷺ ومعالم المدينة المنورة، أما الشاعر فليس له إلا ان يرى تسابقهما في خدمة الفتاة وتفانيهما في تيسير أمور رحلتها وقضاء حاجاتها، والشاعر بين قومه له مكانة ربما تفوق مكانة هذين الرجلين بين قومهما ولكنه في هذا الموقف غريب ليس له إلا ان يقول :

قلت اه من وَنّتي لجّت كما الحمر المواليف الليلة امسيتْ يا طَرْقَ الهوى فيه ممْور(٣)

أمسيت في ديرة اللى ما يعرفون المعاريف واحالي اللى غدَتْ بين المطوف والمزور(٤)

---

١ - عقبت : تركت اثراً. السحومية : السواد الذي يتركه الدخان والنار في أدوات تحميص البن.

٢ - اكف : أثني.

٣ - لجت : من اللجاجة. الحمر المواليف : الابل المتآلفة. طرق : أثر. ممور : مظهر امارة وعلامة.

٤ - المعاريف : الاعراف والمعروف. المزور : الذي يتولى الارشاد في الزيارة.

ويذكر ان الفتاة اجابته قائلة :

والله لولا الحيا واخاف من بعض الصواديف	لاسْقيك شربة تِرِشْ الكبْد ماها ما يعوِر(١)
اسقيك من ماكرة ما صافقوها بالمغاريف	وما سبروها الورود ولا عثْر فيها المدور(٢)

ويبدو ان هذا الرد من تصورات الشاعر نفسه وخيالاته، أو ان أحد الشعراء الآخرين شاركه الظن فأجاب عن الفتاة، فمن أين لهذه الفتاة إن كانت من الحجاج أو من أهل مدن الحجاز في ذلك الزمن الذي يندر فيه اختلاط البدو بالحاضرة من أين لها عبارة «ترش الكبد» أو «ماكرة» أو «صافقوها» أو «سبروها» و«المدور»، وعلى أية حال لا تخلو هذه الحادثة من الطرافة.

* * * *

٣

ومن القصائد الطويلة التي تعبر عن تجربة الشاعر في الموسم قصيدة من المجالسي للشاعر محمد عاتق بن عبيد بن نصار الحازمي الذي يصور لنا مجلساً فنياً في مجتمع حضري. يضيف إليه من الصور المتخيلة مالا يصدقه كثير من الناس، ثم يصف محاسن فتاة ميمنية من الهند ولاشك أن ذلك من خيال الشعراء وتصوراتهم، فهم يقولون ما لايفعلون وينسجون من الخيال ما ليس له وجود في الواقع، وينقلنا في الختام من ذلك المجلس إلى ماهو أجمل وأبر، وفيما يلي نص القصيدة :

قال المعني حجّنا العام قد شاف	ياجملة الاسلام من بعض الاسلاف
ياشفْتْ لي مخلوق يسعى بعد طاف	بالعون انا يا الرِّبع ماشفت حلياه

* * * *

لا هو طويل ولا بعنقه قصير	ناعم يشادي للقطن والحرير
لو خيروني الملك والا استخبر	لاختار هذا الشخص والملك انساه

١ - الصواديف : المصادفات والصدف. ترش الكبد : تطفيء حرارتها. يعور : يؤلم.

٢ - ماكرة : ركوة أو مستنقع في الصخر يجتمع فيه الماء من النضح بعيدة عن متناول الايدي ونظيفة لخلوها من الأتربة والعوالق.
صافقوها : كثر ورادها واغتراف الماء منها بأواني متعددة.
سبروها : اكتشفوها. المدور : الباحث عن الماء وغيره.

كامل مكمّل من جميع اللبوس	نصيح جسمه ما مضت له حسوس «١»
مرتاح قلبه ما تجيه الهجوس	عاقل في مشيه ما ادبه زين ممشاه

* * * *

سبعة معاني شفتهن حيّرني	واحتار عقلي واندهش وادهشني
سبحان خالقهن على كل فن	ما ينحسد بالعون من ربي اعطاه

* * * *

جعود تبرى انامله للمماشي	صادت عيوني ظلمة بانعماش «٢»
منثور فوقه ورد يعطر رشاش	واونتي ونيتها وقلت له آه

* * * *

حواجبه تشدى لذاك الهلال	هلال وحده يوم ماشي خيال «٣»
والله خلقهن كاملات التحالي	خط القلم بالرا وحنا قريناه «٤»

* * * *

عيون دعجٍ طرفها يوم تبديه	سهم القضا ويصيب من هو نظر فيه
داء القلوب وصار كل الدوا فيه	عشرة مع اربع عمرها ما يتعداه

* * * *

خدود مثل الجوهرة يوم احليٍّ	شارب ربيع وزادها الوسم علٍّ
فيهن اشارة ست غرسات فلٍّ	الله يهنيٍّ من دخل كان في حماه

* * * *

الانف سلة سيف حد المنايا	ينقاد ليا قسته وصل للشفايا
ولا ما شرب كم سابقه للروايا	هذي تحالي فيه لما ظلمناه

* * * *

حرف الشفايا مثل ورد البساتين	ابو ثمان صف لولو من الصين

---

١ – حسوس : أمراض.
٢ – جعود : شعر الرأس. تبرى توازي وتصاحب. انعماش : العمش ضعف في النظر وغشاوة. في الرؤية.
٣ – وحدة : واحدة اول الشهر.
٤ – بالرا : بالراء يشبه الحاجب بحرف الراء.

ولا غَرْب ولا مشرق ولا شام تيقين　　ظنيّ من الميـمن من الهند مجناه

* * * *

والسابعة ما شفتها دونها سور　　لكن هذا شيء مضمون مشهور

تفاح ما رمان تحقيق محكور　　عنها ما ينقص كبرها ما يتعداه

* * * *

هذا الذي عاينْتْ والكل وافي　　غير الذي يبقى وفي الجسم خافي

نطقه يشادى للعسل ذوب صافي　　«لبيك سيدي» جابته يوم ناداه

* * * *

أقْفي وحلّيته بظبي التهامه　　والخصر قبضة حمس مال السلامه

يا ورد يطوي كَمْ طيَّة حرامه　　يوم ارتعش في الهَرْولة قلت يا الله

* * * *

قعدت له عند الصفا لين جاني　　قال المطوف كيف يا الميدماني «١»

احذر يا المسلم ترى العمر فاني　　واحذر من الشيطان دربه مغاواه

* * * *

رَدّيْت له في الحال من قاصي البال　　وقلت انا والروح في غيٍّ واقتال

من لامني يبلى بحالي من احوال　　اللي بقلبي يظهره ثم يبلاه

* * * *

قال المطوف ما ألوم الشباب　　هذا الذي عانيت علق صوابي

تسعين ليلة ضايقا بي حسابي　　مالي وحالي كلهن من فداياه

* * * *

انا نهيته كل قصدي صيانه　　من خوف تطرى به معاكم خيانه «٢»

اموت قهر وهي معك لي أمانه　　تروح عنا ما تعقب مشاجاه «٣»

---

١ - الميدماني : ابن آدم.

٢ - تطرى : تخطر بباله.

٣ - مشاجاة : مشاكل وأشجان.

رديت له يا خوك حنا خشاره النصف والمكسب وحتى الخسارة
نبغي نتعاهدْ في دروب العذاره والصيد ما يخفاك عند ايش مفلاه

* * * *

وانته من اهل البيت وانا من الشام وهو من اهل الهند ولَمّنْا الاقسام
شربة من الياسْمين تروي إلى العام تقطع ظما العطشان لاما انه اسقاه «١»

* * * *

قمنا تقاضينا بحبل العهود والكل منا ما يبيح السدود
إلى حضرنا العدْ نبغي الورود الكل منا صاحبه ذاك ينباه

* * * *

من بعدها قمنا على طيب نيه طش السهم والاولة جات ليه
قال الخزاعي نعم بالحازميه الحظ معكم في اول الوقت واتلاه

* * * *

لكن روح وشوف ميعادك البيت بعد العشا لاما انك الفرض صليت
وان كان زل الوقت ولياك ما جيت مالك علينا حق وتقول بُقْناه «٢»

* * * *

وجيت في الميعاد وطَقَّيْت في الباب قالوا تفضل يا صحيبا من اصحاب
أهلاً وسهلاً ثم أهلاً من احباب من قلب يصفالك دواماً بمعناه

* * * *

لقيتهم في أنس غاية مناهم العود عَدْني والكمانة معاهم
مع انسهم يوم ان ربي عطاهم بالصوت والمعنى على كل مجهاه

* * * *

دقّت باناملها على العود بالدور وصاحت وقالت آه لاوين مهجور

١ - الياسمين : لاينطق من اليا، اي لاتمد الياء (اليسمين) للوزن.
٢ - بقناه : من البوق والخيانة.

قرب الصباح وقرب الفجر والنور   لاوين راع الخط ما يقوم يقراه

* * * *

وقالت علامك حاير في الحمام   يا شيخ ما هو حق هذا المرام

ما تقوم تأخذ من عشقه الغرام   قلبك دليلك في الذي كنت تهواه

* * * *

قُمْتَه من المجلس إلى الخلواني   واشوف اللي بالمحبة بلاني

قلبي هواه وقلبهم قد هواني   والله لا ما اراد للحال سواه

* * * *

من بعد ما جْتني واخذت السموح   من مبسم الريحه ومسك يفوح

خاطر خطرلي وانتبهته لروحي   والعبد لما حبه الله ينهاه

* * * *

طرَوْا عليّه كاتبين الحساب   اللى على مْتوني جلوسا غياب

وش حالتي لما يفتش كتابي   الكذب ما ينفع ولا فيه منجاه

* * * *

ابعدت عنها ثم قلت اسمعيني   أبا ادعي الله ثم انت اتبعيني

يا رب توبة توبة من يقيني   يا رب تمحي كل ذنب جنيناه

* * * *

قالت صدقت بحقها بالصواب   دلّيْتنا يا الشيخ درب المتاب

الله جزاك الخير كله ثواب   في جنة الفردوس ما كنت تبغاه

* * * *

قمنا على الاسلام والسر ما باح   والكل مشكور وممنون الارباح

اللي قهرنا النفس عن فعل الاقباح   أحمدك يا ربي على اللي حفظناه

* * * *

يا رب عفوك ثم تشفق لحالي   عاتق بن عبيد جدي وخالي

من الحـــــوازم منسب اول وتالي ومن الحوازم منسب الساس مجناه

* * * *

واختم جوابي بالنبي والصحابه واعداد ما خط القلم في كتابه

واعداد مزنا قد نشا من سحابه على النبي صلوا كما سنة الله

* * * *

ويذكر أن الشاعر أدى صلاة التراويح، وردد مع الإمام والمصلين دعاء وداع شهر رمضان وتأثر وبكى، فتحدث الفضوليون في ذلك فقال من قصيدة طويلة :

هاض بالي عندمـــا قـــال الأمـــام

ودعـــوا ذا الشـــهـــر يا الربع الكرام

غـــيـــر هذا اليـــوم مـــا باقي صـــيـــام

يا الله انك لا تضـــيّع شـــــاني

* * * *

من بكى لله هل فـــيـــهـــا يلام

هادم اللذات ياتي بانصـــــــرام

بعـــــد ثاني يوم قـــالوا للرحـــام

قـــابل المولى وهو خـــزياني

* * * *

٤

وحدث أن جمّالة لم يجدوا من يستأجر إبلهم وأقاموا بمكة ينتظرون الفرج، فقال أحدهم وهو قاسي بن قابل الأحمدي يخاطب مسلم بن مساعد الأحمدي :

بيع الجمل واترك اللى غربك في ديار مسعود

اركب قعودك وروّح مع رويْعات الثنيّه

العصر وانته في «رابغ»، واقتضى من كل موجود

قدام تطلع عليك الشمس وانته في الحنيّه(١)

تلقى ضناك الذي خلاك ناحل كنّك العود

مايروى النفس غير اللى يشاركها الهوية(٢)

---

١ - الحنية : مكان في ديار الشاعر.

٢ - الهويه : الهوى والهوايه

بين عهدين

عندما كبر الشاعر درويش الأحمدي، وضعف بصره مر بفتاة تقطف زهور النباتات البرية، وتجمع الأعشاب لأغنامها، وكان في شبابه شاعراً غزلياً وفتى محظيا فقال:

عنيتي يا مثل ظبي سفيسيف	يا مقطّف النُّوير روس النوامي «١»
ليتك قميّري يا حسين التواصيف	وانا الصقر شيهان ذاك القطامي «٢»
اجيك خاوي ما تقول العرب شيف	واروح بك يم الغبا يا غرامي «٣»
اروح بك راس «العناقين» في هيف	في راس ذاك الحيد ماله مرامي «٤»
عسرة على أهل الناديب والسيف	والضمَّن اللى في حزام الغلام «٥»
انت تغرهد في العلا في هفاهيف	وانا القطام اجيب صيدا دسام «٦»
وتسعف لنا الأيام نغدي مواليف	وهروجنا يا العمّق زين الكلام «٧»
ما هو كذا كتفني الشيب تكتيف	ما عاد باقي غير بيت الظلام
وثوب قضيف فوقه اللحد تصفيف	وهيول منها دقها والردام «٨»

ودرويش هذا هو الذي يقول في شبابه متغزلاً:

قال المعنى تهيّض عصر مما شافت العين	غرا تسوس الخطي بالتيه معجبها صباها
يا غرسة الفل يا وردة نشت وسط البساتين	تسقى بالاوخار مكفي قدرها ما كيل ماها «٩»

١ - عنيتي: أتعبتني. سفيسيف: رشيق. النوير: النوار مصغر. النوامي: اطراف الفروع النامية

٢ - قميري: قمري نوع من الطيور البرية.

٣ - الغبا: الاماكن المتوارية عن انظار الناس ويندر ارتيادها.

٤ - العناقين: قمة عالية من جبال الاحامدة ذكره كثير عزة في شعره. هيف: مكان ظليل. الحيد: الجبل.

٥ - المناديب: البنادق لانتداب صاحبها إلى مسافة بعيدة. الضمن: الفرود والمسدسات.

٦ - تغرهد:: تغرد. العلا: اعالي الصخور والاشجار. هفاهيف: اماكن الظل من الصخور. القطام: الصقر.

٧ - تسعف: تمهل. العمق: الفتاة الجميلة. الحاذقة التي تتقن شؤونها وأعمالها.

٨ - هيول: التراب المهال على اللحد في القبر. الردام: الحصى.

٩ - الاوخار: المياه الغزيرة. مكفى قدرها: كناية عن غزارتها وعدم خضوعها للتقسيم بين المزارعين وفق حصص معينة بواسطة القدر وهو بديل للساعة ويعرفه أهل الخيوف والعيون في «وادي الصفراء» و«ينبع»، ويستغنى عن استخدامه في مواسم الأمطار والسيول الغزيرة فيكفأ لعدم الحاجة إليه. كيل: صرف بقدر.

من دونهـــا الغلمة اللى سمها مقسوم ثنتين | هو سم ساعة وسم اللمس وسموم سواها «١»
عـانينهـا في الأرزَّة والقـرون ومـذخـر زين | حفزة بلا معك يا جمر الغضا محثات داها «٢»
متحفزة في بطون القابس اللى تقضى الدين | اللي تجيب القضا والعين ما وصلت مداها «٣»
هذا هو اللي عداني عنك يا مرعوش بالزين | يا ظبي يا خدلجي وسط الحمى ما احد تلاها «٤»
يا ابو زميم ذهب زين النبا زرق النهيدين | يا ابو جدايل بلا مقنع ليا هدت كساها «٥»



١ - الغلمة : الفتيان البواسل. سم ساعة : يميت بعد ساعة من تناوله. سم اللمس : يميت من الملامسة.
٢ - عانينها : من العناية. الزروف : ذخيرة. القرون : من أوعية البارود. المذخر : قلادة تحمل المطارف والقرون أوعية البارود. بلا : بلاء. محثات : منشأ سرعة البلاء.
٣ - القابس : البندقية السريعة تحقيق الهدف.
٤ - عداني : صرفني بعيداً. مرعوش : الرعش رقة الجمال. خدلجي : الذي يعيش حياة مترفة. تلاها : تبعها كناية عن العفاف والخوف.
٥ - زميم : زمام مصغر من الذهب. النبا : الاستقبال والترحيب كناية عن عدم الوحشية والجلافة. زرق النهدين : ناهدة وكلمة زرق هنا دلالة (العود عند زرقته) كناية عن حداثة النمو وتمرده وانطلاقه. جدايل : شفائر تكسو البدن لطولها وكثافتها.

أم الطوال

أم الطوال امرأة من الأحامدة كان لها أربعة أبناء اشتهروا بطول القامة، وكانوا من الفرسان البواسل، ولأن ديار الاحامدة معظمها جبلي، وانها ميدان صراع مع القبائل المجاورة فكانوا يضطرون إلى حمل الجرحى على مصفوفات من الخشب او جريد النخل يدعونها نَعْشاً وذلك عندما يسلكون طريقاً لا تسلكه الابل أو الدواب، ويكون هذا النعش مستوياً يتقدم قصار القامة عند الصعود إلى المقدمة وطوالها في المؤخرة ويتبادلون المراكز كلما مروا بمنحدر أو مرتفع.

وحدث ذات مرة ان عادت القبيلة من معركة بينها وبين قوة تركية فقدت فيها مجموعة من الرجال، من بينهم ثلاثة من الطوال، كانت المعركة قرب بلدة «المسيجيد»، وعندما وصل العائدون إلى مشارف الحي الذي يقع على مرتفع كان مجموعة من النساء والشيوخ في استقبالهم للاطمئنان على أبنائهم ورجالهم وكانت أم الطوال من بين هؤلاء تسأل عن أبنائها فأشاروا إلى رجل يحمل على نعش وإذا به أصغر أبنائها، فبادرت للتعرف على اصابته فوجدتها أمامية فقالت : لو كانت من الخلف لقطعت الثدي الذي غذاك.

مشت المرأة إلى جانب ابنها المحمول تسأله أين اخوتك فيجيب :

اخواني اللي للرفاقة والاجواد	مثل الربيع بدار محل يحل
عهدي بهم يوم اسهج الملح وانقاد	يوم الردى في راس حزم استقل (١)
يشدون ابلا قيدت بالتتياد	عند البيوت ومشيها بالمهل (٢)

واصل العائدون سيرهم نحو المرتفع فإذا بالنعش يتطلب التوازن لئلا يسقط الجريح، وارتفع من بين الحشد صوت يسأل : «وين الطوال» «وهو الصوت الذي تعودوا سماعه عند بلوغهم المرتفعات، وهذا النداء لا يعني الطوال اخوة الجريح وإنما طوال القوم الموجودين حينها، عندها لم تتمالك الأم رباطة جأشها التي ظلت مدة طويلة صامدة وإذا بها تتشنج وتخر ميتة.

١ - أسهج : امتد وتصاعد كناية عن بداية المعركة. الملح : البارود. انقاد : اصبح متلاحماً كالسحب. الردى : الجبان. حزم : جبل. استقل واعتزل.
٢ - بالتتياد : بالتتابع والانتظام.

الراوية ينجو من الموت

يذكر الراوية أنه في عام ١٣٥٤ هـ عاد من المدينة المنورة إلى ينبع وبصحبته رجل من جهينة يدعى «الشويشاني» وعندما مرا «بالعرق المنخرق» «*» قال الشويشاني للراوية : هل تعرف سليمان؟.

قال الراوية : من هو سليمان هذا؟.

قال الشويشاني : ذلك المسكين الذي يستجدي الناس الصدقة في السوق.

قال الراوية : نعم أعرفه.

قال الشويشاني : يذكر سليمان هذا أنه مر بهذا المكان في شبابه، يترصد وصديق له مارة يسلبهم متاعهم، أو ماشية ينهبها، وكانت ابل لقبيلة حرب ترعى في هذا الوادي فترصدا تحركها بين الاشجار وامسكا بأربعة منها دنت منهما فعقلاها واخفياها في منعطف الوادي، واستمرا في متابعة الباقي إلا انهما فوجئا بفتى يمتطي ذلولا حمراء اخذ يجمع الابل فانتظمت خلفه في الطريق إلى مضاربها فما كان من سليمان إلا ان يصوب البندقية إلى الفتي الذي لم يفطن إلى الابل المختطفة، ولكن صديق سليمان ويدعى «الحبيشي» من جهينة جذب البندقية وقال : حسبنا الاربعة، ودع الفتى لوالديه. فقبل على مضض وانصرفا سريعا بالأربعة.

قال الراوية ربما كنت ذلك الفتى، بل انا ذلك الفتى، لقد أتيت إلى المرعى قبيل غروب الشمس من ذلك اليوم واعدت الابل إلى الحي، ولم افطن إلى الأربعة المفقودة قبل الوصول إلى مضاربنا، وعندما تبينت ذلك أيقنت أنها في المرعى فإما ان تعود كعادتها إلى الحي وإلا ذهبتُ وتفقدتها في الصباح.

وفي الصباح بحثنا عنها فلم نجد غير اثرها وأثر رجلين يسوقانها نحو ينبع وعلمنا فيما بعد انها بيعت في السوق وهي من الكسب المشروع في عرف أهل ذلك الزمن، لقد كانت هذه الحادثة في عام ١٣٣٨ هـ أو ١٣٣٩ هـ وكنت في الثانية عشرة من العمر.

* العرق المنخرق : اسم سخرة قريبة من السهل فيها صدع عرف المكان بها.

قال الشويشاني : إذاً كتب الله لك السلامة بالاربعة قعدان التي استولى عليها الغزاة والا لما تركوك تعود سالماً.

قال الراوية : الحمد لله.

وبعد أيام توجه الراوية إلى ينبع ووجد سليمان يتسول في سوقها فقال له : أردت ان تقتلني يا عم سليمان عند العرق المنخرق؟

رفع الرجل نظره إلى الراوية وقال : انت صاحب الذلول الحمراء ؟.

قال الراوية : نعم.

قال الرجل : نعم يا بني اردت قتلك واراد الله لك السلامة، لقد منعني «الحبيشي» ورفع البندقية وجذبها مني بعد ان كادت يدي أن تضغط على زنادها هكذا كانت الارواح رخيصة في سبيل الحصول على الغنائم المحرمة، وهكذا كان الامن غائباً، والفوضى شائعة تهدد الآمنين المطمئنين، فالحمد لله على الحياة الآمنة المستقرة التي نحياها اليوم.

* * * *

كلام في المرجلة

يقول الشاعر مصلح بن وكيل :

المرْجلة مــا تجي بالهــون والا بالتــمني
واللى يحسب الديه ما يذبح الرجال عاده

ويجيبه الراوية :

المرجلة لو تجي بالجـهـد جاتك ثم جـتـني
لكنها بالحظوظ تنال ما هي بالجـهـاده



دخن دوقة

توجه «صقر بن هذيل الأحمدي» من «الفقرة» إلى «الواسطة» في «وادي الصفراء»، وكانت «الواسطة» حينها من حواضر المنطقة يفد إليها أهل الهجر المجاورة والبعيدة لامتيار الأرزاق وقضاء شؤونهم الأخرى، وكان توجه «صقر» لاصلاح «قرن» مذخره، وهو وعاء للبارود الناعم، وفي الطريق إلى الواسطة أدركه الليل فمر بحي من بني هلال من الحوازم في وادي «ألاب» ونزل ضيفاً على رجل منهم يدعى «الكتادي» وهو رجل جواد كريم رغم شح ذلك الزمن، ودار «الكتادي» مهوى ذوي الحاجات وابناء السبيل، وكان «صقر» رث الهيئة لا يدل مظهره على غير احد المارة الذين يجزىء الواحد منهم عشاء وهجعة.

دلف «الكتادي» إلى داخل داره حائراً في امره كيف يتعامل مع هذا الرجل الرث، ذي العينين المعبرتين عن رجل داخل هذه الرثاثة، وأخيراً قرر اختبار ضيفه، فأخذ جزءاً من عشاء عياله وقدمه للرجل معتذراً إليه بقوله :

لنا دار تبْلينا بضـيف وغلمة	هطاليس شالت سُورها في حشالها «١»
ولو فـزْت للخُطار وافي بحشمة	الانذال تردى من رداها رجالها «٢»

يشير «الكتادي» إلى ان موقع داره وسمعته تمتحنه باستقبال اصناف من العابرين ضيوفا أو الذين لا يهمهم إلا ان يجدوا الطعام، وربما حملوا معهم ما زاد من قراهم، وهي مذمة ان يحمل الضيف سؤر قراه.

لقد ادرك «صقر» قصد المضيف فقال مجيباً :

ان سلْت عني عزْوتي من بني حمد	أبطال تعطي شرْها من نضالها «٣»
بارودنا دهْم الفرنجي محنش	تشْره لها قدام تجْرد كفالها «٤»
ولي ديرة بين العناقْين والحمر	أفرح إذا ما اجهم عليها خيالها «٥»

١ - ضيف : كبير القدر. غلمة : غلمان. هطاليس سرقه. السؤر : الزائد من القرى. حثالها : لباسها.
٢ - فزت : بادرت. الخطار : الضيوف من عابري السبيل.
٣ - عزوتي : قبلتي. بني حمد : الاحامدة.
٤ - بارودنا : بنادقنا. محنش : مزانة بجلود الثعابين والحنشان. تشره : تشتاق إلى رؤيتها. تجرد : تنزع وتجردها من كفالها وهو وعاء من جلد الماعز تغلف به البندقية لصيانتها.
٥ - مرباعنا : وقت الربيع. العناقين : جبل. الحمر : جبل الفقرة.

ولي ديرة تنبت بسفت وحنطة — وزين الوديا يوم تنثر ثلالها «١»

ومحضارنا «ينبع» على غاية الجني — وزين السقايف نغتري في ظلالها «٢»

كله حشايم عين خود حييه — مطوي جمرها مثل مطوى حبالها «٣»

قال «الكتادي» :

غزالنا من الخلا ترتع الخلا — لا احد يسايلها ولا احد يسالها

ويعني ان نساء الحوازم لا يتحدثن مع الرجال، فهن يخرجن للمرعى في الخلاء ويعدن منه إلى الدور دون ان يحدث احتكاك واختلاط ومحادثة مع الرجال. بخلاف نساء الأحامدة فهن يتحدثن مع الرجال، وهو انتقاد لاستدراج الضيف للحكم على شخصيته، فأجاب «صقر» لكن :

اذا جوا ما بين الفريقين وارقفوا — والابيات غايب من يضفي ستارها «٤»

ان كان ما قامت وفزت ورحبت — تدني إلى من هو قناها عوارها «٥»

هذيك مثل البوم والبوم مثلها — دايم مواقعها على جال غارها

وعندها رحب «الكتادي» بضيفه وقدم له القرى اللائق بضيف نبيل ومضيف كريم.

* * * *

واصل «صقر مسيره إلى «الواسطة» وتجول في سوقها، وشاهد «الدخن» وأخذ منه قبضة، وفي طريق عودته إلى «الفقرة» عرج على أمير «الصخارنة» من «الاحامدة»، وأخذ يقص عليه مشاهداته في هذه الرحلة وبخاصة «الدخن»، فالرجل لم يسأل في سوق الواسطة عن هذه الحبوب تحاشياً للاتهام بقل المعرفة، وانما ترك السؤال عن ذلك إلى شيخ القبيلة الذي أجابه :

يادخن «دوقة» يامدلي عذوقه — حظ الضعيف والقوي ما يذوقه «٦»

قال صقر : هل ياكل الناس هذا الدخن؟

قال الشيخ : نعم.

قال صقر : اسأل الله ألا يبقيني حيا إلى ذلك اليوم الذي يؤكل فيه الدخن في ديارنا.

---

١ - الوديا : جمع ودية وهي النخلة التي لم يتجاوز ارتفاعها عن سطح الارض المترين. ثلالها : ثمر النخل قبل ان يصبح بسرا.

٢ - تغتري : تفاخر. ٣ - حشايم : تكريم. خود : رمز للمرأة. حيية : ذات حياء. جمرها : ضفائرها.

٤ - يضفي : يقوم بواجبها. ٥ - تدني : تجلب. قناها : امتلكها ورعاها.

٦ - دوقة : موضع قرب القنفذة.

وشارك صقر في كثير من مناسبات الحوار الشعرية ومن أطرفها محاورته مع فتاة سلمية ارادت احراجه بمعنى لم تألفه نزعته البدوية، حيث قالت :

يـا ولـد يـا لابـس المقـــــرون — لابـــس الفـــــرد والملَّـــــة
قـــبل مـــا شـــمس النهـــار ترون — اقـــطـــف نـــورة البـــلَّـــة«١»

أما هو فقد اجابها قائلاً :

يـاغـــــزالاً بـدار سلَـيْم — فلْـى القُـــــرْص في الملَّة«٢»
لا عـــبـــونا بقـــاف زين — واحـــــذرونا مـن الزلَّة«٣»

ثم خرج من المحاورة ولم يعد إليها.



١ - البلة : زهرة السلم والقرض والسمر والقتاد ونحوها من الأشجار.
٢ - الملة : نار جمرها غير متأجج وفيه يحسن عمل خبر الجمر حيث ينضج ولا يحترق.
٣ - الزلة : الخطأ.

ملامح اجتماعية

١

لكل جيل ملامح ورموز تعبر عن قيم ومعايير اجتماعية صنعها اهتمام المعاصرين، وفي الماضي الذي شهدنا رحيله احتلت العصا مكانة كبيرة من اهتمام الرجال، وعبر السن والمستوى الاجتماعي والثقافي عن نوع العصا التي تختارها الفئات الاجتماعية، ولعل الأبيات المنسوبة إلى فتاة تتغزل في فتى اولعت به ورحل من حيها فيها دلالة اجتماعية على أهمية العصا وفيها ظرافة جعلت الرواة يتناقلونها في زمن لا يوجد فيه من وسائل الإعلام غير الرواة، وربما كانت الطرافة في صدور الغزل من فتاة، إنها تقول :

هيض عليه غليم في يده خاتم وباكور	لاهي عصا مسلمين ولا تعصوها النصارى «١»
من يوم شد المليح اللى من اول في البلد نور	الليلة امسيت يا (عيني) تهلين العبارا «٢»
ودمع عيني حدر وادي «غران» وخرب الدرر	الليلة امسوا هل البرزات من سيله فقارا «٣»
شال «الشبيكة» وهي مطوية بالجص والنور	والله يا طيها ماشفت مثله في البيارا «٤»
ولا بي إلا بلاد «حميد» و «محمد» و«منصور»	اللى يشيلون من غلاتها مال التجارا «٥»
واحمدك يا اللى جعل من دمع عيني عد ماثور	يردونه اهل البكار اللى عليها الوسم دارا «٦»

وفي هذه الأبيات دلالات اجتماعية تنقل لنا تقاليد المعاصرة في ذلك الزمن، انها رموز الفتوة ومثار اهتمام الفتيان والفتيات، هذا الفتى الذي دعته الفتاة «غليم» تصغير للتمليح والتحبب يلبس خاتماً ويحمل عصا من الخيزران رقيقة دلالة على مستوى اجتماعي رفيع.

والعصا انواع منها «العصا» وهي ساق من فروع الشجر مستقيمة لا تتجاوز المتر والنصف وافضلها في بلادنا ما كان من شجر «الشوحط» وهو شجر جبلي ومنها

---

١ – هيض : أثار. غليم: تصغير غلام. باكور : عصا رقيقة من الخيزران.
٢ – العبارا : العبرات.
٣ – حدر : انسكب وسال. غران : وادي قرب عسفان. هل : اهل. البرزات : قرى تابعة لبني سليم. فقارا : فقراء.
٤ – الشبيكة : بئر ومزرعة. البيارا : جمع بئر. ٥ – بلاد : مزرعة.
٦ – عد : بئر غزيرة لا ينقطع ماؤها في أيام الجفاف ولا تنضب. الوسم : علامة ترسم بالكي على بدن الدابة ولكل قبيلة وسمها الذي يميزها بين القبائل كما ان لفروع القبائل أو سمة رديفة، ووسم الدائرة أو الحلقة للاشراف.

«الشون» أو «النبوت»، وهي عصا غليظة تترك في الماء حيناً ثم تخرج منه وتترك حتى تجف، ثم تلقى في الزيت حيناً آخر، وبعد اخراجها منه وجفافها وقد اشتدت واكتسبت صلابة تخضب بالحناء لتشتد صلابة، وتزان العصا والشون بالفضة، وتستخدم في الدفاع عن النفس، أما «الباكور» فهي عصا من خيزران رقيقة وتنتهي بانعطاف، وتستخدم للتجمل لأن صاحبها يرتفع عن مستوى الاعتداءات أو الاضطرار للدفاع عن النفس لموقعه الاجتماعي الرفيع، ويطول الحديث عن العصا لو أفرد له بحث خاص.

وفي الماضي يعاب على من لا يحمل عصا أو سلاحاً وفي ذلك يقول الشاعر :

يا ربعنا كـيف الولد يمشي بسـيبـه	ما يحسب ان السّيب منقود عليه «١»
لا طب سوق الخوف ما سَنْحُه يشيبْه	ما يَنْقل القـالة ولا يرفع يديه «٢»

ولقد تناقل الرواة أبيات الفتاة، وعارضها بعض الشعراء ومنهم عبيد الله بن جابر الاحمدي الذي شاركها الحزن أو انه تبنى رد الفتى فجسد دموع الفراق في الأبيات التالية :

جانا كلام من القبلة وجا للود منشور	جانا مع الناس ما جانا على ركب تبارى «٣»
ان كان دمعك حدر وادي «غران» وخرب الدور	من عندنا شال منصوبات من صم الحجارا
شوْفي بعيني ثلال النخل مثل البلّ مقطور	وشهودها اثنين كاد الكل منهم ما استخارا «٤»
وانتم عليكم كما هم لاغياب ولا هم حضور	ما احد مكذّبك فيما قلت ياظبي العفارا

* * * *

٢

وبعد، فإن حمل العصا لم يكن وقفاً على الفتيان بل ان كبار السن أيضاً يستعيبون من عدم حمل العصا، فهذا الشاعر ابن عاطف الصبحي يقول وقد مر بفتاة جميلة بادلته الحديث وسقطت عصاه من يده.. وكأن سقوط العصا أمر عظيم فقال مبرراً سقوط العصا :

١ - السيب : التسيب والتجرد من السلاح. منقود : منتقد.
٢ - طب : نزل. سوق الخوف : المخافات. السبح : الجهد. يشيب : ينفع. القالة : القضية.
٣ - القبلة : مكة وما كان واقعا بينها وبين المتكلم من بلاد، فالشاعر تقع دياره قرب المدينة المنورة. تبارى : تسير متوازية
٤ - ثلال النخل : عذوقه وقنوانه. البل : الابل. كاد : بالتأكيد. استخار : تردد.

قالت : عزومه على الفنجال يا واع المطيه — وبيوتنا شوفها حدّ البراح من الجهامه «١»
وقلت : تَبْقَيْن يابنت الرجال الأصرميه — بيوتكم لا يغاها الضيف في سوق المسامه «٢»
الله يجازيك يا مُطْلَقْ عصاتي من يديه — والله ما هو ردا فيّه ولا هو من عَمَامه «٣»
لكن هيّج علي النيل في خد الغضيّه — وزمامها يا ملا ما بين سيّالة وشامه «٤»
عهدي بها العام الاول مير خابرها تقيه — ربيعنا العام حقه مير فزت به تهامه «٥»

ثم دعته الفتاة إلى دار أبيها للتكريم، فشكرها ومدح أهلها وأثنى على كرمهم، واعتذر إليها عن سقوط العصا بأنه ليس لخمول فيه أو رفل.. ولكنه جمالها الآسر، والوشم والزمام والسيالة إضافة إلى الجمال الطبيعي زادتها جمالاً وكمالاً، أنها ليست غريبة عن الشاعر فلقد كان منذ عام جاراً لأهلها ويتذكرها ولكنه ما ظن انها ستنمو بهذه السرعة خلال عام، ولعل ذلك يعود إلى ان منطقة تهامة موطن صحي يساعد على النمو.

ولم يبرح الحي حتى تزوجها، وكان متقدما في السن ولكن للبدو في ماضيهم اعتبارات ومعايير في الزواج منها كسب أرحام ومعرفة رجال ووفاء وليس للفتاة رأي، والخروج على طاعة ولي أمرها مذمة فلعل الرضوخ للواقع خير من المعارضة التي لا جدوى منها.

ودخل الشاعر على فتاة وكان يلبس أقراطاً مما كان يتحلى به الفتيان في ذلك الزمن وكان ذلك منتقداً لكبار السن مثله، فالاقراط واشباهها تعلقها الأمهات بأبنائهن حباً واشفاقاً واعجاباً ويخلعونها حين بلوغ سن الرجولة فانتقدت الفتاة الشاعر فقال على لسانها :

ياعَوْدَ تلبْس حَلَق والشيب في عارضك قد لاح
لبس الحَلَق ما يوافق للرجال العاقلين «٦»

---

١ - عزومة : أقدم لك الدعوة. البراح : المتسع من الارض السهلة. الجهامة : الجبل أو المضارب.
٢ - سوق المسامة : اشارة للوضوح كالبضاعة التي تشهر لكل الناس ومنازل الكرام لا تبني في أماكن لا ترى بل تقام حيث يراها الضيوف. ٣ - عمامة : اهمال وقلة اعتناء ورفالة.
٤ - النيل : الوشم. الزمام : حلية تخرم لها صفحة الانف. سيالة : حلية تمتد بين الانف والأذن. الشامة : الخال.
٥ - تقية : صغيرة لم يخطر ببالها الهوى. فزت : نمت وترعرعت.
٦ - عود : شيخ مسن. حلق : اقراط وسوارات. يوافق : يلائم ويناسب.

مــا يافق إلا النـاشي يرعى البــارق ليــا لاح

ان عـارضت له جلبـها باليسـار وباليـمين «١»

تنتقده في تحليه بما يتحلى به الشاب الذي يتبع هواه، فما كان من الشاعر إلا ان يتخلص من هذا المأزق مبررا ذلك بأنه مازال فتى، وهذا الخلق الذي يتحلى به إنما هو امتداد لهواية الرماية والصيد وامتداد أيضا لعهد الشباب الذي مازال الشاعر في ربيعه فيقول :

يا عذب كيف اترك البندق وانا للصيد ذبّاح

إلى ارتقبت الجوازي ما رميت إلا السمينا «٢»

نبدي لها معْ غبا من خوف تصفقهن الارياح

مـا نرمي إلا العنود اللى نظرها مـايلينا «٣»

اللى ليــا شـافت القنّاص ياخـذها تمـرجـاح

وان لدْ للنار فزت كنْ لا بشْهـا غصـينا «٤»

ثم يصور لنا الشاعر ليلة قضاها في جدال وحوار مع فتاته لم تخل من متعة صورها في هذه الأبيات :

نبــهت في ليلة غـراً بهــا مســتـرٌ الارباح

رميت حبل الشقا يمّ الربوع المشتقين «٥»

فيـهـا سفرجل وخوخ وفل مع كـادي وتفاح

وترنج مع هيل وقــرنـفل وريحـــان وتين

وعنب وليمون حلو وبردقان يقيت الارواح

يجلي عن القلب وهّاج الحــرور بكل حين

مع خوط موزه تخضّع كنّها نسناس الارياح

ما كنها الا بعالي الطّورْ في الجو الحسين «٦»

* * * *

١ - ناشي : شاب. يرعى : يخيل ويراقب. البارق : الاشارة الخاطفة من أي فتاة وأية نجعة.

٢ - عذب : الفتاة عذبة اللمى. الجوازي : الظبا. ٣ - نبدى : نطل. غبا : مكان متواري وخفي.

٤ - تمرجاج : تبختر وطرب. لابش : متعلق بها. غصين غصن من الشوك.

٥ - نبهت : ايقظت. مستر : فرح. حبل الشقاء : التعب. الربوع : الاحياء والمنازل، وفي هذا البيت أشار الشاعر إلى انه صحا في هذه الليلة وعاد إلى طريق الصواب والحق، تاركا اتباع الهوى، وملقيا عصا التسيار في طرقه، ذلك ان الفتاة استدرجته إلى التوبة شرطا في الاستسلام إليه فتاب واستمتع بليلته وأيامه التالية تاركا المغامرة لمن يهواها.

٦ - تخضع : تميس. نسناس الارياح : النسيم العليل الرقيق. الطور : جبل شامخ في الفقرة طيب النبت والهواء.

دفاع عن مستجير

قتل رجل من جهينة أحد أبناء قبيلته وفر إلى ديار حرب مستجيراً، فحق على حرب حمايته مادام في ديارهم ملتزماً بواجبات الاجارة، وطلب الرجل ان يكون مؤذناً في مسجد الحي فكان له ذلك.

تابع خصوم الرجل أخباره وعرفوا مكانه فتبعه رجل منهم يدعى «نوَيْشي»، فترصد خروج الرجل إلى صلاة العشاء وكمن له في احدى زوايا المسجد، وعندما شرع الرجل في الأذان أوكاد. أطلق «نويشي» عليه النار فاخطأ الهدف وأقبل الرجال ففر إلى الجبل واختفى بين صخوره، وجاء أحد كبار الحي وهو «عمرو الزناتي» وكان شديد البأس فصاح بأعلى صوته : دعوه فقد انجاه الله... وهيا إلى صلاتكم، ثم اوعز إلى اثنين من الرجال الأقوياء ان يمكثا ويترقبا هبوط الرجل من الجبل، ويمسكا به.

عاد الناس إلى المسجد لأداء الصلاة، وكمن الرجلان في انتظار مجيء «نويشي» الذي ما ان شعر بالأمان وسمع أصوات المصلين حتى نزل من الجبل ملتمساً طريق النجاة، وما ان اقترب من الرجلين دون ان يراهما حتى فاجآه وحاولا الامساك به فحمل احدهما على ظهره وفر به وعجز الآخر عن اللحاق بهما، ولكن الخبر وصل إلى الحي فسارعوا للحاق بهم، ولم يسعف الظلام «نويشي» فقد تعثر وسقط على الأرض فداهمه الرجال واحكموا وثاقه، وجاء «الزناتي» وأمر بدفن الرجل حيا في مكان يقع على مفترق الطرق.

لم تصدق «أم نويشي» ان أحداً يستطيع الامساك بابنها فقد احسنت غذاءه وأعدته لمثل هذه المهمة التي رمت به إلى التهلكة، وتناول الشعراء هذه القصة فقال أحدهم :

قولوا لمن هوَ عن «نوَيْشي» مشْتقى	يوم اشْهر المرمول ما حصَّل مناه «١»
قبره على الدربين ما هو متّقى	أضحى نزيل الدار يضْمُر في نداه «٢»

١ - مشتقي : مهتم ويبحث عن أخبار «نويشي». أشهر : بدأ وظهر. المرمول : البارود. حصل : نال.
٢ - متقى : خافي وغير معروف.

نجـــدة

عندما امتنعت دولة الاشراف عن دفع العوائد السنوية لقبيلة الأحامدة تقدم الشيخ بنية بن عبد الرحمن أبو عوف أحد شيوخ الأحامدة بالأبيات الحربية التالية :

بني حمد يا عزوتي يا عقب جدي … حكامنا رزوا بقطع الثابتات (١)
ان كان ماحنا عن الباطل نعدى … عار علينا نقلنا للمثمنات

فأجابه الشاعر مطلق بن قابل الأحمدي :

إن كان من حكامنا حاصل نعدى … هم ظنوا ان النار ما فيها حياة
والقول بالمفعول برج ما يهد … من هاب ما ينطح صدور المجهمات

وأجابه أيضاً الشاعر قاسي بن قابل الأحمدي :

عنيك ياالحداي من قلبي وجدي … واجب علينا يوم ناجي الواجبات (٢)
الحق ما يغدي وطلابه مجد … قرد الرسن واحيوا دروب الأولات

* * * *

---

١ - رزوا : اعلنوا   ٢ - عنيك : لبيك

فروسية

مسروح وبنو سالم فرعا قبيلة حرب، ويتكون كل فرع منهما من عدد كبير من القبائل، ومثلما هي العلاقة بين الفروع في النسب والقرب أو البعد من الأصل تكون الحمية كذلك. «فانا واخي على ابن عمي ونحن وابن عمي على الأعداء» أو كما قيل.

والاعتداءات القبلية فيما بين القبائل ثأراً كانت أو نهباً أو سلباً، لم تكن قاصرة على القبائل المتباعدة في النسب وإنما قد تكون بين الفروع الكبرى أو الصغرى من القبيلة، ومن هذه الأحداث ما وقع بين قبائل من مسروح وأخرى من بني سالم حيث كان الموسم صيفاً، والناس في القرى، والاغنام والمواشي في الهجر لدى الرعاة، وهذا ما أغرى قبائل من مسروح للاعتداء على مواشي لبنى سالم واستياقها إلى ديار مسروح، ولكن بني سالم تجمعوا وتتبعوا السلب فادركوهم واستردوا اغنامهم ومواشيهم.

ولقد أثارت شجاعة بني سالم شاعراً من مسروح فقال:

هيِّض عليه عشيَّة يوم جبْنا المال ندْباه	من يمْ ديرة بني سالم مرويةْ الحيام «١»
في ساقنا ليلتين وكل مقعاد طفحْنا	ميْر لحقونا بملحوق يفرخ في العظام «٢»
جوْنا بدهْم الفرغ اللى كما الغدران حلياه	الروم صافي القرى محفول للموت الزوام «٣»
قالوا لنا حيِّدوا عن مالنا والا الملاقاه	قلنا لهم: ما نحيِّد قبل تفريق الليام «٤»
وصحت يا اولاد جدِّي دون مكسوب كسبناه	تحرفوا مثل عقبان تطرِّق للغام «٥»
ميراغتشونا يشادون السحاب اللى دفقْ ماه	يفْرُق جزيل العيال اليا وصل حد الحزام
يوم ان خطْر الولد ياخذ إلى متْنه ويغطاه	لولا الحيا شال روحه شيلة الظبي الادام
الله يخلي الخوى اللى يخلي جملة اخواه	يوم التناحي غدتْ ما بينهم والطير حام «٦»

١ – ندباه: تسوقه. مروية الحيام: مبالغة في القتل والموت الحيام.
٢ – مقعاد: استراحة أو مرحلة أو مرقب. طفحناه: تجاوزناه لشدة الطراد والمتابعة. يفرخ: يفرغ أو ينتشر.
٣ – محفول: معد ومهيأ.
٤ – حيدوا: الزموا الحياد واتركوا أموالنا. الملاقاة: الحرب. تفريق الليام: الموت.
٥ – تحرفوا: تصرفوا وأحسنوا القتال. عقبان: جمع عقاب. تطرق: تحلق في انتظار القتلى.
٦ – يوم التناحي: الفرار من المعركة.

انتقلت هذه القصيدة على السنة الرواة حتى بلغت الشاعر عبيد الله بن جابر الأحمدي من بني سالم فقال :

هَيض عليّه قصيداً جا على فَقْدُه ومعناه … يَشْدَى لذَوْب العسل من نَوْر زَومَات الحامي «١»
جات النجاجيب تمشي به ومكتوبه قريناه … من يم مسروح جابوه الرجاجيل الفهام
يا اللي ترد المثل بالعون قولك ما جحدناه … نديْنكم طَشوا الارواح في سوق المسام «٢»
تذكر لنا في الوسيق اللي على الأنضا لحقناه … تنقل لنا الزاد والما في الديار اللي مظامي «٣»
قلتم لنا حيدوا ما دام بايدينا قُضَبْناه … دونه سهوم القضا ومَرْوَمل فيه الحيام
وقلنا تناحوا عنه مادام بالاعيان شفناه … وش عذرنا من حلايب زَيْد مردوع الوشام «٤»
وقام حس المَرْوَمل كالرعود وبرقها ضاه … صار الجزا بالهدى والكل ما لحقه ملام «٥»
ويوم انفهق غزوكم عن مالنا حنا حرفناه … من خوف رداتكم تارد بحورا ما تعام «٦»
عاداتنا يوم ترمي بالمصايب ما نقول آه … وان كان قام البَخَت قلنا عساها في تمام
من جدنا ماسكنا بالعيون وبالمداراه … كم ضدْ من حربنا رابح دياره والمقام
مال السلاطين اخذنا من معاشيره واكلناه … ونصلّي الفرض ونزور المدينة كل عام «٧»
ونحج بيت الله اللي ما بني مثله وحلياه … ياغافر الذنب لافتنا الحبايب والليام «٨»
نقْفي عن المال والصدقان وبيوت مبْناه … ونضيف رَحْب العطا في مافف عالي المقام
واختم كلامي بذكر الله عدد ما طيفْ مسعاه … وعد ما خَطْ بالاقلام في ركون الختام «٩»

* * * *

وفي القصيدتين يتجلى أدب الفروسية، وسمو الحوار وعدالته، وأمانة الرواية، والفخر الذي لا مبالغة متجاوزة الحد فيه، واخيرا لا ينسى الشاعر الفخر بالتمسك بالعقيدة وطلب المغفرة.

---

١ - فقده : في موقعه. نور : نوار وزهور. زومات : نمو ومرحلة من مراحل النمو السريع للنبات. الحامي : الارض المحمية من الرعي.
٢ - نديكم : اندادكم ويعني بني سالم. طشوا الارواح : كناية عن الفداء والتضحية.
٣ - الوسيق : من الابل. ٤ - زيد : كناية عن المرأة. مردوع : منقوش وهو ضرب من الوشم المتقن.
٥ - الجزا : النهاية ونتيجة الحرب، والشاعر هنا ينوه عن شجاعة الطرفين والاتفاق على نهاية الحرب بلا مغالاة فيها. المرومل : البنادق.
٦ - انفهق : زال. ٧ - مال السلاطين : كناية عن مكانة بني سالم لدى الدولة العثمانية واذعانها لمواقفهم.
٨ - فتنا : فقدنا.

أفكار ونصائح

١

للنصائح دور كبير في المجتمع البدوي، فمنها النصائح الدينية والاجتماعية وابداء الرأي والتوجيه وفيما يلي مجموعة من النصائح الشعرية التي وجهت للأبناء أو الأخوان والأصدقاء، وهي تحمل أفكار المعتدلين والعقلاء من الرجال الذين لم يعدمهم المجتمع مهما اضطرب وافتقد إلى التوازن، فيظل وازع الخير هاجساً يقظاً ينتفض عند الجزع ويصحو عند الاغراق في الذنوب.

ومن النصائح الشعرية ما كان من الشاعر «مرشد بن راشد الأحمدي» وهو من أهل الفهم والمعرفة والمسارعين إلى فعل الخير، وكان له صديق شاعر وفارس هو «علي بن غنمي الأحمدي» الذي ابتلى بالقضايا والمشكلات التي جعلته يعيش طرفاً كبيراً من حياته مطارداً ومعرضاً للخوف والقتل، بسبب بطشه وطيشه، وتجمع بين الشاعرين علاقة ود وصداقة، فأراد «مرشد» ان يسدي إلى «علي» النصح ليكف عن هذه الحياة العابثه فأرسل إليه القصيدة التالية :

واروحي اللى عليها من لهيب النار فوّاح	العود لو هو خضر لا جاه فوح النار فاح
برزم رزيم الخيال اللى عشية بارقه لاح	على العيال القروم اللى تعاطوا بالفلاح
يا الموت ياليت لك عمر ومكان اجيك ذباح	آخذ لي اثنين منهم واتعلا في السلاح

* * * *

ويا راكب الحرة اللي كاملة بالحال وسلاح	ليا رفزها طموح تفوتها فوت الرماح
ما ذكّرت بالصرار اربع حوالي عند مصلاح	ماسرّحت في الفضا تنفض رسنها في المراح «١»
اللى عدل لبسها ماله شطن فاضي ومرتاح	ينعش مخاويل في سد المحاجر والسناح «٢»
تسري بها بعدما ليل انقضا مع بلج الاصباح	والدرب تاخذ على حد الجهام من البراح

١ - الصرار : ربط محالب الناقة لئلا يرضعها حوارها، وهذه الناقة الحرة لم تمنع من الرضاعة بل كان حليب امها لم يصرف لغيرها مما اعطاها القوة، وايضا لم تغادر الحي لغير التدريب وغذاؤها أو علفها يقدم لها دون ان تسعى إليه كالابل الأخرى، كناية عن العناية بها.

٢ - عدل : صنع. شطن : عمل وشاغل. ينعش : يشكل ويطرز. مخاويل : خطوط زينة مطرزة على الملابس من الرصاص والتل والخرز الملون الدقيق وخيوط الحرير الملونة. المحاجر : الحجرات. السناح : الرواق من بيت الشعر.

وتكّت وادي النخل وتقول يا منسف للارياح — الله هبوبه هوا وانته هبايبك الصياح «١»
تنصى إلى «علي» اخو «عليا» يشادي النجم قرّاح — ماهو من اللي تحيّر في مغيبه وين راح
أقره سلامي عددْ ما في البرور وما في الابياح — ما في البحر والبرور وما عليه الوبل طاح
أوصيك هوْجر ذلولك لا تراعى كل مِقْزاح — وسْق الشفا كسّر عوده من تصافيق الرياح «٢»
واوصيك في العالي اللي ما يجي مثله إذا راح — الناس تنشد عنه في الهامجة وابضا القراح
الهامج البحر واللي شاف ذاك يقول صَحْصَاح — وهو غزير الهلْك كم من صبي طبه وراح
وهو بضاعة حراج رحضها إلى سوق الارباح — في سوق الارباح قُزّه كان جا وان كان راح «٣»

* * * *

٢

ومن النصائح ما أنشأه الشاعر ناصر بن عيد المغامسي من بني عمرو من حرب، ويوجهه إلى الذين يستبيحون الناس أموالهم وأعراضهم، واستخدم كلمة «ذيب» تأدبا وشحذا لهمم هؤلاء الناس الذين يستخدمون نفوذهم أو حيلهم في التعدي على الآخرين ويقول :

ياذيب ياذيب لا تأكل حلال الناس بالبّوق
ياذيب مال العرب مادون مخلاصه عذارا
إن كان جاك الطّرد في اسبابه المطرود ملحوق
وان غابت انوار خلق الله معك نور الخيارا «٤»
اثنين ضُمان تكتب ما فعلنا ظلم وحقوق
الكل لازم يخلص عملته ذاك النهارا
تمشي حفايا عراة الكل ما ينظر لمخلوق
كل يقدم كتابه بايمين وبايسارا

١ – تكت : المسير إلى أسفل الوادي.
٢ – هوجر : اهجر واوقف. مقزاح : براق وبارقه أي لا تتبع هوى النفس.
٣ – قزه : ادفعه والقه.
٤ – الخيارا : يعني الملكين المكلفين بكتابة اعمال كل منا.
٥ – سكب : حلق في الجو.

والطير لو سكّب الجنحان واعطى في السما فوق

لابدلا جا القدر يدني لميقاع القدارا «١»

والعمر لو طال لابده يفارق كل معشوق

لابد من حفرة تحفر تحت ذاك الهيارا«٢»

أمسى حصيله من الدنيا وماله صار ملحوق

لا غير ما قدمت يماه قولا بالقرارا



١ - سكب : حلق في الجو .
٢ - الهيارا : القبر .

كريم في كريم

في أوائل القرن الهجري الثالث عشر نشأ خلاف بين حيين من «ميمون» من قبيلة «حرب» أدى إلى مناوشة بالسلاح، وكان «احدهما» أقل عدداً من الآخر، إذ لم يكونوا أكثر من ست خمسات، والخمسة هم الجماعة الذين يلتقون في الجد السادس فما دون.

واحتمى هذا الحي بقلعة واخذوا يقذفون الآخرين بالحجارة حتى شج رأس واحد منهم، وتقدم المصلحون فأنهوا المشاجرة، ولكن الرجل الذي شج رأسه مات.

وتقدم ذووه يطالبون بدم رجلهم، غير ان الخصوم تعاهدوا فيما بينهم على ألا يسموا القاتل، حتى يضيع دم الرجل بين الست خمسات وتقبل الدية أو الأسوة وتعني المعاملة بالمثل.

ولما لم يعرف القاتل وتأخر ذوو الرجل في المطالبة بدمه تحاشياً لتطور القضية، وانهم لا يريدون غير قتل القاتل، واحتج الخصوم بأن الأمر كان مناوشة وليس معركة حربية تستخدم فيها الأسلحة، وان الحجر سقط من الحائط ولا يراد به أحد منهم، بمعنى ان ذلك كان قضاء وقدراً، فقد هدأت الأمور غير ان للقتيل أخاً أعمى أخذ يحرض ابن أخيه على الأخذ بالثأر، مستغلاً تأثير الشعر الحماسي «الحداوي» في إيغار قلب الفتى الذي كان متريثاً ومتحريا للحقيقة ولم يرد قتل بريء بجريرة غيره ولكن العم أخذ يتغنى قائلاً :

الله من قُضْف النظر وانا شديد	والقلب في دهْم الفرنجي مشْتقى «١»
واخُويَه اللى راح قالوا لي شهيد	في شِرَّة الصبيان ماهو متْقى «٢»

١ – قضف النظر : العمى. دهم الفرنجي : البنادقة الافرنجية. مشتقى : هاو ومهتم.
٢ – راح : مات. واخويه : وا أخي. شرة الطيان : في ميدان القتال. متقى : مختفي.

وقال أيضاً :

لا واهني من نال ثأره يا «سعيد» ... بالروم ولا بالفرغ الملتظى «١»

يرتاح من همه ويهناه الرقيد ... ويجلي اللوايم عن حماه المنشظى «٢»

ولما سمع «سعيد» شعر عمه ثار غيظاً، ولكنه استمر مفضلا التأكد من قاتل عمه، غير ان العم الأعمى لم يصطبر، فكأنه ينام على جمر الغضا أويمشي على شوك الهراس كمداً وغيظاً فاردف قائلاً :

ليه العذارى يغترن في غذا العيال ... لا دام راع الدين ما هو مُقتضى» «٣»

لا واخسارة فرده اللى في العزال ... والبندق اللى فوق متّنه تلتظى «٤»

وعندها هب «سعيد» وأجاب عمه، فقد أثاره ونبهه إلى الهدف من حمل السلاح الذي مع الفتى.. وكان رد «سعيد» :

لبّيك يا الشايب هنيك بالجزا ... أبشر بسد الدين وانته مستريح «٥»

عزّى لمن هو قال قول ولا حمى ... قايل وبدّ القول يقفاه الصحيح «٦»

ثم فر «سعيد» وتغرب في مصر مدة ست سنوات ثم عاد وفاجأ شيخ خصومه بغتة، وسأله عن قاتل عمه مهدداً بالقتل ان لم يبح له بالسر، فما كان من الشيخ إلا ان يذعن لطلب الفتى الذي بادر القاتل في مأمنه وقتله، ثم لجأ إلى بيت صهره، وكان من الخصوم، وضج الحي ثم هدأ حيث طوى ملف القضية بأنه «كريم في كريم».

---

١ - لا وهني : واسعد. الفرغ الملتظى : البنادق.
٢ - اللوايم : جمع لائمة. وهي العار. المنشظى : من الشظايا ويعني سمعته المهزومة المهزوزة.
٣ - العذارى : النساء. يغترن : يهتمن. مقتضى : من الاقتضاء.
٤ - لا واخسارة : كلمة أسف. الفرد : المسدس. العزال : معزولة عن الاستخدام. متنه : منكبه. تلتظي : تتقد وتلمع لجودتها.
٥ - لبيك : اجابة صادقة. هنيك : تهنئة. الجزا : الاقتضاء والأخذ بالثأر.
٦ - بد القول : لابد للقول. يقفاه : يتلوه. الصحيح : الفعل.

حرب يا ربعي

هذه العبارة نداء نجدة واستغاثة، يصدره المنتمون إلى قبيلة «حرب» عندما يتعرضون لحادثة، أو عندما يستصرخون أفرادهم للمشاركة في موقعة أو غيرها مما يكون فيه طلب التضامن والنجدة، وهو نداء معروف يصعب التخلي عن الاستجابة له، ولكل قبيلة نداؤها واستنفارها.

وفي عام ١٢٩٠ هـ تقريباً مرت بوادي الصفراء فرقة من الجند الاتراك تحيط بعربة تحمل مدفعاً شد إليه رجل يردد بين الفينة والأخرى عبارة «حرب ياربعي»، وإذا برجلين يخرجان من بين الصفوف المحتشدة لمشاهدة هذا الموكب، فيقف احدهما يشاغل الجند باطلاق النار والآخر ينصرف مسرعاً نحو العربة ليفك رباط الرجل، وتهجم الجماهير ويختلط الحابل بالنابل فلا يستطيع الجند استخدام بنادقهم، ويتمكن الرجلان من انقاذ الرجل ولجوء ثلاثتهم إلى الجبل.

لقد أعجب قائد الفرقة بشجاعة الرجلين فأمنهما وصاحبهما وطلب حضورهما، وجاءا، كان أحدهما «صقر بن هذيل الأحمدي» والآخر «دخيل ابن صبحي الأحمدي»، أما الثالث وهو المنقذ فهو رجل من حرب أمسك به الاتراك قرب «الفريش» لتحرشه بهم، واعتبروه قاطع طريق فاصطحبوه معهم لتأديبه، ظل الرجل طوال خمسين ميلاً مربوطاً ولم يتوقف عن ترديد «حرب يا ربعي».

وتساءل القائد التركي : ما الذي دفعكما إلى هذه المخاطرة التي لم يقدم عليها سواكما طوال خمسين ميلاً؟

قالا : حرب يا ربعي، نداء الاستنجاد بقبيلة حرب.



مداعبات

١

هذا المجتمع البدوي الذي عاش فترة طويلة معتمداً السلب والنهب اسلوباً للعيش والحياة واثبات الذات ليس قاسياً في كل ممارساته، فإن كثيراً من حالات التزاوج تتم بين القبائل المتناحرة لتحقيق اهداف اجتماعية منها التواصل والتقارب والتخفيف من حدة المواجهات القاسية، وسجل الشعر بين قبيلتي حرب وجهينة من القصائد ذات الطابع الأخوي ما ينفي تلك المواجهات العنيفة ويؤكد النوايا الحسنة، ومن تلك المداعبات الشعرية قصيدة للشاعر علي الصيادي من جهينة الذي كان ينزل جاراً لحرب في مكان من ديارها يدعى «مدسوس»، قرية بين ينبع ووادي الصفراء، وله على حرب حق الجوار، وذات ليلة من ليالي الشتاء طرق الحي ذئب جبلي فانتزع شاة للجهني، فوجدها فرصة سانحة لمداعبة جيرانه من حرب شيوخاً وشعراء فوجه اليهم هذه القصيدة :

ياراكب اللى كنّهن جَول غزلان	ومكلّفات اكوارهن والأواني «١»
هن عشر واللى فوقهن عشر شيبان	الكل منهم شانهم مثل شاني «٢»
الخمس منهن قبّلنْ حَشْوَ الارسان	باغات شيخ للدول سعلواني «٣»
ماريّته مشبع عياله وشبعان	ومالي بدوده من هذيك المثاني «٤»
وحوله من القُبّة صوارم عقبان	تقسّموها قاضبين المكان «٥»
وخمس منهن قبّلن ريع «ذفْران»	باغات شيخ منزله في البيان «٦»
شيخ الشيوخ وشيخ بدو وحضران	بالسيف والمنسف وقول اللسان

١ - كنهن : كأنهن جول غزلان : شبه النوق في خفتها وسرعتها بالغزلان. مكلفات : ذوات زينة ونقوش. اكوارهن : الزينة التي تعلق على الذلول. أواني : لوازم الرحل.

٢ - شيبان : كبار السن محنكين في عرض القضايا وفهم القوانين القبلية.. ولديهم من الاهتمام بالقضية ما لدي.

٣ - حشو الارسان : مشدودات المقود لسرعتهن. باغيات : قاصدات. سعلواني : محنك وسياسي.

٤ - ماريته : علامته. بدوده : اقاربه وحيه. هذيك : تلك.

٥ - صوارم عقبان : فتيان صارمو الرأي شجعان. قاضبين : ممسكين. أي كل منهم يقوم بواجبه على الوجه الأكمل ولد عن والد.

٦ - قبلن : صعودا. ريع ذفران : مكان بين وادي الصفراء وينبع. منزله في البيان : واضح وهو منزل الكريم وفي البيت الذي يليه يصف هذا الشيخ بالكرم والشجاعة والسياسة فالمنسف وهو الصحاف رمز الكرم. والسيف رمزا للشجاعة واللسان رمز الحنكة والسياسة.

وزمّ «العنيق» مهذفر الذيب سرحان	والغالب أنه منعتينة مكاني «١»
ومعي اربعة كهانة الهرج ضمان	إنه من «الفقرة» عوى وانتصاني «٢»
وفي خشم قود شاف نيرة وضيان	وقال انا احمد الله جاب رزقه رشاني «٣»
ويوم جا وليا انهم قوم «وفيان»	فكّوا دبشهم بالحصى والرّدان «٤»
وعدّى على ربع «ثقافي» و«ذبيان»	وعدّوه باللي طعمها في الخزان «٥»
وحوّم من البلدة إلى ربع «دُخان»	واشْرف على الهضبة إلى ان لقاني «٦»
واكل من المعزى وعوّد على الضان	تسعين هذي من جياد سمان
وانا اجْنبي في ديار الاجناب سكّان	في ديار حرب مجوّدين العواني «٧»

يصف الشاعر اميري الاحامدة ابن جزاء بالسياسة والحنكة ومخالطة الحكام وابن مطلق بالكرم والشجاعة وكياسة القول.. ويمجدهما بما يفخر به رجال القبيلة، ثم يصف غزوة الذئب وكيف طرده غيره ممن يرجعون إلى حرب في نسبهم، لانهم طليقو الأيدي، أما هو فمكتوف الأيدى لأن مسؤولية حمايته تقع على حرب باعتباره جار لهم في ديارهم، ولذا فهو يحملهم هذه المسؤولية، ولا يخفى على القارىء غرض القصيدة فهي ليست جادة وانما هي من المداعبات الطريفة.

وتناقل الناس القصيدة فالأمراء رأوها مداعبة لطيفة تسري عن النفس، وبادرة طيبة من جارهم، فبشروه بالتعويض وعوضوه، أما الشعراء من الأحامدة فإنهم تعاملوا مع الشاعر بالمناظرة وقالوا «الشعر لا يجابهه غير الشعر والادعاء ما

---

١ - زم : ذهب إلى أرض مرتفعة كصعود الجبل. العنيق : أعلى وادي «رحقان» شمال بلدة «المسيجيد». مهذفر : أهطل. سرحان : من أسماء الذئب. منعتينه : داليه.

٢ - كهانة الهرج ضمان : شهود وكفلاء. الفقرة : جبل الاحامدة. انتصاني : أتاني قاصداً.

٣ - خشم : طرف. قود : جبل. نيرة : حركة. ضيان : اضواء. جاب : احضر. رشاني : رزقني.

٤ - وليا : واذا. وفيان : قبيلة من حرب. فكوا : انقذوا. دبشهم : مواشيهم. الحصى : الحجر الصغير. الردان : الحجر بمقدار قبضة اليد.

٥ - عدى : عاج ومر. ثقافي وذبيان : من قبيلة جهينة. وعدوه : طردوه. طعمها : ذخيرتها الخزان : أو داخل البندقية.

٦ - حوم : لم يبرح مكانه روحة وجيئة. ربع دخان : مكان في المنطقة. اشرف : اعتلى.

٧ - مجودين : محافظين على حقوق الجار. العواني : جمع عاني : مسؤولية تناط بفرد أو جماعة يلتزمون بأدائها.

يدحضه سوى البيان». ولذا فإن عليهم ألا يعترفوا بأن الذئب هو من ذئاب ديارهم، وعليهم ان يدافعوا عن ذئاب ديارهم بما يجب، فتقدم الشاعر مرشد بن راشد الأحمدي قائلاً :

الليلة امسينا كنين الاعلان	ما احد لفانا بالخبر من مكان «١»
وانا الذي قلبي معنى وشقيان	واللى شقي بالقيل اظنة معاني «٢»
وياراكب اللى من حسينات الالوان	أرداف زين وصوفهن زين ثاني «٣»
كلٍ عليها سعر تسعين دنان	هذا مكلّف بالحرير اليماني «٤»
ركبوهن الفرسان قضاية الشأن	واقفوا عليها معلقين الحيان «٥»
عشرين شياب وعشرين شبان	شاقين ومودين كل المعاني «٦»
بين اليمن والشام والشرق في الآن	والغرب واقطاره وخبت يماني «٧»
وامسن على مثل الاهلات الاحجان	نش الحشا ما باقي إلا السنان «٨»
وعلومهن لشيوخ وقضاة وحقان	يا بين ذي كفات كل المعاني «٩»
عيوا عليها لا يحطون الايمان	وقالوا عليها ما تتم التماني «١٠»
السایر اللى بين حرب وجهنان	ما هم عليه أول عليهم ذوان «١١»

١ - كنين الاعلان : خليين من الاخبار.
٢ - معنى : متعب. شقيان : مشغول ومهتم. شقي : اهتم. القيل : الشعر. معاني : معاناة.
٣ - حسينات الالوان : النوق.
٤ - دنان : ذو دنين وهو الجنيه من الذهب. وهو يصف النوق وما حملت من هدايا من شيوخ القبيلة إلى الشاعر.
٥ - الفرسان : الفتيان الشجعان. قضاية الشأن : الذين يقضون الاغراض وينفذون أوامر الشيوخ ويؤدون واجباتهم حسب المطلوب. الحيان : الموت.
٦ - الشياب : كبار السن. شاقين : مخلصين ومجدين. مودين : مؤدين. المعاني : الهدايا والتعبير عن شيخهم فهما وعبارة ومظهراً ومخبراً.
٧ - بين : يردن.
٨ - الاحجان : الحجن عصا طويلة ذات ثنية في طرفها تهز بها الاغصان العالية ليتساقط الورق والسنف أو الحبلة من الشجر حين يباسها. كما يتناول بها بعيد الاشياء عن متناول يد حامل المحجن. (ابو محجن الثقفي) نش : نحل. السنان : السنام.
٩ - حقان : قضاة بالعرف. ويقصد الشاعر ان هؤلاء الرسل وهذه النوق بما تحمل من هدايا توجهت إلى تلك الديار تستفتي ان كان للشاعر حق لدى حرب حتى تحكم له تعويضاً عما أتى به الذئب عليه من خسارة.
١٠ - عيوا : ابو. يحطون الايمان : يوقعون. تتم التماني : الموافقة. ان هؤلاء الشيوخ والقضاة والحقان أبو ان يقروا ان للجهني حقاً لدى حرب من جراء تعدي الذئب على غنمه وانهم لن يخدشوا مراكزهم فيقرون مالا يقر. ولكنهم يحيلون القضية إلى النظام القائم بين جهينة وحرب.
١١ - السائر : العادة المتبعة. ذوان : الآن. في مثل هذه الحالات كما يوضح ذلك البيت الذي يليه.

قـــولوا ألا ياريّاد وضّـــاح الاوجـــان — الصـدق خيـر من العلوم السـمـان «١»

ذيب «العناق» وذيب «حورة» و«رحقان» — ومـا علّق «الفـقـرة» وذاك المكان «٢»

مـايشـتكن طول الليـالي والأزمـان — ولا تاكل إلا من رمى الجـفـان «٣»

ولا دبّلوا دبّوا ثـنايا وجـدعـان — صـغـارهم وكـبارهم للطعـان «٤»

كلٌ يلجلج بالغطاريف فـرحـان — ضـارى على السّـاقـة بطشّ اللدان «٥»

مـاهو كـمـا اللي ذيبهم دوّم جوعـان — مـا ياكل إلا من البـهم والهـدان «٦»

كـمـا انّهم دايم صـحـيـبا وصـحـبان — لو شـيف شـوف العين مـاله مـشـاني

طُشّ الشـهـود بقـولة فـلان وفـلان — والأ ترى حنا لـنا قـول ثاني «٧»

الاجـنـبـي فـي ديار الاجـنـاب سـكّـان — عـيّـوا نعلقّ له على الذيب عـاني «٨»

إلا إذا تـنـزع لـنـا ضـلـع «ورقـان» — وتـنـزلـه بـين الـشـنـين الخـوان «٩»

نحـمل لكم «رضوى» على وسْق الامتان — ونخـوض بهـا مـوج البـحـر ازرقـان «١٠»

وان كـان احد مـشْرك بـه القول زعـلان — وسـاه عـنـد اهـل الـعـلوم الـرزان «١١»

* * * *

---

١ - رياد : عشاق . وضاح الاوجان : الوجنات الأسيلة . العلوم السمان : الادعاءات الباطلة .

٢ - العناق : جبل عالي في ديار الاحامدة . حورة ورحقان اماكن أيضاً في ديار الاحامدة ومثلها الفقرة .

٣ - رمي الجفان : مابفيض عن الجفان التي تقدم للضيوف .

٤ - دبلوا : نووا الغزو . دبوا : مشوا . ثنايا وجدعان من حيث العمر . أي ان هذه الذئاب في سبيل العيش لا تغزو فرادى وانما جماعات بشكل علني .

٥ - يلجلج : يلج بالصوت مزغردا . الغطاريف : الزغردة . ضارى : متعود . الساقة : التبع . طش : رمى . اللدان : مالان من اللحم .   ٤ - البهم : السخال . الهدان : الهزيلة   ٦ - طش : اترك .

٧ - الاجنبي : أي شخص ليس من الحي الذي يقطن فيه .. أو أنه من غير القبيلة التي يعيش بين أبنائها . عيّوا : أبو . نعلق : نضع . عاني : حق أو مسؤولية تؤخذ له لتعدي الذئب عليه .

٨ - ضلع ورقان : جبل ورقان معروف في ديار حرب قرب المدينة المنورة . الشنين الخواني : الاخوان الاثنان (العناقين) جبل في ديار الاحامدة ذو فرجة في قمته على شكل U .
والشاعر يشير إلي صعوبة القضية وعدم قبولها كما لا يقبل ان ينقل جبل ورقان ويوضع في هذه الفرجة في قمة العناق وبين عناقيه اللذين يمثلان «شداد الذلول» .

٩ - رضوى : جبل معروف في ديار جهينة . وسق : فوق . الامتان : ملتقى الكتفين مع الرقبة .

١٠ - مشرك : ذو شك . وساه : ميعاده للمحاكمة . الرزان : الثقيلة .
وسنحمل جبل رضوى إذا حملتم جبل ورقان ونخوض به البحر الازرق جزاء لنا إن كنا مخطئين .. وهذه اجابتنا للشاعر فإذا لم يقتنع فليقابلنا عند القضاة الضالعين في الحكم الشرعي والعرفي .

٢

ومن مداعباتهم ما نقله محمد بن سليمان الأحمدي إلى الشاعر مرشد بن راشد الأحمدي : ان الشيخ دخيل الله بن نهار القاضي (أحد شيوخ جهينة) قال في مجلس : «ان الجمال عند نساء جهينة، أما حرب فليس في نسائهم جمال»، فما كان من الشاعر إلا أن ينشيء القصيدة التالية :

قال الحساني فوق راس الطويله ... في مرقب عالي عن المرقبات
الليلة امسى القلب فاقد دليله ... واقلبي اللي راح مني شتات
صاح الحمام ولجّ كل القبيله ... العزوة اللى تنقل المثمنات (١)
يبكي طنَا، دمعه ماشلا هليله ... هزّ الجبال الشُمّخ الراسيات (٢)
يشكي «دخيل الله» وينكر فصيله ... نجم السما طايح على المورشات (٣)

* * * *

ويا راكبا حمرا تدل الدليله ... في يوم راحت سُوق مكة وجات
تنصى «دخيل الله» عقيد الدبيله ... الضيغم اللى يرفع الجهمات
البن في المحماس دايم يهيله ... لا هونيا حمسه ولا محرقات
والهيل والمسمار زايد فضيله ... ومكلفه وشروطها كاملات
وكم منسف بين اربعه جا يشيله ... وايضا غطاه بطيّب المسمنات
خصّه برده واخبره بالجليله ... والناس ما تدري عن الخافيات (٤)
عن الذي مثل النجوم الطليله ... خلوق مخلوقات في مصندقات (٥)
وقل له : يقيل الفصل والأ يزيله ... والأ تراه تروح روحه شمات (٦)
عن قوله اللى قال في ابو جديله ... ابو ثمان رمّوق متوازنات (٧)

---

١ - المثمنات : السلاح. ٢ - طنا : قهر. ماشلا : ماش إلا. هليله : انهماره.
٣ - فصيله : حكمه. المورشات : الأشجار ذات الورش وهو نمو الافنان.
٤ - الجليلة : الأمر الجلل.
٥ - الطليلة : المطلة. مصندقات : الدور والخباء يستر المرأة.
٦ - يقيل : يلغي الحكم. شمات : هدر.
٧ - رموق : الثنايا الثمان المتلاقيات المتوازنة في الشكل.

ابو عيـون سـاهيـات عـسيله	هن يحسين كسلا وهن ناصحات

خيطان بردى فوق حاجي الشهيله	اللى على جـال الروا ناعمـات «١»

والخد ياضي مـثل برق الخيله	يوم ان صف مزونها راكمات «٢»

أنا دخيـل اللى ينجى دخيله	أول دخيل الله وثم القضاة

عن الذي سيله مقبل مسيله	عن المعارج باخذ المنحيات «٣»

اللى بقفو الصاع حبه يكيله	وهو يعرف الصوب والخطيات

وعندما نقلت القصيدة إلى «الشيخ دخيل الله» سر بها ودعا الشاعر إلى زيارته وكافأه.

* * * *

يقول الراوية في الوظيفة وذلك عندما تعذر تمتعه باجازة طارئة :

حـريّة النفس بهجتها	وملكها حبسها الموكود

ملكتها لا جل حاجتها	خرف المعادي علي يسود

* * * *

ويقول ايضا :

وقت الرخا ما اكثر الخلان	والعسر يافل خلانه

ينبت سوى القمح والزيوان	في حصده يبين زيوانه «٤»

* * * *

ويقول ايضا :

أقول انا قول وامضي فيه	العاقل اللى عرف نفسه

ومن لاهدى الله ماتهديه	يعيش ويموت في عمسه

---

١ - خيطان بردي : الرموش والحواجب . الشهيلة : العين الشهلاء . جال : جوار

٢ - ياضي : يضيء . راكمات : متراكمة .

٣ - كناية عن الحكم المخالف للواقع .

٤ - زيوان : من الحبوب يشبه القمح ولكنه لايؤكل لمرارته .

آراء في الصداقة

لقد شغلت الصداقة ومعانيها ومواقف الأصدقاء كثيراً من الشعراء، ويؤكد أكثرهم ان صديقك من صدقك، وان الصداقة تظهر عند الشدائد، ولكن الشاعر مرشد بن راشد الأحمدي، مع موافقته على ما ذهب إليه هذا المعنى يقرر التحرر من الصداقة لا لمعانيها النبيلة وإنما لعدم استطاعته مجاراة الأوفياء من الأصدقاء، فالصداقة إما ان تمنح صديقاً معطاء، وآخر قليل ذات اليد لا يستطيع رد الجميل فيمتلكه الاحراج، وإما ان تبتلي بصديق ناكر جاحد وهذا ما لا يقبله وهو يعلن رأيه في الأبيات التالية :

أزرَيْت وانا انْعش الدنيا واكازيها مكازاه

وكل يوم يجي والروح في زايد عناها «١»

ما ينْلحقْ حدْها لو وصْل منها العمر منهاه

تمشي مديدة وحنّا اللى قصرنا عن مداها

والصْحْبَنه كان منها لا صحيح ولا مهاهاه

الليلة امسيت أبي اهديها على من هو بغاها «٢»

أما بَلَتنْي بصاحب ان جزاني ما اقْدَر اجزاه

اصبر على غُلْب طيّبته وانا ما اقْدر جزاها

والا يلتني بصاحب لو زرعت الطيب ما الْقاه

أمسيت في الوادي المُخْلي ومكسبها شقاها

ولكن الشاعر محمد بن عايج الأحمدي يعترض على ما ذهب إليه الشاعر ويقول :

الصْحْبنة كان منها لا صحيح ولا مهاهاة   الكل فيها بنى له بيت من قلّة حياها «٣»

١ - ازريت : عجزت وتعبت . أنعش : استنهض واحاول واصارع . اكازيها : وأعالجها . مكازاة : مسايرة ومعالجة ومحاولة .

٢ - الصحبنة : الصحبة والصداقة . مهاهاه : لغو وضحك وتسالي . كان ان كان .

٣ - كان : ان كان . قلة حياها : إذا كانت كذلك (لا جد ولا هزل) .

ما هي كما الدّعية اللى مثل عد زاغر ماه ... الطيب في الطيبين احْلا من الما من سماها «١»
ازرع من الطيب واللى يصنع المعروف يلقاه ... ان ضاع عند العرب في لايحة ما احد قراها «٢»

يعزز الشاعر هنا معاني الصداقة ويرفع من شأنها، ويذكر بأنه ليس من السهل اختيار الصديق، ولو كانت الصداقة تتم بمجرد المعرفة أو تبادل النوادر والنكات لكان لكل واحد عدد من الأصدقاء، ولكنها تتم من خلال معايير تخضع لتقدير الاشخاص انفسهم، ثم يؤكد ان الصداقة لا ترتبط بالمصلحة المادية وان ما يبذل من خلالها هو من نوع المعروف الذي يدون للمرء ضمن أعماله الصالحة فيجده يوم العرض في اللوح المحفوظ، فيجزى به.

* * * *

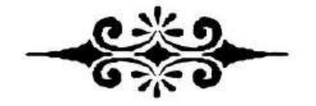
من الفوائد

يقول الشيخ حذيفة بن سعد الأحمدى مستشيرا الشيخ ابراهيم بن مطلق الاحمدى حول مشيخة الأحامدة :

ثلاث ياصبيان فيد الغانمين ... من حاشهن تمسى حباله واردات «٣»
لام الرفاقة عز في عسر ولين ... والمرجلة تورد زنودا فاترات

فاجابه الشيخ ابراهيم قائلاً :

ثلاث ياصبيان فيد الغانمين ... من حاشهن تمسى حباله واردات
العلم والتدبير والراي الحسين ... ونص الشجاعة يوم تقع الحادثات



١ - الدعية : النبع الغزير. عد : بئر عزيزة دائمة الماء. زاغر مرتفع المستوى في البئر.
٢ - العرب : الناس جمعا. لايحة : اللوح المحفوظ.
٣ - حاشهن : نالهن.

اصرار واعتذار

توجه الشاعر «ناصر بن عيد العمري» إلى «طاشا» لزيارة صديقه «مطلق بن قابل الأحمدي» إلا انه لم يجده، ولقي اخاه «قاسي بن قابل الأحمدي» فقام بواجبات الضيافة واكرام هذا الصديق العزيز.

وبعد ذلك تحدث الضيف قائلاً: لقد جئت لزيارة «مطلق» خاطباً ابنته، ولما لم أجده فأنت مكانه، وهذا طلبي إليكم.

فأجابه «قاسي» معتذراً بأن البنت مخطوبة وأنه هو الذي عقد الخطبة.

قال العمري: هذا عذر، فأجابه: ليس عذراً وإنما هي مخطوبة إلى «عمير بن كريدم السريحي». قال العمري: مازلت مؤملاً تحقيق طلبي وانصرف.

وبعد أيام تلقى «مطلق» رسالة من العمري، وبها الأبيات التالية:

بدّيت «قاسي» ولا جاني خبر من بعد مبْداه

ما ادري هُوه ما شقي والا معيف من المبادى «١»

انا احسب انه وثيق لياقلَطْ في شان قضَّاه

عز الله انه وثيق وراعي الراي السداد «٢»

لا شك ميقافنا عنده معه ما صار مَشْهَاه.

عيَّا يرد الخبر والرزق ما هو بالعناد

أنا من اللي رُضي قِسْمُه تحت تدبيره مولاه

والعذر مقبول لا ما انه عطى بالاجتهاد

فهم «مطلق» فحوى الرسالة وظل يردد بعض مقاطع الأبيات على مسمع من أخيه «قاسي» فإذا بالأخير يقول:

العلم هذا متى؟ حقّ الله ان الوقت نَسَّاه

عرَّف لنا ما الخبر حتى نعرفه في الرداد

---

١ - بديت: قدمت ووسط. هوه: هو. معيف: عائف وراغب عن.

٢ - قلط: تقدم.

قال مطلق :

يوم «الخَـيْـريق» يوم التَّـيْس ذَكَّـيْـتُـه وذُقْناه

نهـار جينا على ذاك الجـمل وَسْق الشـداد «١»

عرف «قاسي» القصة فارسل إلى «العمري» الأبيات التالية :

عـرَّفْـتنا بـالجـواب ومـا ذكـرتم لي فـهـمـناه

وحـيـاة رب الملا مـا العـذر لك غـاية مـرادي

الصَّـيْـد سـبِّق له القناص قـاضب راس مـبـداه

وانتـه بلغت المنى بالسـرع قـدام الرداد «٢»

والله والله يا علْمٍ عَطَيْـتك مـا قـفَـيْـناه

هذي مقاسيم ترمي في القراب وفي البعاد «٣»

ولو كـان عندك وثيق الرجل كـان الظن مـا جاه

مـا يقـضي الشـان غـيـر اللى تكلف بـالعـبـاد

قال العمري عندما قرأ البيت الأخير : «حق الله اني حريص في الشعر لكن ابن قابل وجد علي مدخل»، وهذا المدخل هو الاتهام في الثقة، وهذا من أساليبهم في النقد الأدبي والمعرفي.

وفي البيت الثانى اشارة إلى أن العمرى تزوج من أخرى ولم ينتظر رد الواسطة أو الوسيط.



١ - الخيريق : مكان ينزل فيه الشاعر.
٢ - الصيد : كتابة عن المخطوبة. سبق : من السبق.
٣ - قفيناه : ماتيمناه بزيف وبغير ما تحب.

وصايا

لم يحتفل الأدب العربي بالوصايا احتفال الأدب الشعبي بها، وربما عاد ذلك إلي ظروف المجتمع البدوي أو الريفي باعتبار الوصايا اسلوب تربويا تدفع إليه حاجة هذه المجتمعات إلى التعاون والتضامن والاعتماد على النفس وتأهيل الفرد بمقومات الرجولة والصلاح، أو ربما كانت محاكاة للرموز الشعبية بدءاً من الزير سالم وعنترة ابن شداد، وهذا النهج سلكه شعراء البادية ومازالوا ينظمون فيه المطولات، ولا أعلم إذا كان لمراحل الضعف دور في ذلك أم لا؟ فالوصايا تؤكد على بعض القيم الدينية والقيم الاجتماعية التي تظهر الحاجة إليها من المعاصرة. ولقد اصبح اسلوب الوصايا من المأثورات حتى ان صلاح عبد الصبور الشاعر المصري المعروف أو هو غيره استخدم مصطلح الوصايا في قصيدته الوصايا العشر وهو رمز له معناه في العمل الابداعي.

وقد جاءت الوصايا في شعر البادية إما عرضاً في قصائد عامة أو في قصائد مستقلة مثل وصايا الشريف بركات وابي دباس والوقداني وغيرهم وفيما يلي قصيدة للشاعر ابن مزان إلى ابنه عويضة. ويبدو افتقاد بعض أبياتها.

ارسل ابن مزان إلى ابنه «عويضة» هذه الوصية :

يقول «ابن مزان» الذي ولَّف البنا ... «يبني من الامثال زين الرحايل «١»

أنا ليا ما جيتهم بينشدوني ... يقولون لي وش قال راع الشايل

قلت المشايل من ضميري وجبتهن ... يوم ابتدا اولهن ولا النوم زايل

ألزمت انا ما قلت جابة ووزنتها ... وزنتها ميزان قُبْ عدايل «٢»

من خوف عُرَّاق الشفا ينقدوني ... والأ ليا ما قلت ماني بسايل «٣»

أوصي «عويضة» والمراشيد كلهم ... ووصاية الفهيم خير الدلايل «٤»

١ - ولف : ألف. البنا : الشعر. يبني : يؤلف. الرحايل : المنقولات من الاشعار بين الناس.

٢ - الزمت : قررت والتزمت. قب : قبان

٣ - عراف الشفا : سكان الجبال الذين ينتقدون الأفكار والممارسات فهم أشد تصلباً وتعصباً من سكان القرى في التمسك بالقيم الاجتماعية ومعارضة الجديد.

٤ - المراشيد : الشبان الراشدين. الفهيم : : العقلاء الفاهمين.

انا اوصيك في بندقك في الجوف حطها ... ترى ارفالها يدني عليك الفشايل «١»
من هو يواليها ويوفي حقوقها ... لا جات حاجتها ينال الجمايل «٢»

* * * *

وأنا اوصيك في والدك صونه وحشمه ... حذور في بالك يشوف الزمايل «٣»
ان كان باغي طاعة الله والهدى ... اعطف عليه وعامله بالمهايل «٤»

* * * *

وانا اوصيك في ابنك وابن ابوك وعمك ... والاحلاف يخلونك لحين الصمايل «٥»
واوصيك خلك نلرفاقه بليهي ... كما وادي عاتي على الدار سايل «٦»
ترى قلهم عقب على القلب حرقة ... يشدي لسات الظما في القوايل «٧»
وانا اوصيك بالاجواد ليا ما لفت بهم ... فرش لهم تحت البيوت الظلايل «٨»
عجل عليهم بالقرى يا مضنتي ... منا مهم قبل القرى في الملايل «٩»
واكثر لهم ترحيبة غاية القرى ... مكتوب مشاهم بقيل وقايل «١٠»

* * * *

وانا اوصيك عن تبع العذارى لعرضهن ... لاصار ماهن لك دنايا حلايل «١١»
تراهن من اللي يندرن قيمة الفتى ... يطب السهل من بعد روس القذايل «١٢»
ولك الله ما نبهتهن من مناسهن ... لا سايل عنهن ولاني مسايل
وانا اقول مثلك ما يوالف خنوبهن ... وهن يالفن خفر القلوب الهبايل «١٣»
إلأ بدرب الحق لا يا مضنتي ... ولا تاخذ الا من رجال صمايل
واوصيك ان جاك المطالب بحجة ... ابرك وخلك من جمال رحايل «١٤»
وعدو جدك حذر تامن جوانبه ... يدرج على راسك برمح القتايل «١٥»

---

١ - في الجوف حطها : لا ترخصها واصطحبها. ارفالها : اهمالها. يدني : يعقب.
٢ - يواليها : يعتني بها دائما. يوفي حقوقها : من صيانة وعناية. لياجات حاجتها : إذا احتاج إليها في دفاع أو حرب.
٣ - حذور : حذار. الزمايل : التضجر من البر. ٤ - باغي : طالب. المهايل : الرفق والتمهل.
٥ - الصمايل : الأزمات. ٦ - بليهي : كريم لين الجانب وهو الجمل الصبور الذي يتحمل الحمل الثقيل.
٧ - يشدي : مثل. مسات : الذعات. الظما : العطش. القوايل : القائلة وقت الظهيرة.
٨ - الاجواد : الضيوف. لياما لفت بهم : إذا قدمت بهم المطايا.
٩ - يامضنتي : يا من به ضنين. الملايل : الملل. القرى : طعام الضيوف.
١٠ - مشاهم : سفرهم. ١١ - دنايا حلايل : زوجات.
١٢ - يندرن : ينزلن. القذايل : رؤوس الجبال.
١٣ - يوالف : يألف. خنوبهن : سيئة الخلق من النساء. خفر القلوب : القلوب التي لا تترفع عن خبيث النساء حباً وصحبة. الهبائل : من الهبل والهبال.
١٤ - المطالب : صاحب الحق. ابرك : استعد لدفع الحق لصاحبه وكن صبوراً كالابل.
١٥ - يدرج : يحيك الشر بحقده الدفين.

رأي في الزواج

يقول ابن عساف الجهني :

قالوا تزوّج وقلت اخاف من بعض المشاجاه ... قد أني ارخص بعد ماني مع الارحام غالي «١»

خايف من اللي إذا امسى الليل تسرى للملالاه ... تنجع كما ينجع المسنى على حس الخيال «٢»

والصبح انا اسرح وهي تسرح وبيت العز تنساه ... والبيت يمسى عليه الليل يومي به خلال «٣»

وتقول حاذورك الما والحطب حذرك تنيساه ... وان كان أبطيت حذرك لا يصيحون العيال «٤»

تحت الحيـــا والمذلة قلت علمك ذا هوايّاه ... مير اسرحي روحي ولما توريت تعالي «٥»

وان قلت حسبك الله قالت انته حسبك الله ... والله لانشدك عنها كلمتك وش جابها لي

والبيض يا ناس فيهن ميل وانا الميل ما ادناه ... وانا اذا شفت ميل الحمل ماني في احتمال «٦»

ويبدو ان ابن عساف رجل ملول المقام في الحي، فهو بحار والبحار كثيراً ما يغيب في البحر شهوراً، وعشق البحر آسر.. وربما أراد بهذه الأبيات مداعبة.. أو تندر بصديق له تجرى الأمور في بيته على نحو ما اورد في القصيدة.. ويحدث ذلك بين الاصدقاء الذين يرون في التفاهم بين المرء وزوجه نوعاً من سيطرة المرأة على الرجل مما لا يقبل في مجتمعهم، وعلى أية حال هذه الأبيات من المداعبات غير الجادة.



١ - المشاجاه : المشاجرة والجدال. الارحام : الاصهار.
٢ - الملالاه : الغناء من «لا له يالاله يالاله». تنجع : تبعد في السير. المسنى : الممحل. حس الخيال : صوت الرعد.
٣ - يومي : يميل به الهواء. الخلال : العود المثقوف يربط به جانبا بيت الشعر.
٤ - حاذورك : او حذار. تنيساه : تصغير تنساه.
٥ - هوياه : هواياه أي هو الصح. توريتي : إذا رغبت.
٦ - ادناه : أوده وأحبه.

رثاء ومواساة

وفي باب المواساة والتعزية يقول الشاعر مطلق بن قابل الأحمدي معزياً ابن أخيه محمد سعيد بن قاسي الأحمدي (الراوية) حفظه الله في وفاة والدته وزوجته عام ١٣٥٦هـ :

يالله ياسامع دعا اللي انت رجواه … انته سَنَدنا يا عزيز الجلال

ويا بو سعد ذا حال الايام ملْهاه … يمشي عملها مثل غَيم الحبال

وخطُك وصل من يوم حنا قرِيناه … من ساعتي دمعي على الخد سال

المسْعَد اللي زيَّن الله ملقاه … والعمر يفنى لو تطول المهال (١)

انتَهْ حليم وترِكْ الهم وانساه … يجبرك جبار السمى العوالي (٢)

ومثلك ليا جاه القدر ما يقول اه … يصبر كما تصبر جياد الجمال

ومن زاد حزنه زاد همه وبلواه … وابليس يمشي به على جنب خالى

اوْدع بهم رباً خلقهم برجواه … واسند عليه الأمر أوَّل وتالي

* * * *

وكانت رداً على ابن الأخ في قوله :

وا ونتي ونَّيتَها وا وجوداه … واكثرتْها بالحَيل من وجْد حالي (٣)

ليَه ثمان ايام ياعم والله … عيني تهلّ الدمع يوم وليالي

من اللي جرى لي كل ما قلتَ بانْساه … واخي يصيِّح مع تصيِّح عيالي (٤)

وكيف اكْتِمل للصبر يا عَمْ واقْواه … وعندي سعيِّد مع سعد له عوالي

اطلب من المولى خَلَفْ ما فقدناه … ويمْهل لنا وايْاك في كل غالي

* * * *

---

١ – ملقاه : مقدمه.

٢ – ترك : اترك. السمى : السموات.

٣ – بالحيل : مبالغة.

٤ – يصيح : يصيح ويبكي.

وقصة النصين ان مطلق رحمه الله كان يقيم في الخيف وابن اخيه في «طاشا» المسكن الأساسي للأسرة، وجاء الخبر.. إلى «مطلق» فأرسل الأبيات تعزية لابن أخيه، وجاء الرد مؤثراً، والوضوح الذي يغلب على الأبيات يجيء دالاً على مكتسبات ثقافية لدى الشاعرين منها حفظهما القرآن الكريم ومنها تأثرهما من المجالسة والانتقال بين المدن، فالعم من أعيان قومه الذين يساهمون في حل مشكلات القبيلة وصاحب رأي وحكمة، وابن الأخ ممن يعتمد عليهم في كثير من المسائل التي تتطلب الفهم والدراية، وهو ذو فطنة وذكاء.. وكان العم مقلاً في الشعر لا يقوله في غير مناسبة. ولا يسعى وراء انشائه، فما جاءه منه أفضى به.. وما بعد لم يبحث عنه.

وكانت هذه الأبيات من آخر ما قاله، حيث ان الأيام لم تمهله، فقد أقام بالخيف أياماً معدودة.. لم تسعفه بسعة من المال، ثم وافاه الأجل المحتوم.

والمال في تلك الأيام ليس لأصحابه وانما هو لضيف أو محتاج مما لا يطيل ادخاره، ويروي انه ذهب ذات يوم إلى السوق فاشترى أرزاً وصره في طرف ردنه، وأتى به إلى البيت وكان بين هازل وجاد، هازل كيف يصر الارز في ردنه وقد كان يثقل به ظهور الابل، وجاد لأنه يقاسي شدة الزمن وتقلباته، فما عليه إلا ان يمشي ساخراً منقاداً لأمر الله.. ويسلم الارز للزوجة «رحمهما الله» قائلاً :

يا «فايزة» عشاك في الردْن جِنْاه	لا هي لنا عادة ولا هي لاهلنا «١»
غَبْر انْ حاج الوقت والامر طعناه	وان كان عشنا نقتني ونتهنا
وان كان متنا ما على العمر مبكاه	اطلب الهي يغفر الذنب عنا

وعند اقتراب موسم الصيف واحتمال الانفراج اشترى جملاً من مطلق الرحيلي بملغ ٢٥ جنيه دفع منها ١٢ جنيه ورهن في الباقي نخلتين من نخله في «الفصلة» «٢»، وأزف الأجل دون أن يكون لديه استطاعة في التسديد، فكتب للبايع قصيدة اخوانية يطلب فيها التنازل عن الباقي وهذه القصيدة هي :

١ - الردن : كم الثوب وهو زيادة في طول الكم تحاذي طول الثوب من جانبية.
٢ - الفصلة : بلاد أو مزرعة للشريوفي في «أم ذيان» بها حائط فيه نخل للشاعر.

يا الله يامن هو على الحي عـــالي ... يا واحـد يُعْبـد وبالعين مـا شـيف
نرجيك يا منشي غـزير الخيـال ... ياالله تكفُينا جميع الصواريف «١»
ويا راكب اللي مـثل وصْف الهلال ... تمسى «الفرَيْش» وعصر قامت من الخيف «٢»
منصـاك «مُطْلق» من ثقـات الرجال ... ظَفْـرٍ فهيم ومن رجاجيل عـرِيف «٣»
في ربعتـه تلقى جـداد الدلال ... فنجالها لا قـدْمـه غاية الكيف «٤»
وثُمّنْ يقـدّم لك جـياد الحيال ... ومنْسف يشبع به الجار والضيف «٥»
أقْـرِه سـلامي ثم خُصّ العيال ... اهل الوفا يوم ان الايام صلْيف «٦»
قل له ترى صـاحبك يشكي الحوال ... والوقت معسر والعرب مالهم صيف «٧»
المـدّ طال وطولن المهال ... لا شي قبال وكل الأيام نكيف «٨»
يومك أخَيِّـر من النهار الموالي ... مثل الذي يمشي برجله على هيف
مـالي لكم، وانتـه حلالك حلالي ... والمال يفنى وباقيات المعاريف
واللي لكم عندي تُوالي عـمال ... ان طفْتها كمْ عند الاصحاب ما طيف «٩»
وحياة رب البيت عـز الجلال ... لوهي لنا لا اطلب ولا اقول يا حيف «١٠»

والقصيدة قصة مترابطة تدل على ان الدين المعاملة.. وان الشدة تزيد الناس وداً وتسامحاً، حيث ان الرجل تنازل عن باقي المبلغ، واطلع اصدقاء الطرفين انه لم يسجل المبلغ في دفتر الديون لأنه يعرف ان المشتري على خلق كريم.. ولم يكن بين الطرفين صداقة عميقة كما نفهمها، ولكن المعرفة ومكانة الرجال كانت تعد صداقة في عرفهم.

---

١ - ترجيك : ترجوك.
٢ - وصف الهلال : ضامرة مثل الهلال. الفريش : محطة بين المدينة المنورة وينبع. الخيف : خيف الحزامي بوادي الصفراء.
٣ - منصاك : أول من تنزل بهم. ظفر : كريم وموفق للاعما الطيبة. فهيم : ذكي. رجاجيل : رجال. عريف : ذور معرفة وحكمة.
٤ - ربعته : حيه ومجلسه. جداد الدلال : جديد دلال القهوة العربية. فنجال : فنجان.
٥ - ثمين : ثم ان. الحيال : النعاج أو المعزي التي لم تحمل عامها. منسف : صحفة يقدم فيه القرى للضيوف.
٦ - أقره : بلغه. صليف : صعبة وقاسية.
٧ - العرب : الناس. مالهم صيف : لم يكسبوا في مصيفهم والصيف في مفهومهم هو غلة النخل.
٨ - المد : تمديد مدة الدين. المهال : جمع مهلة. قبال : من الاقبال. نكيف : غير مقبلة.
٩ - توالي : بواقي. فتها : تنازلت عنها. طيف : طوى قيده وسدد بالتسامح.
١٠ - الحيف : التأسف.

ومـاهي إلا أيام ويرحل إلى الدارة الآخـرة.. ويدفن «بالوسطى» في خـيـف «أم ذيان». بوادي الصفراء، وبعد اربعة عشر عاماً تلحق به الزوجة يرحمهما الله، وتدفن «بالوسطى» أيضـاً، و«الخـيف» هذا ليس موطنهمـا الأصلي ولكنه قـرية يقضي بها سكان الهجر من حوله أيام الصيف.

وبالمناسبـة فإني استـأذن القارىء في كتـابة هذا الرثاء الذي نظمتـه في عام ١٣٧٠ عندما رحلت (الوالدة) إلى الدار الآخرة وبالطبع فقد أجريت عليه بعض التعديلات فيما بعد:

ياروضة الوسطى سقتك الثعاليل	غـيث يسح خطاه مـشيـه تتيـاد «١»
تقـوده الازيب لحـد الشـمـايـيل	ويراقـصنه بين «طاشـا» و «الاثاد» «٢»
ويسـقى «الوادي» بعيـد المخاييل	سـيل وراسـيل كـثـيـر الترواد «٣»
وتزين الغـدران ذيك المسـاييل	والدرب من يم «ام ذيان» تنعـاد «٤»
وينبت المرعى يغطي السـهـاليل	والنـور يرقص من تراتيل الاجنـاد «٥»

* * * *

ماهو شقـا في فـاتنات الحـياييل	ولا بي من اهل الخـيف زارع وحـصّـاد «٦»
لا غـير لي ولفين تحت المناصيل	كني بريحـنـهـم بفـايحك لا انفـاذ «٧»

١ - الوسطى: روضة في خيف ام ذيان بها مقبرة. الثعاليل: شلالات المطربين السماء والارض يسح خطاه: يمشي الهويني. تتياد: هادي.

٢ - الازيب: ريح الجنوب. الشمايل: ريح الشمال. طاشا: وادي كبير يصب سيله في وادي الصفراء. الاثاد: الاثود العليا والاثود السفلى شعبان بين المسيجيد والخيف.

٣ - المخاييل: الامطار التي يخيلها الناس بعيداً عنهم. الترواد: الترداد. الوادي: وادي الصفراء.

٤ - ذيك: تلك ام ذيان: قرية في وادي الصفراء والمقصود هنا سوق ام ذيان ويقع شرق «الوسطى» يم: جهة.

٥ - السهاليل: السهول. النور: الزهر. الاجناد: النحل. في هذا المقطع يتمنى الشاعر المطر الغزير الذي تشترك ريح الجنوب والشمال في حركة مزنه والبادية يقولون:

هبت ازيب وصدتها شمال   واصبحت كل ديرة شاربة

والشاعر كان حيه يقطن التلعة السفلى بالخيف ولها طريقان أحدهما عن طريق الوادي وتمنى ان لو تمتلىء غدرانه من السيل المتكرر فلا يستخدم دربا والآخر يمر بالوسطى ويندر استخدامه لكره الناس المرور بجوار المقابر وهذا ما تمنى الشاعر ان يعود طريقا للناس. ثم يصف الربيع خضرته وزهوره وانغام النحل من حوله.

٦ - شقا: اهتمام. الحيايل: الذين يحيلون عن ديارهم طلبا للكلا والعشب.

٧ - ولفين: حبين. المناصيل: الشواهد التي توضع على القبور من الحجارة. فايحك: عطرك لا: ذا. انفاذ: حملته الرياح

لَمَّتْهم الايام لُم التعاجيل وفرقتهم بين نازل وشداد «١»
وما مهّلت بالنّزْل يا عزْ تمهيل عيّا الاجل ياخذ عن الولف سدّاد «٢»
عجَّل علي الجهّال باليتْم والغيل واظْنّني بين اليتامى أنا الماد «٣»
وامسيت احْسب خطاي حسْبة مزاميل ونَحّتْ بي الافكار محتار منضاد «٤»
أرعى منازل حي طاريه في القيل والاعيوني ما تحلّتْك رواد «٥»
محْرى بما في الغيب يقرا في الاكليل واسير في مسراي صادر ووراد «٦»

* * * *

ما اشْكي أسى بين الربوع المجاميل اللي رعّوني والغلا تحت الالحاد «٧»
تَحمّلوا دوني بفعل الرجاجيل خوالي اللي بين والد ووداد «٨»
أخص ابوي أبو «سلامة» بتكْميل عز الله انه من اجاويد واجواد «٩»
مازلت في جالة حفيٍّ المواصيل الله يمهل به ويكفيه الاضداد «١٠»

---

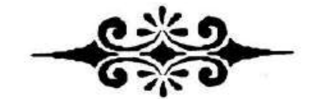
١ - لمتهم : جمعتهم. لم التعاجيل : سرعة انصرام زمن الاجتماع. شداد : راحل - مهلت : امهلت. النزل : النازلين.
عيا : أبى. الولف : الحبيب. سداد : بديل.
٣ - الغيل : الرضاعة من الحامل. الماد : الهدف.
٤ - مزاميل : مهمومين. منضاد : وجل.
٥ - حي : ربع. طاريه : ذكره. القيل : السماع. تحلت : تصورت. الزاد : العيش.
٦ - محرى : محتمل.

في هذا المقطع يتضح هدف الشاعر من المطر انه لا عشق ولا اشفاق على مال وانما يجد في روح الزهر رائحة احبته المقبورين في روضة الوسطى... هذان اللذان لم يستمتعا باللقاء في الدنيا فأيام سعدهما قليلة حيث اصبح احدهما راحل عن الدنيا والآخر يفكر في مستقبله فيها... والآخر لم يمهل فسرعان ما يلحق بالأول وتضمهما الرضة ويمكثان بها طويلاً.

ويتصور الشاعر انه هو المقصود بهذه المآسي المتكررة واصبح بل امسى يحمل هموماً تقضيه وتدنيه تصورات طفولة. انه يعيش بين اخواله وله اخوة لا يعرفهم إلا سماعاً قد يبادرون لأخذه إلي حي لا يعرفه ويحرمونه من متعة البقاء مع من تعود على العيش معهم. وهو يجهل حبهم وما تخبئه له المقادير هناك.. وان كان ذلك في علم الغيب.

٧ - اسى : قسوة. الربوع : جمع ربع وهو الحي. المجاميل : اصحاب المعروف. الغلا : الغالي. الالحاد : جمع لحد.
٨ - تحملوا : صنعوا نحوى عملاً طيباً ومشرقاً لهم. دوني : نحوي. الرجاجيل : الرجال. خوالي : أخوالي. وداد : ودود.
٩ - ابوي : أبي. ابو سلامة : سليمان بن سلامة الشاوبي الأحمدي.
١٠ - جاله : رعايته وطرفه. حفي : احظى بالحفاوة والرعاية. المواصيل : المواصلة والعطف. يمهل : يمهل. يكفيه : يحول دونه. الاضداد : الاعداء.

ميراني اخشى الوقت راع التهاويل	يبْطي يلوعني بفــــرقـــة وقـــداد «١»
واصيــر مـا بين الفـريقين منْصيـل	كل يوديني على حـــسب مـــا راد «٢»
ويا ليت يا «الوسطى» نهــار التــراحـيل	يحطْ لي بين الوليـــفين مـــيـــراد «٣»
وعـــسى العـــوض في المنتـــهى والوامـيـل	يكتب لنا في جنة الخلد مـــيــعـــاد «٤»



١ – مير : لكن. الوقت : الزمن. يفرقة : افتراق. قداد : حرقة.
٢ – منصيل : حد من الحجارة. ماراد : ما أراد.
٣ – التراحيل : الرحيل والسفر. يحط : يوضع. الوليفين : الوالدين. ميراد : مكان أرد اليه.
٤ – الوامـيل : الأمال.

وفي هذين المقطعين يبين الشاعر ما ينعم به بين اخواله بعد وفاة والده.. فلقد كانوا له بمثابة الأب الودود.. ويخص زوج امه من بعد والده الذي شب لا يعرف أبا غيره لم يصف عطفه عليه وحمايته له. ثم يبين انه مازال يخشى تقلبات الزمان وفواجعه. فقد لا تنتهي ويخشى ان يبقى بين اخواله واعمامه مرضع جدل وخصام انه في سن مبكرة لا تساعده على فهم ما يدور حوله من احداث... ويظل يخشى الغيب.
ثم يختتم ابياته بالدعاء ان يدفن بين قبري والديه في الوسطى.. وان يكون لقاؤه بهما في جنة الخلد.

الضيافة والكرم

١

اناخ الشاعر علي الصيادي الجهني ورفاقه ركابهم ضيوفاً على رجل منهم يدعى «حريميص»، وامضى ورفاقه ليلتهم عنده، وفي السحر غادروا الحي ناقمين علي مضيفهم الذي لم يفض في اكرامهم واعلاف مطيهم.

وعند الضحى مروا قريباً من بيت لابن عم «حريميص» وكانت الأغنام ترتع قريباً من الحي، فاشار رفاق «علي» بالنزول ضيوفاً على الرجل إلا انه لم يوافق والحوا عليه فوافقهم، وتوجهوا نحو الرجل فرحب بهم، وأشارت عليه امرأته بأن يدرك الاغنام قبل ان تبعد وان يحضر خروفاً لاكرام الصيادي ورفاقه، فرفض طلبها وامرها ان تعد طعاماً من الارز واللبن.

ولما كان مجلس الرجال قريباً من الرجل وزوجه فإن حديثهما بلغ مسامع «الصيادي» ورفاقه فلم يرتاحوا لذلك الحوار وهبوا منصرفين، فاعترضهم المضيف ولكنهم أصروا على الرحيل، وقبل ان يغادروا الحي قال الصيادي لمضيفهم : هل تحب الشعر ؟ قال : نعم، قال : إذا اليك هذه الأبيات :

ياناشداً عنّا ترانا من «العيص» ... من الجبل نبغى نميل التهامه «١»
وكنا ضيوفاً لابن عمك «حريميص» ... منا ومن «سبلا» غشيه الملامه «٢»
انا لقيت البيض ما عندهن قيس ... نجل العيون مردعات الوشامه «٣»
يا ليتهن ما ياخذن الحراميص ... لا واخسارة حبته في الظلامه

ودفعوا مطيهم منصرفين، أما الزوجة فقد ذهبت إلى ابنة عمها زوجة «حريميص» واسمعتها الأبيات فقررتا الفرار كل واحدة إلى أهلها، احتجاجاً على بخل زوجيهما وأخيراً أصرتا على عدم الرجوع إليهما وتم طلاقهما.

* * * *

١ - العيص : بلدة كبيرة في ديار جهينة. التهامة : تهامة تمتد بمحاذاة البحر الأحمر من الشرق.
٢ - سبلا : ذلول الصيادى حيث لم يعلفها حريميص.
٣ - قيس : تمييز. البيض : النساء وفي هذا اثارة لغضب الزوجين.

٢

والانسان قد يتعرض في وحدته ومنتحاه وهو معدم إلى طارق ليل فلا يجد مايقدم لهذا الطارق، فما أشد وقع ذلك في نفس هذا الانسان المعدم، الذي يصور شاعر جهني موقفه في الأبيات التالية :

وا ونتي ونَّيْـتَـهـا بعـد هَوْد	را ونتي ونيـتـهـا بعـد مـهكاب «١»
من ضـيفنا اللى مـر مـا نال فَـوْد	مـا الوم عيني لو هدَبْ رمشها شاب «٢»
أحسبك ياجودي من اصلي وعودي	جُود بلا مـوجـود راعـيـه كـذاب
أرْعَ الجمل لو فيه عشرة عدود	ليـا وفي عظمـه من المخ مـا ثاب «٣»

* * * *

٣

ويصف شاعر جهني آخر واجبات الضيافة متألماً الا يستطيع أداءها لضيق ذات اليد، والابيات التالية تعبر عن محتوى مشاعره :

قـال الغلَّيم وان بدا في الموايِيْق	بادي عـلى راس الطويـل المويـق «٤»
دمـوع عـيني غـرَّقـتني غـواريق	عـلى مـراد النـفس وابِْس ريقي
ياما حلا شرب المبهَّر على الرِّيق	ناخـذ براسك ريحـتـه قـبل هِيق «٥»
في اربْع قَـرَيْشـيَّات مثل الغرانيق	يَنْقَعْ لهـا وبَلْ المطر في البـريق «٦»
في بيت مبني من عُلُوّ الصوافيق	مـفـروش من زل الحـرير الرقـيق «٧»
ويا حْلَيْل ذبح مهَيْزعات المعاليق	تُعْبَا لنطَّاش العشا في الفـريق «٨»
وزبْدَّية يدفق بها السمن تدفيق	تُعْبَـا لربع مـدلَّهين الرفـيق «٩»

---

١ – هود : آخر الليل. مهكاب : انصراف النجوم للافول والمغيب.

٢ – فود : فائدة أي لم يجد قرى. ٣ – وفي : انتهى وخلى. ٤ – الوايبق : الاماكن العالية المشرفة.

٥ – المبهر : القهوة العربية. هيق : التلذذ بالقهوة.

٦ – اربع قريشيات : دلال. ينقع : يجمع ساعة هطول المطر ويصفى فيما بعد وهو خير من مياه العيون والآبار التي لكثرة استنزاف مائها تعرو ماءها الملوحة والهماج. البريق : الابريق.

٧ – الصوافيق : الرياح والأمطار والأضرار.

٨ – مهيزعات المعاليق : الذبائح تقدم للضيوف. الفريق : الحي.

٩ – تعبا : تعد وتحفظ. مدلهين : الذين ينسون جلساءهم ورفاقهم الهموم، إما بالمساعدة وإما بالتسرية.

ويا حليل خوّة ضاربين الطواريق   خُضْر القلوب مقصّرين الطريق (١)
وليا ضَربْنا جيّدات المواسيق   نَسْمَعْ لعُبْشان الرباعي رشيق (٢)
ألفين ربعي ما سُطوا بالتفاريق   هذاك ابن عمي وهذا شقيقي (٣)

* * * *

٤

وفي الجود والكرم يقول الراوية من وصية لابنه مساعد :

الثانية في الجود ربي يقويك
في الجود ما ينفعك خالك ولا اباك
الجود جود الله عسى الله يخليك
ابدا بفعله والخاليق تفداك
تذكر بفعلك يوم الاسلاف تطريك
اما رفعك الذكر والاتوطّاك



١ - خوة : صحبة ورفقة . ضاربين : المسافرون . الطواريق : الفجاج والمسالك . خضر القلوب : صبرا وجلدا ومواجهة لضروب الحياة . مقصرين الطريق : بأحاديثهم وإيثارهم .
٢ - جيدات المواسيق : الابل . لعبشان الرباعي : حركة اقدامها .
٣ - سطوا : فكروا في الفرقة وقبلوا بها .

صراع الاجيال

١

كل شيء في هذه الحياة يتحول أو يبلى، فسبحان الذي يغير الأحوال، ويدير الكون، وتقبل التغير والتحول ليس سهل المنال، وبخاصة عندما يكون في القيم الاجتماعية أو المعتقدات، لذا نجد صراعاً مريراً بين الأجيال، ذلك ان الانسان يساهم في صنع منهاج حياته ورسم مستقبلها، وهو يتعرض لضغوط قاسية من جيل الآباء الذين مروا بالحالة نفسها عندما كانوا في مثل سنه تحتم عليه هذه الضغوط الفرار إلى منتجع أكثر انفتاحاً، واسهل مصانعة وحياة، وله مساهمة في تهيئة أسباب افضليته عن الماضي، ولكن هذا المنهاج الذي يسلكه الجيل القادم لا يريح الجيل الذي يتأهب للرحيل فيحدث الصراع، وهو صراع دائب عبر الأجيال منذ وجد الإنسان على هذه الأرض.

والشاعر «بديوي الوقداني» الذي عاش في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري يوجه نقداً مريراً لمعاصريه من الشباب فيقول :

الطير الاخضر عانق الطير الاصفر   واجناس ما تعرف لها وجيه وقْفى «١»

ويقول الشاعر عمير بن سليمان الصبحي :

أيام فيها الدبادب والحروشيات والفار   وحمارها والجمل والعنز في الميزه سوية «٢»

ويقول أيضا :

ياجيل الندم جيل العبَاير   ينقضها بعد ما هو فتَلْها «٣»

وان جيته تدوّرْ للبصاير   لقاها الوعر واوْحَلْ جملها «٤»

هذه الصورة التي خلعها الشاعر الصبحي على ناشئة جيله ليست غريبة، فكل

١ - قفى : جمع قفا أي ظهر.

٢ - سوية : متساوية ولا تمييز بينها. الدبادب والحروشيات : حشرات صغيرة.

٣ - العباير : النوادر من الافعال غير المرغوبة. ينقضها : يحل نسيجها أي انه ليس له رأي ثابت فتلها : احكمها وحاكها.

٤ - لقاها : وجهها. الوعر : الصعب. اوحل : ورط. جملها : الذي يعتمد عليه في تصريف الأمور.

جيل يرى في الجيل المعاصر له مايراه هذا الشاعر، إلا انه لا يخلو عصر من العصور من اصحاب بعد النظر أو النظرات الثاقبة للحياة من الذين لا تسيطر عواطفهم على عقولهم، فينسون الايجابيات عندما يتعرضون في آرائهم إلى السلبيات، فعندما أصر الصبحي على رأيه أجابه الشاعر «خلف بن حذيفة الاحمدي» (من كبار الاحامدة وبيوتات الرئاسة فيها) مثلما هو «عمير الصبحي» في قبيلته، أجابه قائلاً :

هذا الجيل ما مثله وشاير   لاجاته مصيبة يحتملها (١)
وضعف الراي من قُضْفَ البصاير   ومن له منزلة لازم يصلها (٢)

* * * *

٢

أما الشاعر «علي الصيادي» من كبار جهينة فيضم صوت إلى صوته الصبحي في تذمره من الجيل الجديد ويتحسر على جيله فيقول :

واحسرتي راحوا كنوز الرجاجيل   كَبْد الطُّليب مداوية كل علة (٣)
جيلي غدا ما عاد ليه بقى جيل   ذا جيا تربّق ما انا عارف له (٤)
لاجات قالة ثم جوّنا جهاجيل   تدوّره في النايرة ما تدله (٥)
وان قلت له دون اللزم، قال : ما اشيل   وان كان قلت العازبة قال للّهْ (٦)
ولو تنصح الواحد من الصبح لليل   كنك تُرشُ الكُمْخْ وُدك تبلّه (٧)

* * * *

١ - وشاير : مواقف ومواجهة وجلد. ٢ - قضف : ضيق. منزلة : غاية وهدف.
٣ - الطليب : المطلوب لاسترداد حق منه. ٤ - تربق : هزلي.
٥ - قالة : قضية ومشكلة. جهاجيل : كثرة من الرجال. تدوره : تبحث عنه. النايرة : لابداء الرأي الصواب أو العمل المشرف. تدله : تجده.
٦ - اللزم : الواجب. العازبة : الطلب الصعب الذي يعزب الحصول عليه. لله : لا.
٧ - الكمخ : الصخر. ودك : تود. تبله : بالماء.

وقد عارضه شاعر آخر بقوله :

جيلك غدا يا «علْي» بين المفاتيل   اللى ليا جانا الصُّرْد ما نسلُه

مع جيلنا يا عَلْي حطَّيت لك خيل   خيل عن الصابي تغطى باحله

مع جيلنا يا علي كثر المعاقيل   يوم ان جيلك ما معه غبر دله

وايضا مع الدلة لك الله فناجيل   والنْجْر عين الفاطر المستظلة

* * * *

وشارك على الصيادي مرة أخرى بقوله :

قصدت من صنعا إلى منبع النيل   ما احد عرفني في القصاصيد كلُه

لو ما انت منهم ما تعْرضت للقيل   الآدمى معلوم عقله يدلُه

* * * *



نـوادر طريفة

١

كان الشـريف «محـمـد عـلي» من الرجـال المعـروفين الذين أسندت إليـهم امارة ينبع قبـل العهـد السـعودي الميـمون، فاتخذ له متنزهاً من الخيـام حول «عويص» بجوار البحر، ثم بنى له بيتا هناك، وضـافه ذات يوم رجل من البـادية فـاستحسن الأميـر حديثـه، ثم تكررت زيارات الرجل له، وكـانا يتبـادلان الهدايا هذا يقـدم السمن والزبد والاقط والعسل، والأمير يقدم التمر والارز والاقمشة ونحوها مما لا يوجد في البادية، وانتهى الأمر إلى ان تزوج الشـريف كبرى بنات البدوي وعندما تقـدمت بها السن وبـدت مـلامح اختـها التي تليـهـا تفوق الزوجـة طلقـهـا وتزج الأخت، وعندما حان قطاف الأخت الثالثة طلق الثانيـة وخطب الثالثة، ولم يمانع الاب أو الأم أو الاخـوات لأن مـعـاييـر الزواج كـانت تخـتلف عنهـا اليـوم، ولأن ظروف الحياة وقسوتها وثقافة الناس الاجتماعيـة كانت - أيضاً - غيرها اليوم.

وعندما دخل الرجل بالثالثة أحسنت كل شيء في شؤون المنزل صنعاً، إلا انها امتنعت عن فراش الزوجيـة، ورغم محاولاته لـم يتمكن منها، واستمر ذلك حولاً كاملاً.

وفي ليلة ممطرة طرق البـاب عـابـر سـبيـل فـادخـل إلى مـجلس الضـيـوف، وكـان قادماً من نواحي «الفقـرة» تحمل ابله العسـل والسمن والحبوب والاقط، خاف ان يتلفهـا المطر فلجأ إلى هذه الدار العامرة، وكـان هذا العابر سـبيـل أو الضـيـف هو الشـاعـر راشـد بن سنيـان الأحـمـدي، وهو شـاعـر ذائع الصيـت لطيف المعـشـر، والاعيـان يحبـون الشـعراء لما يضـيـفون إلى المجالس من حيـوية يعمـرون بها ليل المجالس وينقلون عنهـا الكرم والحفـاوة ومفـاخـر اصحـابهـا، فمـا ان تعرف صـاحب الدار على ضـيـفـه حتى رحب به واكـرم وفـادته، ثم سـامـره بعـد ان غـادر المجلس رواده، وأسر إليه بأبيات يود سماع رأي الشـاعر فيها، قال الشاعر هاتها، فقال :

لي سيد انا احبه وماضي منه عِنْدْ ما ادري مُكُرْ والا طباع البداوة
وهو ملك لحيان واقفي على الهند وارض اليمن والشام مع ارض جاوة

وهو بذلك يمتدح زوجته بعد ان أشار إلى عنادها الذي يبرره بالدلال أو الطبيعة البدوية.

قال ابن سينان :

انت ارْبُحه مثل الذي يَشْعَبْ الصَّمْد ويرجى الحيا من ناوة بعد ناوة (١)
ان كان هي فلّة تَنْشَر من الورد راح الغضب وانْته عليك الرضاوة
وان كان هي هي عَنْدة وظلّت على العند ما تنْغذى جعلت لراسك فداوة
والزاد لو انّه رمِي به على الجَمْد لو تاكله ياسبد ماله هناوة (٢)

ثم غادر الشريف المجلس، وعندما دخل على الزوجة قال لها : اسمعت كلام ابن سنيان؟ قالت : نعم، قال : ثم ماذا؟ قالت : انا لن اجد خيرا منك ولكن كما تعلم فاختي الرابعة شارفت على سن الزوجية واقترب قطافها، وأخشى ان يحصل منك ما حصل في الماضي، قال لها : اعدك بألا يحصل ما تخشين حدوثه، قالت : أدن المصحف والسيف واحلف بالله وعاهدني على صدق هذا القول»، فعاهدها وأمضيا ليلتهما سعيدين سعادة الأرض بذلك المطر الذي شهد انفراج أزمة دامت حولاً.

وفي الصباح طلبت من زوجها ادخال البضاعة التي ينوي الشاعر بيعها في سوق «ينبع» فادخلت وأمرت بأن يخرج من المخازن من المؤمن والملابس ماتزيد قيمته عن قيمة بضاعة الشاعر وان يعطي مالا من النقود، وعندها لم يجد الشاعر حاجة لمواصلة السير إلى ينبع فكلما كان يود الحصول عليه منها تحقق من هذه الليلة ذات المطر العميم فعاد إلى دياره.

---

١ - يشعب : يشق للزراعة. الصمد : الأرض الجبلية التي لا تصلح للزراعة وقد تجود. الحيا : المطر. ناوة : من النو (مواسم المطر).
٢ - الجمد : الجمود. لو : إذا.

٢

وكان لرجل يدعى «ضيف الله اليمني» جار من الموالي يدعى «عطية» يصنع السكاكين ويصلح الخناجر والسيوف، واحتاج «عطية» فطلب من «ضيف الله» المساعدة فاعتذر إليه.

وبعد أيام احتاج «ضيف الله» إلى «خوصة» حادة فتوجه إلى «عطية» وقال :

ياصاحبي ياعطيَّه سوْلي خُوصه كما الموس
أقطع بها في اللحم وتكسّر العظم الصليبي «١»
مدْرِج قراها ومُرَهَفْ حدُّها وتقطِّع الروس
إن قيل : من هو صنعْها؟ قلت : سواها صحيبي «٢»

ولكن «عطية» تذكر اعتذار «ضيف الله» منه من قبل فقال :

والله يا ابو «سعيْد» ما خَبَرْنا شي مدسوس
والا اسوِيه قبل الشمس اشعتها تغيب «٣»
والناس ما تخلق المعدوم أو تشريه بفلوس
وانته خبرت العلوم ان كان في المعنى طبيب

فهم «ضيف الله» المعنى وانصرف ثم قال :

ياصاحب القَيْنْ ما حصّلت خير ولاش ناموس
القَيْن صحبة صحيبة منقطع منها النصيب
وهو خرج البحر مشرى بدين وعرض وفلوس
ما يصحب القين غير اللى من النسّبه قريب «٤»

ويعترض «عطية» قائلا

الصاحب اللى يَبيْ من صاحبه ويروح ملُوس
عساه عند المرض، يطيب والا ما يطيب «٥»

---

١ - خوصة : نوع من المدي والسكاكين تحمل للحاجة.
٢ - مدرج : مصقول. قراها : مقبضها.
٣ - والا : حتى.
٤ - خرج البحر : الرفيق.
٥ - يبي : يريد. ملوس : بدون فائدة.

والناس ماهم سُوى مثل الحبال جداد ومرُوس
واخر كما الحايل اللى مايجي منها حليب «١»

* * * *

٣

ومن النوادر ان رجلاً حرم من انجاب الأبناء، فنذر ان رزقه الله مولوداً ذكراً ليخبئه كما تخبأ الفتاة، وكان من عادات العرب ان تبقى البنت في خبائها ولا تظهر للناس حتى يوم زفافها إلى بعل، وذلك لعدة أغراض، من اهمها المحافظة على الصحة والوضاءة لعدم تعرضها للشمس والأعمال الشاقة، ويعمد إلى ذلك من ليس في حاجة إلى خدمة ابنته في اعمال الرعي وخلافها مما يشق على البنات.

ولقد من الله على هذا الرجل فرزقه مولوداً ذكراً، وعندما اصبح الطفل غلاماً وفي الرجل بنذره وأدخل ابنه الخباء، وانتقل إلي حي آخر بعيداً عن حيه ليسهل تنفيذ الفكرة.

لم يعرف فتيات الحي اللاتي يشاركنه الخباء - أحياناً - انه فتى، حيث لم تظهر عليه ملامح الفتيان بعد، وكان الفتى يصطحب معه جرابا لا يسمح لأحد ان يطلع على مابه.

كان هدف الاب من خباء ابنه تحقيق غرضين (الأول) غرابة الفكرة وصعوبة تحقيقها مالم تكن الطاعة متوفرة من قبل الابن، (الثاني) المحافظة على الابن وتربيته تربية مختلفة عن تربية ابناء القبيلة، فكان الاب يعلم الابن في خبائه الفروسية وشؤون الحرب والحياة، ويغرس فيه كل الصفات التي يحلم الأب بأن تجتمع في ابنه.

وكان الفتى يأنس إلى فتاة تشاركه الخباء كما كانت تبادله هذه المؤانسة، ولا يعلم أكانت تعلم الحقيقة أم انها استطابت فيه شمائله كفتاة لا تشاركها اهتمامات الفتاة فتبزها فيها :

١ - الحايل : الماعز التي قضت حولا دون ضريع.

وعلى أية حالة، مرت سنوات على خباء الفتى حتى أصبح من الصعب اعلان فتوته لاختلاطه بكل فتيات الحي باعتباره فتاة، وكانت الفرصة المواتية لانهاء هذا السجن الطريف ان هجم على الحي غزاة واستاقوا مواشيه من الابل والخيل والاغنام ولم تستطع النجدة استعادتها، وعندها أعدت أم الفتى الفرس المعدة له واخرج من الجراب بندقيته وامتطى صهوة الفرس وكر خلف الغزاة وتمكن من استعادة السلب وعندما عاد إلى الحي بالسلب لم يعرفه رجال الحي أو نساؤه فذهلوا من يكون فأجابهم:

أهْلي رواج بالتّرْهواج	يفداه عن سرواج سَمْعَ اللجاج
ذرعانها اللى للمساهيج مدّراج	ريفيَةٌ مسهاج ما اروح واجي
رياح صرْصرْ بالخلا تلْعج لعاج	باقصى ضميري طيُرَن العجاج
ان جيتَ اقُص خْطّاي وامشي بالادراج	ولْيا ان سيدي قاعدا بالدواجي
ابو ثمان بيض يشْدَنْ للعاج	لا عظم عقْبلي ولا عظم عاج

وابتهج الحي بهذه المفاجأة، وعرف الفتى وتم زفاف الفتاة التي كانت معه في الخباء إليه، واشار في هذه الأبيات إلى اهله وفتاته وفرسه.

* * * *

٤

ويذكر أنه عندما تقدمت السن باحد الرجال واحس بدنو أجله، وكان ذا مال وفير ووليد وحيد، وخاف ان يقع الابن من بعده في شرك الانتهازيين، وتدفع الحرية الابن إلى اساءة التصرف فيفقد ماله ومكانته الرفيعة، فاوصاه إذا ما حدث له مشكلة من صروف الزمان ان يذهب إلى اصدقاء الأب الذين يعرفهم الابن وحدد له واحداً منهم كان صاحب تجارة وأمانة.

توفي الأب، وآلت امواله واملاكه إلى ابنه الذي ملك حريته فوقع في بعض المحاذير التي خشيها أبوه، ومنها ان ركن إلى الملذات وبخاصة النساء اللائي اغراهن الشباب والمال، وكان من نتائج ذلك ان حملت احداهن منه وكانت من

بنات أحد الاعيان، ولما عجز عن التصرف في هذه المشكلة تذكر وصية أبيه فاستدعى أحد خدمه وسلمه رسالة إلى صديق والده، ووعده ان رجع بحل للمشكلة فله ما يشاء وان لا فلا، وكانت الرسالة عبارة عن لغز في أبيات هي :

غـراب غَـرَبْ راب غـراب مـغـربا	يجي بالخبر من يم ذيك المصادر
عليْ رِكَـاب عُلْط مَلْطْ مـوالط	عَوالط موالط كافلات الحواصر
ولِعْ ولْعها من قلْعها تحت ضلعها	خَفاخَرْف حيَّرني قليل الناصر
عسى في عسى في عسعسى في عسى انها	عساها تجي بمي وعساه قاصري
كما في كما في كم كما في كما انها	تولع بها قلب ضعيف الباصر

سلم الرسول الرسالة وفهم الصديق محتواها وبادر بحل المشكلة ووقف إلى جانب الشاب وكانت سببا في رده إلى جادة الصواب.

* * * *

٥

وكان الشاعر صلاح بن عاتق الأحمدي وهو من الشعراء المقلين، ذلك انه لا يستهويه من موضوعات الشعر غير ذلك الذي يسجل موقفاً اجتماعياً مرحاً فهو في شعره كرسام الكاركاتير يشدك إلى الرسم شكلاً فتتأثر سخرية، ثم تتأمل الرسم فتجد الرسام اودعه كثيراً من الرسائل اللاذعة، وقد حدث لشاعرنا ان امرأته كانت تهوي تربية الدجاج البلدي لما عرف عن بيضه من فوائد طبية ولأنه «يحسن». كما تقول - مخلفات المنزل من الأكل الزائد التي عادة ما ترمى في صنادق النفايات وكانت سيدة صالحة تأنف من ذلك، وكان يقود هذا الفريق القوي من الفراخ ديك ينفرد بالقيادة ولا ينافسه في السلطة والنفوذ ديك آخر، وقد ادى الغرور بهذا الديك ان ينافح قطط حي «السبيل» في جدة والتي كانت تترصد الدجاج فرادى فيذود عنه الديك بكل شجاعة وبسالة، مما أدى بالقطط ان تتضافر وتتكتل وتهجم على الديك الذي كثيراً ما يذودها عن فراخه، وكما تعود هذا الديك القوي واجه معركة القطط ولم يتراجع امام احاطتها به فقاوم وقاوم ثم خرج خريجاً ولم يطل به المقام حتى مات.

حزنت «الزوجة» على مصير الديك الذي كان يملأ ساحة البيت صياحاً وخيلاء واستعلاء تارة وحناناً تارة أخرى على نسائه المطيعات، فأراد الشاعر ان يواسيها ويعزيها في وفاة الديك فأنشد :

لا تكْرهين اللى حــــصل يا «ام فــــوزان»   الرأس ســـالم والفــقــيــدة دجــاجــة
لا هو ولـد شـيـخ ولا ولْدْ شَـيْـهـان   ولا هو طريح الخـــيل وقت العـــجــاجــة
ولا تجزعين، الحزن مايقضي الشان   والدْيك مـــات وفكّنا من لجـــاجـــه

* * * *

٦

ورد الشريف «عبد الله بن زريعة» من أعيان منطقة «ينبع» إلى بئر «عويص» وكان عمره يناهز الثمانين حولا، ووجد على البئر ست بنات يسقين ابلهن واغنامهن، وكان لكبره يضع يده فوق عينيه تجنبا للضوء وتركيزاً للنظر فضحك البنات، فتولى إلى ظل شجرة تنتصب جوار البئر، وألف ابياتاً ثم عاد إلى البئر وخاطب البنات بالأبيات قائلاً :

الله يسـعـدك يا عـداً عليـه الورْد زافـات   كثْرت عليه الورود وجابهن عشْب النبات «١»
انا وردتك نهـار وشـفت عندك ستْ غـرّات   وانا ســبب علتي شـوف البنات المحصنات
قالن : شويْب يعاند بعدما عصره سلف فات   يعـاند اللى على اول في سنينه مـقـبـلات
وقلت : شـيبي خـلائع من زمان فيـه شطّات   والا تراني جمل وانطح جميع النايبات «٢»
والعلم الآخر حصاني مكتمل في كل طرقات   ومن لايصــــدق يدقق في طوالع بيْناتي
واثني واحط الرهن للى يوافق بالمصـافـات   بالحل ما اريد انا بعض الدروب المنحيات «٣»
أرد وارْسي واقـاضي من تحـدّاني بالاثبــات   وان كان ما صحْ قولي غير اجنْبْ بالثبات «٤»

١ – زافات : جماعات متتالية.
٢ – خلائع : جمع خلعة من الخوف المفاجيء «فجعة». انطح : اواجه وأقابل.
٣ – المنحيات : المخالفات للشريعة.
٤ – ارد : أعود وأوكد. وارسي : اثبت. اقاضي : عند القضاء. غير : لا بد أن.

يصر الشاعر على انه لما يزل يحمل صفات الشباب، وان هذا الشيب الذي يتوج فوده ليس إلا من معقبات قسوة الزمن والكفاح والمفاجآت، وإذا لم يثبت ذلك فسوف يستسلم للخصوم

* * * *

٧

اختلف رجلان من البادية، واحتد الخصام بينهما، وتدخل المصلحون فلم يستطيعوا حل الخلاف، فاتفق الرجلان وكان احدهما يدعى «عيد» والآخر يدعى «جريْ» على ان يذهبا إلى «الحق» وهو بمكان القاضي اليوم، وحكمه نافذ، مع أنه خليط من الشريعة والأعراف القبلية.

وفي صبيحة يوم توجها سويا إلى «الحق» وكان في قرية بعيدة، فكان «عيد» يمتطي جملاً له، أما «جرى» فإنه يسير راجلاً إلى جوار الجمل حاملاً اشياءه فقال:

يا «عيد» راكب والخوى ينقل الزاد ذي سالفة يا «عيد» ما احد رواها

فأجابه عيد:

يا «جرىْ» انا للربع ضايق وحقاد وبعض العرب يا «جْرى» ما ابغى خواها

فرد عليه:

الضيق قسم اللاش عن قسم الاجواد عزى لغلمة ضيقها هو جداها

وعندها طلب «عيد» الميل إلى ظل شجرة للاستراحة. فعاجا وتناولا شيئاً من الزاد، وقال «عيد»: ما رأيك في ان نتحاكم إلى بعضنا ونفصل في القضية ونجعل السيف حكما بيننا؟ قال «جرى»: نعم ما قلت، فأنا رجل وانت رجل ولن يحكم «الحق» إلا بما يسمع من كلينا.

وضع الاثنان السيف فيما بينهما رمزا للعدالة وتقدم المدعي وطرح دعواه والآخر ينصت إليه، ولما فرغ هذا أجابه الآخر، واستمر الحوار ساعة ولكنه انتهى بالفصل في القضية واقتنع كل منهما وعادا راضيين وقد وفرا مشقة المسير إلى «الحق».

* * * *

٨

ورغم شظف العيش الذي شهدته البلاد في تلك الفترة فإن الشيء الذي لم يتزعزع أو يضعف هو الثقة المتبادلة بين الناس واحترام الكلمة والوعد، وحتى الحاضرة الذين يوصفون بالدقة والعملية فإن الثقة فيما بينهم كانت على أعلى المستويات، وترتفع أكثر فيما بينهم وبين البادية وبخاصة المعاملات التجارية، وان لم أكن دقيقاً في هذا الزعم فإن شيئا من الثقة كان ينقل عن ذلك المجتمع في ذلك الزمن صوراً من الوفاء وحسن المعاملة ما يخفف من تحميل الحياة أكثر مما تحتمل من الوصف المجحف.

فمن الطرائف ان شيخاً بدويا ذهب إلى تاجر في ينبع ليمتار منه بعض المؤونة، ولكنه لايملك من المال ما يفي بثمن تلك المؤونة فأبدي للتاجر مقدار ما يريد منها وانه لا يحمل ثمنها كاملاً ويأمل الموافقة على الصبر أياماً وسوف يقوم بالسداد.

تطلع التاجر إلى الرجل بفراسة وأحس بصدقه فوافق على ذلك، وامتار البدوي مشترياته بشجاعة فائقة، وقام التاجر بالتسجيل وعندما طلب من البدوي ذكر اسمه ليدونه في سجل الديون تردد ملياً دون ان يشعر التاجر بتردده، ثم قال له: اكتب «عرعور بن ملحة» فكتب التاجر ذلك ورحل البدوي.

لم يكن اسم البدوي «عرعور بن ملحة» ولكنه خجل ان يكتب عليه دين، وخشي ان يشهر به التاجر بين عملائه وهو الذي لم يعرف انه استدان قط.

وبعد أشهر شعر التاجر بتأجر البدوي عن سداد الدين فأخذ يسأل كل من رأى من البدو عن «عرعور بن ملحة» فتكون اجابتهم واحدة ذاك اسم جبلين في ديارهم. ويئس التاجر من سداد الدين، وندم علي ثقته في الرجل، حتى أقبل العيد وإذا برجل يقف مسلما شاكراً ومقدراً ومقدماً ثمن تلك المؤونة وهدية من نتاج البادية.

قال التاجر : انت عم رعروع بن لحمة!

قال البدوي : عرعور بن ملحة

نجابة الابناء والأنسان

١

يحرص العربي على نقاء النسب، ويتحرى عند زواجه أو زواج ابنائه الاصالة في النسب، والصلاح في الأرومات، وقد ايد الاسلام هذا الاتجاه حين أوصى بحسن الاختيار «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا اليهم» الألباني (٣٣٣ - ١٤٠٨، ١٩٨٧)، وهذا مبحث يطول تناوله، وربما أشرنا إلي بعض الاتجاهات القبلية في اختيار الأصهار، إذ ان هذه العملية تحكمها ظروف اجتماعية معاشة ربما كانت الدافع عند اختيار الزوجة، منها الأمل في نجابة الأبناء، واكتساب السمعة الحسنة، ومنها الوقاية والحماية من جماعة أكثر منعة ونحو ذلك.

وعلي الصيادي الجهني تزوج من بنات رؤساء القبائل وأعيانها أملاً في نجابة الأولاد، ولكنه يعتقد ان بنات الأعيان لسن جميلات في كل الأحوال، لذا رغب في ان يتزوج من امرأة جميلة يمتع بها نفسه في أواخر أيام حياته، حيث لا يهمه في هذه المرحلة الانجاب بقدر ما يهمه الاستمتاع بالنساء.

وفعلاً، تزوج من فتاة جميلة ليست من بنات الأعيان، فتمت له المتعة والسعادة وانجب من المرأة ولداً حسن الوجه، يبز اخوته من الزوجات الأخرى وضاءة ووسامة، ولكنه يفتقر إلى صفات حازها اخوته، منها تسابقهم في قضاء طلبات أبيهم وتوانيه، وحيوتهم وخموله، فضاق صدر الأب وشعر بمرارة ألا يكون في هذا الولد من الصفات مايتوق أ إلى وجودها في أبنائه، ولم يفكر هذا الأبد في التنشئة التي لقيها كل من أبنائه، والتدليل الذي ربما خص به آخر العنقود كما يقولون، وعلى اية حال فقد أنشأ الوالدالأبيات التالية:

جـــوْدْ ولدك إذا تعليْت الانســـاب	يعـجـبك حَـبُك لا تعلّيت في ذراه (١)
عُـودَ الضَـرَمْ مـا يُوقِـدَ النار مـشْـهـاب	ولا كل من كـثُـر برقـده وقـهـواه (٢)
شـوف الحـبْـيْنة مـايجي عُـقْـبـهـا داب	والذيب عَـقْبْ للغنم ذيب مـالاه (٣)

١ - جود: أحسن اختيار أم ولدك. حبك: القربة.

٢ - الضرم: نبات سريع الاشتعال سريع الخمود يستخدم علفا للماشية. مشهاب: قبس.

٣ - الحبينة: الحرباء. عقبها: نسلها. مالاه: مالأه وكافاه كفؤ.

وجـــعـــان لو انك تكُوَيه مـــاطاب   علَه لخــــاله بَرْدَة الرجْـــه واعـــداه

* * * *

٢

وعندما تقدمت بالشاعر عبد الله السديري السن قال من أبيات يوصي ابنه

فارلشــوف ديّاني وقف لي على البـــاب   يبـغى الوفـا مني ويبـغى حـــسابه
مـــا ينْسى دينا تقـــفُـــاه طلاب   ولا يفكُ الدين كُــــثْـــر الطلابه
يافـارس اوصّيك في حــفظ الانســاب   كُلّش تعـرُض فـيـه غـيـر النسـابة «١»

* * * *

وارسل الشاعر راشد بن سنيان إلى محمد سعيد بن فواز الشاربي وكلاهما من الاحامدة قصيدة منها :

لو مــركب الدخــان مــشـحـون لولي   وجنيـه صنبـولي وبونتي وبونات «٢»
مــاهو ثمن في داعـجـات العـيـون   اللى منافـعـهن كـمـا غـيـث جـازات
اللي يجـــبن العـــيـــال القـــروم   خطْوَي ولد ياخذ على الرَبع نَوفات «٣»
ان قلت له فُكَ الخَلَقْ قــال : كُـــومي   وان قلت : كيف الراي؟ عنده شطارات «٤»
عند الرحـــيـــمـــة مـــا يدُور العلوم   يقـدّم لهـا بالمكـسـبـة والخسـارات «٥»
وان علَيتْ الاســـعـــار واقف ويُومي   مـــثل المُواَسي يدُرجْ عند الابيـــات «٦»

* * * *

---

١ – كلش : كل شيء.
٢ – مركب الدخان : الباخرة تمييز عن السفن الشراعية. صنبولي : استانبولي عثماني. لولي : لؤلؤ. بونتي وبونات : عملة نقدية.
٣ – القروم : البواسل. نوفات : تفوق.
٤ – كومي : كناية عن الاستجابة السريعة.
٥ – الرحيمة : أخت الزوجة وأمثالها. العلوم : الرغبات المسيئة إلى الخلق.
٦ – يومى : يشير مرحباً. المواسى : الذي يقدم المواساة. يدرج : يتجول. الاسعار : المواقف والحاجة والائتمان.

٣

والناس يدافعون عن انسابهم، ولا يعترفون بغير علوها وبخاصة في مواقف التحدي ومن ذلك ان جماعة من جهينة توغلوا في أرض حرب بقصد السلب، وهو ما كان يحدث دائماً بين القبيلتين وسائر القبائل المتجاورة في الجزيرة العربية، واحاطت الجماعة بقطيع من الأغنام لحرب، فاستاقوه إلى ديارهم واصطحبوا الراعي والراعية معهم، حتى إذا ما اقتربوا من ديارهم تخلوا عنهما ليعودا إلى أهلهما، غير ان أحد الغزاة طمع في خمار ترتديه الفتاة قد زين بالنقوش الحريرية والتل والخرز الدقيق، وتمناه هدية يقدمها لاخته التي هي في سن هذه الفتاة، ولم يتردد بل انتزع الخمار فاضفت الفتاة شعرها وسترت به وجهها وصاحت قائلة : «من أبوه جودُ خاله؟»، انه نداء فعال يعبر عن فطنة وذكاء الفتاة، حيث يصعب ان يجرد واحد من الغزاة نفسه من خلاصة نسب خاله، وسرعان ما يتقدم أحدهم قائلاً : أنا أبي جود خالي. قالت : إذا كنت كذلك فأعد إلي خماري من صاحبك، فما وسع الرجل إلا أن أعاد اليها خمارها، ثم قالت : وما دمت كذلك ألا ترد لي «حلائبي» لتؤكد ان أباك جود خالك، فرد إليها حلائبها، قالت : كيف يليق بي ان أعود إلى أهلي بحلائبهم واترك ودائع جيراننا؟، إني لن أرضى إلا ان تردوا لي كل أغنامي وأغنام جيراننا وأغنام هذا الفتى، ولكن رفاق الرجل لم يطيعوه على اهدار كسبهم من أجل مثالية مجحفة، فما كان منه إلا ان وجه إليهم البندقية مهدداً فاستجابوا إلى طلبه وعادوا ببعض الغنم الذي أسفر عنه الجدال، وغادر الفتى والفتاة الموقع بحلائبهم وودائعهم.

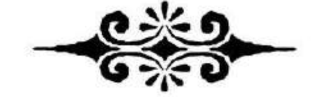
وأما الرجل الذي «أبوه جود خاله» فهو حمد الجهني شارك في حروب الثورة العربية التي قامت بين الدولة العثمانية وجيش الشريف في مدينة «أملج» وقتل في احدى معاركها.

* * * *

وفي مـرابع نجـدية شـاهـد رجل يدعى «دويك» قطيعـاً من الماشيـة فطمع في استـلابه، واذا هو يهم بالهجوم على القطيع واذا بصوت تحمله الريح إليه مرددا الأبيات التالية :

ان طعْـتني يا «دْوَيْك» عـذْر بالاطمـاع
لا تحـسب ام الدّيك ترعى وحـدها
من دونهـا نشْـمى على ظهـر مطواع
بمجـرد يندرك من عند يدها
مـتـقلّد سـيفـه وللروس قطاع
حليلتـه بنت صـغـيُر نهـدْها

* * * *



البحر في حياة الناس

١

للبحر جمال آسر فتان، نسيمه العليل.. وأصيله الساحر، وتراقص موجاته في عذوبة هدوئه، أو تكسرها عندما تقبل نحو الشاطىء فيمد إليها ذراعيه مستقبلاً حتى إذا ما يكاد أن يعانقها ذابت وتفرقت ممانعة أو مداعبة، ويظل الشاطىء ماداً ذراعيه وكل موجة تقبل فتذوب عند أقدامه كأنما هي تفسح المجال لموجة تتبعها وكل واحدة تختفي أمام اقبال الأخرى، حتى إذا ما جاء الليل تسللت موجات هادئة تصطبغ بلون القمر الفضي أو أمواج كاسرة عابسة تقذف غثاء البحر إلى الشاطىء.

وللبحر سحر أخاذ يكمن في أعماقه وصفحاته بما يشبع رغبة صنفين من عشاقه، صنف يأخذه للاستمتاع برؤيته وبعليل نسيمه الرقيق يمد بصره بعيداً حيث يلقي همومه ويدفنها بين أعماقه، أو يشبع الجسد سباحة وهواية صيد بأسلوب عصري حديث، أو أن هذه المشاهد الخلابة والأصائل الرائعة وتقلب صفحة البحر تثري خيال الشاعر فيستمد الالهام من جماله ومن وحدته التي يناجي فيها هذا المخلوق العجيب ذا الاسرار العجيبة والنظام الغريب، أما الصنف الآخر فذلك الذي وجد في البحر رزقه، فربط العمل بالهواية غير عابيء بالأخطار مع ترديده كل حين: «ان داخل البحر مفقود وان خارجه مولود».. فاستطاب الفقد والولادة المتكررين.

وقد درج أهل البحر على انه عندما تواجههم المشاق التي تحدق بهم وتعرضهم للموت يلقون بأمتعتهم، وقد يقترعون على القاء بعضهم في اليم كما حدث لمركب قادم من «جيزان» يحمل ابقاراً وبمحاذاة «القنفذة» هاجم المركب مجموعة من «قروش البحر» أو كلابه وكادت أن تقلب المركب مما اضطر البحارة أن يلقوا لهذه «القروش» بين فترة وأخرى بقرة من الحمولة، حتى لم يبق بقرة واحدة

فاقترعوا على انفسهم، انه صراع من أجل البقاء وقانون رضيه رجال البحر، وهو نظام يجعل البحارة أشد عسكرية في البحر من حيث الطاعة وتنفيذ الأوامر والرضوخ للواقع حين يهدد المجموعة خطر قد يدفعه عنهم تضحية بقليل لينجو كثير.

وقدر لأحد رجال البحر المسنين ممن قضوا حياتهم في البحر الأحمر يبحثون عن الصدف ويصيدون الأسماك فيجففونها، ان قذفت الريح بمركبهم إلى وسط البحر وعندما تنفس الصباح وقد استسلم مركبهم لنسمة عليلة حولت أنظار البحارة إلى الماء حيث رأوا حوتاً كبيراً برز لهم رأسه فوق صفحة البحر كقمة جبل سوداء، فأخذ البحارة طبولهم وصفائحهم التي ينظرون من خلالها كمجهر إلى الأعماق لرؤية الصدف أخذوا يدقونها ويهللون ويضجون حتى توارى الحوت في الأعماق، ويذكر ان هذا الحوت غير خطير ولكن بامكانه ان يبتلع ثلاثة رجال لقمة واحدة.

* * * *

٢

و«ابن عساف الجهني» من الشعراء ومن عشاق البحر الذين امتطوا صهوته للصيد والتجارة بين شواطىء البحر الأحمر، وأمضى شبابه ورجولته بين زرقتي البحر والسماء اللتين تلونهما ريشة الطبيعة المبدعة في صفائها وتلبدها بالغيوم، وكان يمتر البحر الأحمر جيئة وذهاباً بين مدن الشاطئين الغربي والشرقي حينما كانت الجاديف والقلوع والاخشاب تؤلف علاقة وطيدة بين الرياح وهمم الرجال وخبراتهم، ومع انهم «دود على عود» إلا ان هذا الدود كثيراً ما تحدى سطوة البحر وقسوته.

لقد كسا البحر «ابن عساف» ثوبا يوحي بالغلظة والصلف، فاذا ما ابصرته لم تتصور ان بين جوانح هذا الرجل المنهك القوى قلباً رقيقاً تفيض عباراته رقة

وجلالاً، وان كدح النهار يسارع بالنوم إلى جفنيه، لا فلقد كانت سمسميته وربابته معلقتين على الصارى، فإذا ماجن الليل وتناثرت لآلئه على وجنة السماء أشعل النار وطرد الرطوبة عن الربابة وأخذ يردد أعذب الالحان لأبلغ الكلام، ولقد رسا مركبه ذات مرة في «بورت سودان»، وكان آنذاك أصغر البحارة فأرسلوه إلى السوق ليأتي لهم بطعام، وكان في العشرين من عمره، وعاد إلي صحبه مشغول البال شارد الذهن، يعاني من سر دفين فطن إليه أخوه الاكبر فعجل بالابحار خشية ان يتخذ قراراً يثنيه عن الرفاق، فيفقد الرجل أخاه، فكثير من البحارة الشباب عندما يجدون رغد العيش في غير بلادهم ويتذكرون شظفه فيها تحلو لهم الهجرة، وظلت عينا الفتى في ابحار آخر متعلقتين بالشاطيء الغربي، حتى إذا ما اختفى تمثل الفتى بقول الشاعر :

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وعندما هجع الخلي، وحول الليل زرقة البحر إلى ظلام حالك لا تسمع غير خرير الماء حول المركب تشقه مقدمة المركب، وحينا يصفع السمك الطيار خد البحر هارباً من سمك أكبر يود افتراسه عند ذلك تحولت الأنظار إلى السماء تهتدي بنجومها التي انفردت بصفوها حين غياب سيدها القمر، وتنهد الفتى وداعب الربابة بالقوس مردداً في لحن شجي :

الليلة امسيت انا ما بين مالي والتفاكير
من حيث ما لذّت الاعيان شافت ما شقاني
يقول ليلة خَرجْ من بحر «بُورت»، ومن كُفْر الخنازير
أحمدك يا اللى خلق في الكفر زَيْن البرهجان
العود خُوط القَنَا ونهود في صدره زُوابير
يامثل بَلُّور مسلوب الحشا زين المثاني

عز الله انه من الطيبٍ وجسمه عود الاكسير

يسْقي من الورد وانا بِتْ ظامي ما سقاني

قفّوا وقفّيْت ودموعي على خدي مقاطير

يامن يعذل الدموع اللى كما جَرُّ السواني

انه يعبر عن موقف شهده في السوق، فتاة انجليزية فاتنة اعجبته وذهل ان يكون في النصارى هذا الجمال.

* * * *

٣

وإذا كان البحر قد القى بابن عساف إلي الشاطىء وهناك عشق فإن «عمران الحيدري» أمير قريتي «عين علي» و«شعشاء» من قرى «ينبع النخل» تقاذفت الأمواج مركبه وغيبته عن الشاطئين وكان في طريقه من «ينبع البحر» إلى «جدة» لأداء مناسك الحج وفي صباح يوم العيد لم يجد أمامه سوى صديقه «الحساني» فقال :

العيد جانا وحنّا في البحر ماشين بالهون ... لاعند «جدة» ولا «ينبع» ولا عند الباني

ولا عند خطبة ولا قَرْية ولا حي يصلون ... ولا عندنا من حكّال العيد شي يا الحساني «١»

واقول ياليتني حجّيْت مع اللي يحجون ... واكمّل الحج بالعمرة وبالركن اليماني

ولا تخلّفت يوم الناس في الموقف يلبّون ... في وسْط باحه وشعبان ونومي ماهناني

أثْرا البحر حالته حالة بخبر اللي يعرفون ... الرِّيسْ يلعب بنا لو ما رياستنا ذهان «٢»

بالعون ما اسبهم والله ما هم من يسبون ... مير اتوجّدْ على الاوطان واكمال المعاني

ولا أشق علي الشاعر وهو شيخ في عشيرته من ان يأتيه العيد وهو تائه في البحر ومكانه في مجلسه خال وقد تعود ان يملأه بوجوده.

* * * *

١ - خطبة : خطبة العيد . حكال : لوازم.

٢ - الريس : الموج المضطرب . ذهان : أهل فطنة وخبرة.

٤

وإذا ما أسر الحب «ابن عساف» في رحلة بحرية وغيب «عمران» عن مجلسه في يوم عيد، فإن شاعراً آخر أخذه البحر ثلاثة شهور من اشق شهور العام انها شهور الشتاء، فقد أبحر من «ذهبان» بلدة بين «جدة» و«رابغ» في آخر فصل الخريف متوجهاً إلى «رابغ» في رحلة تجارية ولكن الرياح تقاذفته جيئة ورواحاً حتى انتهى فصل الشتاء وإذابه في «المويلح» قرب خليج «العقبة» وما اشق رياح الشتاء قال الشاعر :

هبت ازيب» وصدتها شمال واصبحت كل ديرة شاربة

فالأزيب ريح الجنوب إذا ما اقبلت نحو الشمال صدتها الشمال، فلقوتهما وسرعتهما واصدامهما يعم المطر الديار التي تهب عليها هذه الرياح التي قادت مركب الشاعر إلى الضياع وحرمته من أنس الزواج وبهجته، وعندما اشرف على الموت نظر حوله فوجد رفاقه وقد تحولوا كالجذوع المحروقة مما شاهدوا من أهوال وما قاسوه من مشاق، والتفت إلي صديقه «مشخص العتقي» فوجه إليه قصيدة طويلة يقول منها :

سلام مني ياعقيد الحمام يافلْ معْ كادي ويا خُوط رَيْحان
ياعُود ما وَرْدي وياعطر شامي ياخوخ ما يسقي ولا يطوله انسان
جَنْيَ النحل من زَايمات المحامي من اول الفينة» على راس «ورقان» (١)
يا «مشْخَص العُتْقي» تروِّي كلامي شوف العبارة كيف يا غاية الشان (٢)
بيني وبين المنتهي بحر طامي و«ازيب» لها مزن مريش بطوفان (٣)
الله من روح تحطَّم حطامي ياليت ذي الخطرة وذا الجوش ما كان (٤)
ثلاثة اشهر كلها ياغرامي فضيتها وانا من الهم وجلان

١ - زايمات : عاليات المواقع. المحامي : المناطق المحمية من الرعي. الفينة : الباكورة في الأزهار.
٢ - تروي : تأمل.
٣ - أزيب : ريح الجنوب. مريش : كناية عن كبر حجم البخار المتصاعد إلى السماء.
٤ - الخطوة : السفر والرحلة. الجوش : الرحلة، والخطوة السفر القصير والجوش السفر للتجارة.

أفـرح بحـضـرتكم وتبـرد عظامي	يوم انتبـه وانظر ولا مـاش حيـان
الا سـواويد بـداجي الظلام	مثل البتر عساك للقوم عبدان
والله من قلب غـدا في انعـدام	وين «المويلح» من «ابو جادي» و«ذهبان»
ولا ياغـزال البـر مـافي الادام	العـفـو لله ماتشابهك حيـان «١»
«رابغ» ومـا في نزلها من جـهـام	مـا واحـد مثلك بصرته بالاعيان «٢»
واهل «المحا» و«القنفذة و«الحزامى»	مثل «البوش» وانته على الكل سلطان «٣»
تامـر وتنهي في الربوع الحـشـام	يفرش لهم عندك مجالس وديوان
أيمنك «صـدر اعظم» بعد السـلام	وايسرك عبد الفرن شباب نيران «٤»
أربعـمـائة مليـون غـيـر النظام	والفين فارس كلهم ترك شجعان
مـا يعـرفـون الموت وان جـا الطغـام	خلوا عظامـا بالقواديح شـتان
يا من درى حنا مـعك بالذمـام	والا انت مشقينا على غير قبلان

* * * *

لقد بالغ الشاعر في وصف محبوبته ومنزلتها الاجتماعية، ثم اختتم القصيدة بشكه في صدق مودتها له، فعسى الا يكون أصابها الغرور لما طرحه عليها من القاب وصفات، وتحفل القصيدة بكثير من تقاليد المعاصرة في زمن الشاعر، وبثقافته الاجتماعية، ورحلاته إلى كثير من المدن المطلة على البحر الأحمر.



١ - الادام : نوع من الظبا، أو يقصد البشر لا سيما وقد جاء بعدها كلمة حيان وتعني الناس
٢ - رابغ : المحا، القنفذة، الحزامى، المويلح، ابو جادي، ذهبان : كلها مواقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر.
٣ - البوش : جمع باشا. ٤- عبد الفرن : المسؤول عن التغذية والضيافة والولائم.

فروسية ورجولة

١

ليست الفروسية هنا ركوب الخيل وسباقاتها، ولكنها صفة لازمت الرجال مجسدة الشجاعة والاقدام والكرم والعفة والصفح والترفع عن دنايا الأمور وغير ذلك من الصفات المحمودة، مما كان يتصف به الفرسان في المجتمعات القديمة، وقد يحدث شذوذ في هذه القاعدة عند فروسية المجتمعات الهمجية وهذا لا يسلب الفروسية معانيها الرفيعة، ويقول عنترة بن شداد :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

ومن الفروسية ما حدث بين غزاة من «هتيم» تيمموا ديار «جهينة»، والتقوا بقبيلة «عروة» التي استبسل فرسانها وصدوا الغزو بقيادة زعيمهم «سالم العروي» واصبح الغزاة أسرى لجهينة فاكتسبوا بالأسر المنعة من القتل لاسيما بعد ان قالوا : «نحن في وجه سالم العروى» وقبل حمايتهم.

وبعد تفقد الرجال من «عروة» وجد ان «سليم العروى» كان من بين القتلى، وجاء المخبرون يحرضون أخاه «سالماً» على الثأر له، ولكنه أبى ان يتراجع عن الحماية فأكرم الغزاة وجهزهم في طريق العودة إلى ديارهم.

* * * *

٢

وغزت قبيلة «عنزة» بقيادة أحد زعمائها «مطلق الايدا» ديار «جهينة» وقابلتهم قبيلة «العرف» من جهينة بقيادة اميرهم «دخيل الله العرفي» وانتهت المعركة وعاد كل فريق إلى دياره وحيه وقد أصيب «دخيل الله العرفي» اصابة شفي منها.

وبعد عام أعاد «الايدا» الكرة والتقى الجمعان وانتهت المعركة بأسر «الأيدا» نتيجة لطعن فرسه، وأتي به إلى خصمه «دخيل الله» وقيل له : هذا خصمك الذي طعنك في المعركة السابقة أسيراً بين يديك فأذن لنا بقتله، فأمسك «دخيل الله»

بيد أسيره وقال له : «أبشر بالسلامة»، وإذا بفارس يتقدم نحو الحي مسرعاً عرفه «الايدا» وقال : هذا ولدي عاد يبحث عني فاسمح له يا «دخيل الله» ان أحادثه، فكلمه وقال له : عد إلي القبيلة وسوف الحق بك فقد منحني «دخيل الله» الأمان.

وقام «دخيل الله» باكرام «الايدا» واهدائه وتوديعه سالماً.

* * * *

٣

وحدث ان أجدبت ديار «جهينة» فالتمسوا النجعة في ديار «بلى» التي شهدت عاماً مربعاً، وكان ذلك في عهد زعيمها «سليمان بن رفادة» فأذن لهم، وتجتمع «جهينة» و«بلى» في قضاعة، وكان العرف وتحاشى المناوشات القبلية يوجب الاستئذان للنزوح إلى ديار القبائل الأخرى.

وانتقلت احياء كثيرة من «جهينة» إلى ديار «بلى»، وصادف ان طلبت الدولة العثمانية من «ابن رفادة» بعض رجاله لنقل أعمدة التليفون أو قضبان السكة الحديدية، فاصدر «ابن رفادة» أوامره لرجاله ورجال «جهينة» المجاورين له للقيام بهذا العمل، فاستجاب الجميع لهذا الطلب إلا رجلاً من «جهينة» يدعى «حسان المرواني» فإنه لم يحضر حتى الاجتماع الذي عقده «ابن رفادة» وأعلن فيه طلبه، فارسل إلى «حسان» رسولاً ينذره بأنه يجب ان يرحل خلال ثلاثة أيام وإلا يصبح دمه بعدها مهدراً، وماله مسلوباً، فرحل «المرواني» وتبعه فريق كبير من قومه، وعندما بلغ دياره وكانت مجدبة لامه بعض الرجال وابدوا استعدادهم لمساعدة رجال «ابن رفادة» وليس في ذلك غضاضة ولا اقلال من مكانة رجالهم، وعندها فكر الرجل ودرس الموضوع بروية ووجد انه برحيله عن ديار «بلى» جلب الضر لعدد كبير من احياء القبيلة التي رحلت معه، وان طلب «ابن رفادة» لم تكن فيه اهانة له أولهم، وانما فيه تضافر جهود مع رجال أفسحوا المجال لهم لترتع مواشيهم في ديارهم ولتحقق نوعاً من تبادل المصالح بين القبيلتين الشقيقتين، وعندها أرسل إلى «ابن رفادة» رسالة اعتذار ضمنها الأبيات التالية :

«ابن رفادة» نال هذي وذية   زين المعاني لمها حسب الافكار

ربيع للخطار والأهلوية   على القسا واللين ولوذات الاسعار «١»

يا ذيب يا داير على «الكيهمية»   ياسبع يا دايس على كل فجار «٢»

تدوسهم بعلوم ما هي غبية   وتحشهم حش المعلم بمنشار «٣»

يا عد ما تزفاك كل الدلية   جمك غزير وغاليا كل الانهار «٤»

يا ريد من نادوا عليه بجنية   حطوا عليه ختوم باقرار وانكار «٥»

يبات في جالك بليلة هنية   ويهتني بالنوم عن طارد الثار

وتفرح بيوم فيه شل الدمية   يا ابو «محمد» ساعة الهوش سكار «٦»

في يوم قل الما ويبس الشفه   يوم الفرج في ايدين صلفين الاشوار

وليا اعتزيت «بعيده» اللي نقية   تجلى غماما جا على الوجه كدار «٧»

حنا تعلقنا بذيك الحنية   ياكيف ننزل وانت معلوقنا خيار «٨»

الشيخ مثلك ما يراعي الرعية   ولا يراعي مثلنا بالذي صار

يرى انت دماح الخطا والأسية   تشفق ليا ما ارعيت بالناس معذار

الله يديمك للرفاقه وليه   حنا سواة البن وانته لنا بهار «٩»

يا زين خلط الهيل بالشاذلية   تكيف الكيف لو فيها الامرار «١٠»

ياذوب ياحالي دوا للشكية   ياحنظل يامر ياشهد الاوكار

اطلع «ابن رفادة» على القصيدة وسر بها ، فارسل إلي الرجل من يبلغه ترحيب «ابن رفادة» بعودته «١١»

---

١ - لوذات الاسعار : اختفاء المصالح والارزاق وذات اليد.   ٢ - الكيهمية : مكان في ديار بلي.

٣ - غبية : خفية.   ٤ - عد : بئر. تزفاك : تنضب ماءك. الدلية : جمع دلو ما يستخرج به الماء من الآبار.

٥ - جنية : جناية ويعني يا أمل من حمل مسؤولية جناية لسعيك لانقاذه.

٦ - شل الدمية : يوم الحرب. الهوش : الحرب. سكار : مقدام.

٧ - عيدة : أخت ابن رفادة وكان الفرسان يعتزون في المعارك باخواتهم.

٨ - الحنية : الصلة التي تجمع الفريقين.

٩ - ليه : لي.   ١٠ - الشاذلية : القهوة العربية نسبة إلى الشيخ الشاذلي.

١١ - وروى القصص الثلاث أيضاً المرحوم «أحمد عبد الرحمن القوفي».

٤

وتوجه الشريف «راجح بن ناهض الهجاري» من «ينبع» لزيارة صديقه «أحمد أبو طقيقة» شيخ «الحويطات» في أعالي منطقة «ضبا»، وفي الطريق إليه علم ان «أبو طقيقة» يقيم في «الازنم» بوادي «المياه» من أراضي «بلى»، فزاره وأقام عنده أياماً ثم عاد إلى «ينبع»، وفي طريقه إليها مر بمدينة «أملج» لزيارة صديقه «سليمان بن رفادة» شيخ «بلى» كما مر به في طريق الذهاب من قبل، وفي حديثهما عن «أبو طقيقة» أشار «الهجاري» إلى انه في «الازنم» وليس في أعالي «ضبا»، فاستغرب «ابن رفادة» ان ينزل «أبو طقيقة» في ديار «بلى» دون استئذانه، واعتبر ذلك اهانة له، فنادى في «بلى» و«جهينة» باعتبارهما من «قضاعة» تشتركان في محاربة غيرهما من القبائل كالحويطات في هذه الحالة، واجتمع لدى «ابن رفادة» عدد كبير من المقاتلين وتوجهوا صوب وادي «المياه» والتقى الجمعان، وغلبت الكثرة والمفاجأة الشجاعة، والتقى الرئيسان وتصافحا، واكتشف ان ولد «ابن رفادة» كان من بين القتلى، فتسامح باعتبار «أبو طقيقة» أصبح ضيفه، وبقي ضيفاً مكرماً أياما ثم غادر الحي معززاً مكرماً يحمل الهدايا.

وشهد الشاعر «علي الصيادي» مجلس الرجلين واثراه بأشعاره وقصصه وأخباره مما كان يسعى إليه أصحاب المجالس رفيعة المستوى، ومن اعجابهما بالصيادي أهدياه فنظم القصيدة التالية :

«أحمد» عطا حراً صحيبا تنصّاه	حرا حسين اللون زين الخبيب
و«راجح» ولد «ناهض» على التّوْ جازاه	وعادات «أبو راجح» يجازي الصحيب
لُفا على الباشا وردّْ حكاياه	انه على «الأزْنَمْ» بليْا طنب(١)
يقول لا مُقْطع ولا سايق شاة	ان طاب والا هو على غير طيب
والشيخ لاشاف الجَنَفْ والمغاراة	يهوم هومات الحصان العريب(٢)

١ - الباشا : ابن رفادة وهو لقب يمنح من الدولة العثمانية حينها.
٢ - الجنف : الجفوة. المغاراة : التحدي.

رمى الوعـد ومـردَف الجـيش بثـراه ... وجَرْد السـبايا مومـيات السـبيب «١»
ويومين والثـالث يحـوز رعـاياه ... جاب البيوت وجاب طَرْشاً عـزيب «٢»
و«احـمـد» لحق هو و«الحويطات» تبـرّاه ... يبي سـلامـة دافـيـات الحليب
«أحـمـد» لحق شـوق الغـزال المغـذّاه ... يقـول بيـعُـه جـعل قـومـه تعـيب
ناخـوا وكل يمـقس البـيـر برشـاه ... وكل على الماقف يرد الشـريب «٣»
ليـا مـا ان عـام الملح والرمّى غطاه ... هوشـة رديّ الخـال منهـا يشـيب
والشـيخ رد وعـقَب القـوم شـقراه ... وعـيـده نهـار الكون مـا به طبـيب
والشـيخ ذبح له ركـايب مـثنّاه ... مـاهي مـقـافي بشـمـتـون النصـيب
حـيّاك أخـو عـيـده، من الموت نجّـاه ... شـيخ من الزينات دايم كـسـيب
البـيض منكم يا عليّـان تنصـاه ... ان كـان باب الطيب فـيكم يثـيب «٤»



١ - بثراه : بأثره. جرد السبايا : الخيل الجرداء. السبيب : شعر عرف وذيل الحصان.
٢ - يحوز : يفصل ويعزل. طرش : مواشي.
٣ - يمقس : يمتار ويجيد ويأخذ حقه. ٤ - عليان : علي. يثيب : ينفع ويفيد.

كـــــرم

يعتز العربي ويفرح باستقبال الضيوف وتكريمهم، ويجد في حرمانه من هذا الشرف اقلالاً من مكانته، وغضاضة من شأنه، وكثيراً ما يحدث ان يكون المرء نازلاً ضيفاً على ديار قبيلة أخرى لأي سبب من الأسباب التي تجعل اقامته فيها غير مستقرة، فيجد رجال هذه القبيلة انه من تكريم هذا الرجل استضافة ضيوفه، تخفيفاً من أعباء الضيافة التي قد تكون ميسرة لهم بحكم اقامتهم أكثر من يسرتها له.

فقد حدث ان نزل «ابن عميرة» وهو من حرب بديار قبيلة أخرى وقدم إليه ضيوف لا يعرفون انه من غير هذه القبيلة وانما اغراهم بقدومهم اليه وضوح البيت وحجمه، وما ان رأى جيران «ابن عميرة» قدوم الضيوف حتى بادروا إليه واستأذنوه في ان ينزل الضيوف في ضيافتهم.

صعب الامر على «ابن عميرة» وهو يعرف ان مبادرة مضيفيه جاءت باعتباره نفسه ضيفاً على القبيلة فاستسلم للأمر الواقع ولكنه قرر الرحيل من هذه الديار عائداً إلى دياره، وقبل ان يغادر الحي قال :

الديرة اللى ما اخذ الحق فيها	يحرم عليه سكنها يا «مْجلي»
ما تنْسكن لو قَوْبع العشب بيها	ولو كان بطحاها حرير وزل «١»
دنُّوا جمال الشّيل باغي اقْتفيها	باغين يم الغوْر ديرة هل لي «٢»

* * * *



١ - قوبع : نما وغطى مساحات الأرض.

٢ - دنوا : قربوا. جمال الشيل : الابل التي ينقل عليها المتاع. اقتفيها : اكون من ورائها لأحثها على السير. باغين: مريدين. الغور : الاراضي المنخفضة ويعني تهامة.

شوق وحنين

١

أذن رجل يدعى «ابن عدوان» لزوجته ان تزور أهلها في البادية، وطال مقامها بينهم، وعندما هجع الحي اخذ «ابن عدوان» الربابة وأنشد :

برق برق ياحمود قوم استخيله	ياسون عيني كنها ضوح نيران
البارحة يسقي ديار محيله	والقابلة يسقي مسانيد رمان
عسى ديار البدو تغدى محيلة	حتى يجون البدو عجلين الاضعان
حتى نشوف ابو حلايا جميلة	ابو جعود كنها ريش نعمان
والعنق منها مثل عنق الكحيله	وعيون نجل كنها عيون شيهان

وكان بمجلسه رجل «جلاوي» من أهل الجنوب فر من دياره لجناية ارتكبها، فقال :

ياصقر ياحامي عقاب الدبيلة	ياركز ربعه يوم روعات الاذهان
انته ضجيرك من ثمانين ليلة	وانا ثمان سنين والقلب وجلان
نبه طلوع سهيل ليه حليلة	حليلة تجلي الحزن يا «ياابن عدوان»
عديت عنها بالسيوف الطويلة	عديت عنها غصب ما هو برضوان

ولما كان «ابن عدوان» شيخ عشيرته، فقد اثاره شعر «الجلاوي» الذي لم يكن يظهر عليه غير انه غريب أو درويش، لم يدع مظهره إلى الرغبة في التعرف عليه وظل طول مكثه في الحي يدعي «الغريب»، وبعد هذه الأبيات ادرك «ابن عدوان» ان تحت الاسمال رجلا، فتعرف عليه وعلى قضيته، ووجد ان مصيبته أهون من مصيبة «الغريب» فاصطحب الغريب وتوجها صوب دياره، وما ان بلغا مشارفها حتى أمر الغريب بالاختفاء وتقدم نفسه إلي شيخ قبيلة الغريب فاكرمه، وعندما قدم له الطعام امتنع عن الاكل إلا بحقه، قالوا : وما حقه؟ قال : نفاذ طلبي، وكان «ابن عدوان» رجلاً يصعب الامتناع عن تلبية طلبه قالوا : لك ما جئت من أجله، قال : العفو عن «الغريب» وعرفوا صاحبهم فقالوا لك ذلك، فأمر من يذهب لاحضاره، وانتهت القضية.

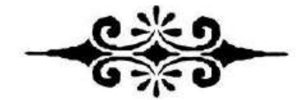
٢

وتعرف شاعر على فتاة من البادية، وأحبها، ولكن حياة البادية دائبة الارتحال والانتقال لم تسعفه بتنمية هذه المحبة، فقد رحلت الفتاة، وحفظ الحب في أعماقه فكأنما طواه النسيان، ولم يشغل الأمر الشاعر ظناً منه ان الحب من طرف واحد، وفي الواقع وقع حب الشاعر من الفتاة موقعاً مكينا ولكن لا مجال لها لكي تعرب له عن هذا الحب.

وبعد عام التقيا، وكان اللقاء فجأة، فقد رأت الشاعر من بعد فأقبلت إليه مسرعة، وعندما اقتربت منه تلعثمت في الكلام، فكان ذلك تعبيراً عن صدق محبتها له.

وبعد انصراف الفتاة قال الشاعر :

ونيتْ ونّة غبا منها صليب العظم مكسور	من كُثْر زفراتها حتّت نواوير النوامي «١»
من سيدي اللى لقيني يوم انا طرقى ومشغول	ما اعْلَمْني الا بدمع العين قدام السلام
وقلت ياشين وش مبْكيك لا علّتك الاسقام	وش بك سواة الذي مطرود هَرْجك باغنام «٢»
قالت : تذكّر متى عهدك بنا في مولْد العام	ما احْسبك تصبر علي الفرقى بعد كنا ليام
وقلت : اصْبري لَيْن يبدي لي شعاع الصبح واشوف	واشرف من هو مناورني وجدّد لي غرامي «٣»
الحمد لله بان البدر عُقْبَ الغيم ما انْزاح	مَزّعْ حجاب الظلام وبان لي مرخى اللثام «٤»
وامسيت ممنون من لُقْيا الغضى من عقب رُوياه	من بعد لاماه ساعة قام تنقّلْني عظامي «٥»



١ - ونيت : انيت. ونة : أنة من الانين. غبا : عمق.
٢ - سواة : مثل. ٣ - مناورني : محاورني.
٤ - مزع : مزق. ٥ - لاماه : لقائه. تنقلني : تحملني. الغضى : الحبيب الرقيق.

عَرْض.. وحُكْم

تعرض الشاعر حمد القرافي من قبيلة الحوازم من حرب إلى قضية صدر الحكم فيها لغير صالحه فلم يقبل الحكم، فقال :

يا الله يامن هو على الباطل كفيل ــــ ياناصر اللى ما نوى درب الضلال «١»
اوصلتها حَقَّين واخطاها الفصيل ــــ اليوم اشرف الحق في رْقاب الطوال «٢»

ولما كان الحق إلى جانب القرافي فإنه تألم ورد أمره إلى الله، وانشأ هذين البيتين، وقد تلقاهما الشاعر مطلق بن قايل الأحمدي الذي يعرف القضية ويعلم اخفاق القرافي في حوزة الحكم إلى جانبه بسبب عدم احسانه عرض دعواه أمام القاضي فأجابه بهذين البيتين :

لا ياحمد ذا قول ما يَقْضي حصيل ــــ الزَّرْب ما ينفع ولا يُورِدْ حبال «٣»
أما الخطا يَعْلَمْ به الرَّبْ الجليل ــــ الحق يفصل قَدْر ما عنده يقال «٤»

* * * *



١ - كفيل : ضامن بدحض الباطل ورد الحق إلى اصحابه دنيا أو آخره.
٢ - حقين : قاضيين. الفصيل : الحكم.
٣ - يقضي حصيل : يفيد. الزرب : التهديد. يورد حبال : يؤدي إلى نتيجة كناية عن الحبال.
٤ - قدر : بمقدار أي ان القاضي يفصل وفق الأحوال التي تطرح أمامه فيحكم بما يثبت لديه من الدعوى. الحق : القاضي لأنه يقول الحق.

المشيب

١

لقد شغل المشيب كثيراً من أدباء العربية وشعرائها، ليس لأنه نذير باقتراب الأجل فحسب، وانما لعلل أخرى منها العجز والمرض والوحدة، ولكن الموضوع الذي احتل مساحة كبيرة من اهتمام الناس ومداعباتهم، وتناوله الكتاب والشعراء وابدعوا فيه هو نظرة المرأة إلى الرجل في مشيبه، وتذمر الرجل من الشيب، وابتكار وسائل مواراته.

وإذا كان علقمة الفحل من اوائل شعراء العربية تناولاً لهذه العلاقة حيث يقول:

إذا شاب راس المرء أو قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

فإن الشعر الشعبي ساهم بقسط كبير من الأفكار التي تجول في المجتمع البدوي والقروي حول الشيب، وجلا كثيراً من صور المعاناة التي يجلبها الشيب إلى الرجال، أما النساء فإن الآداب البدوية حالت دون المبالغة في الحديث عن الشيب لدى النساء، وأيضاً فإن مصطلح الشيب لا يطلق على النساء وإنما يطلق عليهم العجز هذا في غالب الأحوال.

على أية حالة، في حوار للشاعر عمير بن سليمان الصبحي يصور فيه موقفاً متخيلاً بينه وبين امرأته عندما تقدمت بها السن وفكر في الزواج من شابة، فتحدته ان يحصل علي هذه الشابة ثم استسلمت عندما تذكرت المال واغراءاته، وفيما يلي نقدم الحوار :

العَوْد قال انا حبالي طوال ... أروِّع القمري وارِدْ الشفالين «١»

ان كان جَوّل الصيد جاني جفال ... أرمي كما رَمْي العيال المتاقين «٢»

* * * *

١ – العود : الرجل المسن. القمرى : نوع من الطيور الوديعة تشبه بها الفتيات الجميلات.

٢ – جفال : جفول من الترويع والتخويف. المتاقين : الرماة الذين يتقنون الرمي واصابة الهدف.

وقـالـت له القُـمْـري : عظامك هـزال ... طار الحـمـام وراح لاَ عْلى الراوشين «١»
ولابي الاَّ انتـه كـمـا الهـدْم بالي ... طاحت رموش العين حـتى الطواحين «٢»

* * * *

حـسـيـبك الله لا تبـتّين حـالي ... ترى الظلايم تقْصـر العـمـر في حين «٣»
والله لاخُـذْ حـانيـات الدْلال ... اللي نـظرهن يْشْلَع العـقـل والدين
واتبع لك المطلوبَ واسْـوم حـالي ... ونْعـيش في مـزْبان رُوس المزابين «٤»
يا ابو خـديْد مـثل ضَـوْ الهـلال ... يا قـالبَ السكر خلط قـالب الصين

* * * *

ياشين رَوْح هْنَاك مـالك ومـالي ... روْح لبـدْوَك كُبْ عنك القـعـادين
الجـاهلة تبْـغى لْعُـوب الجـهـالي ... والطفل مشقيته لعُوب الطفالين «٥»
انظُر لزوْل الضُّـان وسْط الحـلال ... والثْلْب وجهه شين وسط البعـارين «٦»
الثْلْب لا مَـا انه رُزَن مـا يشـال ... زاد النسور وغَيْـر يُعْطي السكاكين «٧»
ويومَ اتذكَّـر عـمـري اللي مـضى لي ... الخـمس مـا بين النّهـد والمعـاجين
شـوقي ولَدْ شُـغْـمُـوم خَطْبَ العـيـال ... شُـغْـموم من هاك العيال الشغامين «٨»
هـيْـه كـمـا القـنديل وسط الدلال ... وهُو كـمـا الفنجـان وسط الفناجين
واحْنا بَلاَنا من عـمـيـل مـوالي ... ضُعْفَان والضعفان دايم مـساكين «٩»
اللـه يضـرّكْ يـا الذهب والريَال ... يا مطبُب الشيـاب حقل البساتين «١٠»

* * * *

---

١ - الرواشين : مطلات في المباني العالية مثل «البلكون». ٢ - الطواحين : الضروس الداخلية.
٣ - تبتين : تصيبين بالاحباط. ٤ - اسوم : اعرض حالي لخطر. مزبان : مأمن في قمم الجبال الشاهقة.
٥ - الجاهلة : صغيرة السن من البنات.
٦ - الحلال : الضان والماعز. الثلب : الكهل من الابل. البعارين : ما لم يصل إلى مرحلة الثلب من الإبل.
٧ - رزن : ثقل من الكبر.
٨ - شغموم : شاب فاره. خطب العيال : مثل في الحيوية والفتوة والشباب.
٩ - عميل موالي : ولي الأمر المتصرف في احوالهن.
١٠ - مطبب : مبلغ ومتيح. يضرك : يذهبك لأن المال وبخاصة الذهب والفضة يغري اولياء الأمور لتزويج البنات من كبار السن

٢

أما الشاعر علي الصيادي الجهني فإنه يتساءل في اسى، من للشيخ المعاني من يجعل حياته المريرة حلوة عندما تذوى تلك الحياة تحت نفوذ المشيب؟

لا ريب انه الولد الذي يحول ارذل العمر إلى سعادة تغمر والديه وذويه عندما يشملهم برعايته وصلاحه، فيقول الصيادي :

يا منْ لكبد كلُ مطعومها مْرار ... نشّتْ رواة الروح والعظم ذاوي (١)

بالْعون طَشّ الراي من ضَعف الابصار ... إذا تقدّم لك خطاة العتاوي (٢)

ليا قلت هذا الراي قذاك بانْكار ... وان كان باتْتلاه ولْياه غاوي (٣)

أطْري عليْه إلى انْ حبل الفلك دار ... وتقارطوه مقرْظين الدعاوي (٤)

اشوف من يحفر وتحفر له ابْيار ... يَقثْ في الغابات ولياه هاوي (٥)

واشوف متغبّي على العُرْف ديدار ... اسمُه مشاريب العسل والحلاوي

لكن في سدّ الحلاوة دُوَيدار ... ترعى القلوب الداشرة في المطاوي (٦)

* * * *

٣

أما الشاعر ناصر بن عيد العمري فقد ارسل إلي الشاعر محمد سعيد بن فواز الأحمدي اللغز التالي :

اسال عن داب في المشرق عَمَى ويقول حجّيت

في الوجه ما ينفرح بهْ والمقفّى مشبهاني

---

١ - نشت : جفت. ذاوي : هزيل.

٢ - بالعون : أجل. طش : تفريق.

٣ - قذاك : غاظك بالسلبية. تتلاه : تتبعه.

٤ - اطرى : ذكره. تقارطوه : تناولوه وتجاذبوه. مقرظين : من التقريظ الذين يحللون القضايا بحثاً عن دلالات ومداخل ينفذون منها إلى الادانة والتبرئة.

٥ - يقث : يرمي ويقذف ويلقي.

٦ - دويدار : عارفه يدير الأمور ويصرفها. ترعى : تشاهد.

فأجابه :

تسال عن داب في المشرق عمى ويقول حجّيت

عـــساه عنا وعنكم في بعـيــد المطرواني

الداب دَبّ الرجال يشيب لا ذكراً ولا يصيت

يهــدْ بِرْجُــه ولو شــيّــد على زين المبــاني

واردف باللغز التالي :

اسال عن عوْد جاب من البنات ان كان عَدّيْت

مــيّــة ومن بعــد ذا مــات الأبو والكل فــاني

وعْـيَـالهم في بَعَـضْـهم يا مـلا عَـدّيت وازْرَيت

ذا غير ما قدّمت له من خوات ومن اخوان «١»

نعم، لقد كان الأول في الشيب والثاني في القرن (١٠٠ عام).

* * * *

٤

الشاعر عواد الحارثي صاحب ابل يتذكر أيام الشباب ويتمنى التحرر من المشيب، وأنى له ذلك، وكل أمور الحياة لاتشغل باله إلا مسألة النساء فإنه يتحسر على فتوته وشبابه، ثم يعزي نفسه بمساءلة النساء في المقارنة بين الجمل والقعود «الشيخ والشاب»، ترى ماذا تكون الاجابة؟ لا أود احراج الشاعر إلا إذا كانت المقارنة في الملاغاة فسوف يفوز الجمل لأنه في هذه الحالة يبحث عن التعويض عن حمل الاثقال.

على أية حال، اليكم أبيات الحارثي في المشيب :

يا «سعود» لَيْت انّ الصبا ينشري لي ... ابيع فيه من المعاشير واشريه

مَـيْـر الكبـريا «سعود» لازم شليلي ... ما ينْرمي عني ولو قمت ابي ارميه «٢»

١ - ازريت : تعبت وعجزت. ٢ - شليلي : الشليل من الثوب، وهنا كناية عن المصاحبة.

ولابـي الا زيْـد راع الجـــــــــديـلـي　　　ابو جـدايل فـوق الامـتـان سـاديه «١»

* * * *

يشوف شـيْبي مـا يتـذكُـر حـصـيلي　　　والشـيب مـا هو عـيْب للي بدا فـيـه «٢»

ويا هيْــه يا ناقش شـــفــاته بنيل　　　أي الجـــمل والا قـــعـــود يبـــاريه «٣»

ذا شـــامخ النَابيْـن زين الرحـــيـل　　　اخـيـر من حـاشي كـثـيـرة رغـاويه «٤»

٥

ومُني رجل يدعى «الجلاد» من الأحامدة بالشيخوخة، وكان من هواة النحالة ويمتلك العديد من خلايا النحل، ولكن الكبر حال بينه وبين الاستمتاع بهوايته التي خلفه فيها من لا يحذق هذه الهواية، فقال من قصيدة طويلة يقول في مطلعها:

وا ونـتي ونَـات عَـــــوْد اذا شــــاب　　　شـايب وطَرْقـات الليـالي كـونُه «٥»

ومنها:

لي عــشْــقـةً في جـدْتي جنْد الاطراب　　　لا هَجْـــرِسَنْ في عُــودهن زيْنَنَهْ «٦»

أرْدَحـتـهـنْ واقْـفـيْت عنهن بمغـيــاب　　　مـغـيــاب مـثل الموت مــا يرْتُجنُه «٧»

وطَقْ الرُجـائج فـرقـهـن طَقْ حـســاب　　　واليـــوم رَفْــلات الايدين اخْلفنه «٨»

* * * *

١ - زيد : كناية عن النساء. سادية : من السدو والضفر والنثر.
٢ - حصيلي : مناقبي وانجازاتي وتاريخي.
٣ - هيه : هذا وهذه وأنت وهؤلاء. نيل : الوشم بالنيل للتجميل.
٤ - شامخ النابين : الجمل كناية عن الرجل جلدا وصبراً. حاشي : صغير الابل كناية عن الشاب الملول ضعيف الاحتمال.
٥ - طرقات : حوادث الزمان. كونه : من الكي والألم.
٦ - جند الاطراب : أو جند الاضعاف (النحل). هجرسن : اصدرن أنغاماً كالهمسات. عودهن : مكان العسل من الخلية.
٧ - أردحتهن : أنشأتهن وبنيتهن يعني خلايا النحل. أقفيت : غادرت. يرتجنه : يأملن العودة منه.
٨ - الرجائج : حجارة مصفحة في بناء الخلية. رفلات : الأرفل هو الذي لا يتقن عمله.

الحداء الحربي

الحداء الحربي لون من ألوان الشعر الشعبي، ومن خصائصه الفنية الا يتجاوز البيتين، وان تجاوزها فلا يتعدى الأربعة أبيات، والسبب في ذلك ان موضوعات الحداء الحربي عبارة عن رسائل موجزة لا تحمل أكثر من فكرة أو موضوع، توجه إلي شخص معين أو فئة محددة، أو اطلاق رأي حول موضوع ما، وأكثر الموضوعات التي يعالجها الحداء الحربي موضوعات الحماسة والشجاعة والرجولة والفخر، مما جعل شعراءه من أهل الحكمة والرأي والمكانة وهؤلاء يتميزون بالاقلال الابداعي، لأن حافزهم على قول الشعر ليس إلا الاثارة والتنبيه والتوجيه، والحاجة إلي ابداعه، ويشيع هذا الشعر اثناء الحياة غير المستقرة وعند احداثها الاستفزازية، ولئن ندر هذا اللون قديماً فإنه اختفى اليوم في ظل الاستقرار الذي شهدته البلاد منذ توحيدها واستتباب الامن فيها، إلا ماكان تذكراً للماضي وتحسراً علي معطياته الطيبة، نعم لم يعد لهذا الفن وجود مع ان بعض أعراضه مازالت ماثلة، إلا انه استعيض عنه بفن شعري آخر هو الكسرة وذلك لاتساع مجالاتها ودقتها في نقل الآراء والافكار والتساؤلات.

١

ومن الحداء الحربي ما انشده «عمرو الزناتي» من بني سالم من حرب في الاعتداد بالقوة والسلاح واستعادة الحقوق بها إذا يقول :

مايهْتِني بالنوم من لابه جسِيرة ... عُسر المراقي وان بنى رايه يقِيس «١»

ان عاجلوه الرِبْع شَطْرين البصِيرة ... عند الحَدَمْ ماخوذ من لا له رُويس «٢»

إلا ان شاعراً يدعى «الزغير» حازمي من الجبول اعترض على هذا الرأيِ وقال :

مايهتنى بالنوم عدْمين البصيرة ... مثقلين الحمل لو انه خفيف «٣»

---

١ - جسيرة : جسرة. عسر المراقي : يصعب الوصول إليه لحصانته. بنى : أنشأ رأياً. يقيس : يدرس ويفكر أي انه لا يرتجل الرأي.

٢ - عاجلوه : بادروه. الربع : المحاورين له. الحدم : الاحتدام. ماخوذ : مغلوب. رويس : رأي حكيم

٣ - عدمين : من لا تبصر لديهم. مثقلين : هيابين مترددين.

البُطْل مـايمشي ولو شـبَّـيْت تيـرة   والحق مـا يَغْـدى وطَلاَّبه عـريف «١»

وبعد أيام تعرض «الزناتي» للموت بسبب مشادة حدثت بينه وبين مولى لرجل «لقماني» من حرب أيضاً إلا ان «الزناتي» من بني سالم و «اللقماني» من مسروح، وقد انتهت هذه المشادة إلي بتريد المولى الذي ذهب إلى أوليائه يعرض أمره عليهم ويشكو «الزناتي» إليهم، وما كان منهم إلا ان يتوجهوا سريعاً إلى «الزناتي» للثأر لمولاهم منه، وآثر هذا السلاح للدفاع عن نفسه على المفاهمة مع أولياء المولى، ثم حدث تراشق بالبنادق من قبل الطرفين فقتل «الزناتي» ورجل من «لقمان» وعندها حدا «الزغير» مرة أخرى قائلاً :

عـــزْى لمن لافي كـــلامــــه يقْـــتــــدى   ويفـهم معاني القيل يوم اني حَديْت «٢»

كم واحـــد عـــيَّـــا يربعْ ويهـــتـــدى   عند الملاقى راح عـــمــره كـيل زيت «٣»

و«الزغـيـر» يستدل بالحادثة على رجاحة رأيه الذي اعترض به على حداء «الزناتي» واخفاق رأي الزناتي الذي اعتد بالقوة والسلاح، واعتد «الزغير» بالبصيرة والرأي والحكمة.

* * * *

٢

وفي عام ١٣١٧ هـ حدثت خصومة ومناوشة بين جهينة وحرب، وصاح النذير (قضاعة يا ربعي) و(حرب يا ربعي) وهما نداءا استنفار لكل من القبيلتين، قضاعة بفرعيها «جهينة وبلى» وحرب بفرعيها «مسروح وبني سالم»، واحتشدت الجموع استعداداً للقاء، وتدخل المصلحون قبل نشوب الحرب فاطفأوها وتفرقت الحشود فحدا شاعر جهينة يخاطب حرب بعد الصلح قائلاً :

ارتجَّـــت الاوطــــان مــــن داري ودارك   وارتاع قُـمْـرى في الخبـا مني ومنك «٤»

من حَـــرْمـــا يصــــلاه من ناري ونـارك   أنا احْـمـد اللى دمُّـهـا عني وعنك «٥»

---

١ - البطل : الباطل. يغدى : يضيع. عريف : عارف ماهر.   ٢ - القيل : الشعر. حديت : من الحداء.

٣ - عيا : أبى وامتنع. يربع : يسلم ويقر.

٤ - ارتجت : تزلزلت من الحروب الجائرة. ارتاع : عاش في هلع وخوف. قمرى : كناية عن النساء.

٥ - دمها : منعها وكفانا شرها.

فأجابه شاعر حرب :

بالعَوْن يا الحدأى سَعّرْنا قرارك   وليا قرارك غَلّق الأبواب عنك
بجاه من سيَّرك ليلك مع نهارك   يأمَن وطنا وانت يأمن لك وطنك

* * * *

٣

وفي اوائل القرن الثالث عشر حدثت فتنة بين الاحامدة والحوازم، وكان الاحامدة يفوقون الحوازم عدداً، وأخذ الفريقان يهيئان فتيانهم ورجالهم للحرب فانشد شاعر الحوازم هذا الحداء.

اولاد حازم يا اهل الامداح   نَبْغى ندُور الثار في اللي راح
خَريبنا مكْثِر علينا اللُوم
نبغى نخَلّيها ملْج صياح   حتى تجينا المايلات رجاح
تعَدى منازلهم معادي قَوم

ويلاحظ ثلاثية هذا الحداء وايقاعه المؤثر، وان اختلف في الشكل عن سابقه. ترى ماذا حدث بعد هذا الحداء؟

لقد بدأت المناورات والتحرش، واستلاب ما يقع تحت ايدي فريق من أموال الفريق الآخر، ومن ذلك ان جمّالة من الأحامدة كانوا عائدين من «ينبع» فاعترضهم فتية من الحوازم وسلبوهم مالهم وقتلوهم إلا واحدا منهم استجار بالقرف وهو من الحوازم فأجاره، ولكن هؤلاء الفتية انتزعوه من «القَرْف» وقتلوه.

وبعد مقتل الرجل أخذ الاحامدة يلحقون اللوم بـ«القرف» في مقتل المستجير به، فغضب «القرف» لا سيما بعد تداول الناس للحداء التالي :

ياراكْبا من عندنا سمرا ردُوم   مافوقها إلا العبد والمشلح كساه «١»
منصَاك ولْد «القَرْف» عرّاف اللزوم   اللي منَع «محسن» ولا وجهه حماه «٢»

---

١ - سمرا : ناقة شؤم سوداء اللون كناية عن سواد القضية بهدف اثارة الرجل.
٢ - اللزوم : الواجب.

ولم ينتظر القرف طويلاً بل نهض وقتل قاتل المستجير به.

وانتقل الخبر إلي أنحاء البلاد، وبلغ مسامع امرأة في ناحية من نواحي «ينبع»، قتل والدها وكان مجارا من رجل يدعى «حمود» فقالت :

يا «حمود» شوف الوجه قاموا يحتمونه — أهل اللوازم والعلوم الوافية

«عبد اللطيف القرف» مالت به فنونه — وانته دخيلك ينتظر في الصافية «*»

هكذا كانت الارواح تزهق، وهكذا كانت الحياة خوفاً ورعباً.

* * * *

٤

وحدث ان قتل رجل أحمدي رجلا عمريا وكلاهما من بني سالم، ولجأ الأحمدي إلي ديار جهينة، واختار قرية السويق مقاماً له، وفي حماية أهلها، وحاول العمري الثأر منه ولكنه لم يستطع.

وكان في القرية مولي لجهينة يدعي «ابن رابح»، كان يضرب علي الطنبورة ويجوب وفرقته الاحياء يزمرون ويغنون والناس يرفدونهم مالا أو زاداً أو ثياباً ونحوها، وضارب الطنبورة يمكنه التجول حيث شاء باعتباره شحاذاً ويتعفف الناس عن التضييق عليه.

وظل «الأحمدي» محصناً يصعب الوصول إليه حتى جاء العمري متخفياً واتفق مع «ابن رابح» ضارب الطنبورة على اخراج الاحمدي إلى مكان بارز يمكن العمري من اصابته وقتله.

خرج «ابن رابح» وفرقته خروجاً احتفالياً فيما بين المغرب والعشاء وهو وقت تجمع الناس في السوق والقرية عقب عودتهم من المزارع وكان الموسم صيفاً وفيه يكثر عدد الناس، وما ان مرت الفرقة بالسوق حتى تجمع الناس من حولها يستمعون إلى انغامها الشجية ويعجبون من الوان ملابسهم، وكان «الأحمدي»

---

* مالت : رقصت طوباً تعبيراً عن فرحة بجلاء العار عنه. الصافية : مقبرة دفن بها والد المرأة المستجير بـ«حمود».

من بين الجماهير بينما كان «العمري» يختبيء قريباً من الموقع، واحتال «ابن رابح» ورفاقه بحركاتهم البهلوانية حتى عزلوا الاحمدي عن الازدحام، ويسروا للعمري قتله فقتله وفر هارباً تحت جنح الظلام إلى دياره، ولم ينجح الطراد في الامساك به.

لم تنته القضية بل ان المسؤولية اصبحت تقع على جهينة حيث قتل «الأحمدي» في ديارهم وتحت حمايتهم، وأخذ الشعراء يشعلون فتيل فتنة جديدة، ويعيبون علي جهينة تفريطهم وعدم الثأر لضيفهم، وينشئون في ذلك الاشعار مما ضاقت به صدور اهل «السويق»، فاتفقوا علي قتل مدبري المكيدة، وكان هؤلاء الموالي يتبعون لعدد من كبار القرية فاحضروهم جميعاً وقتلوهم وانجلى العار واللوم عن القرية كما يقولون.

ومن أشد ما قيل من شعر الحداء تنديداً بالقضية حداء الشاعر مطلق بن قابل الاحمدي الذي يقول لأهل السويق:

يا الدار بكْ ذيب يداعب له ذيابة	اليوم باقْنُه ويلزمْك النّيار «١»
البحر ما ينْظفْك من هذي الجنابة	الا يَقَعْ يا الدار ياتي فيك ثار «٢»

وهو هنا يثير حفيظة كبار القرية حين جعل أحد مواليهم ذيبا أي انه أصبح في مصافهم وهو من مواليهم.

* * * *

٥

ويذكر ان جماعة من قبيلة «الرحلة» من حرب ذهبوا إلي «ينبع»، وفي طريق عودتهم وجدوا جملا لا يحمل وسما يدل علي القبيلة التي منها صاحبه، وظنوه من الابل التائهة لقبيلة جهينة فشدوه إلى ابلهم، وكان الجمل لرجل من «بني حيا» يدعي «لافى بن لويفي»، و«الرحلة» و«بني حيا» كلاهما من حرب.

١ - باقنه : من البوق والخيانة. النيار : اضاءة الوجه بازالة العار وامساك زمام الامور من قبل أهل الرأي والمكانة في القرية بدلا من تركها في ايدي الرعاع من الموالي.
٢ - يقع : إذا يحصل ويحدث.

وعندما بلغ «بني حيا» خبر اقتياد جملهم هبوا وراء «الرحلة» وادركوا رجلاً منهم تخلف عن الركب فعادوا به إلى حيهم.

واصل «الرحلة» سيرهم ولم يفتقدوا الرجل، فهم في أرض حربية ولا داعي للقلق عليه، وقد أدركهم الليل فظنوا الرجل نائماً على جمله، وعندما بلغوا مشارف حيهم اطلقوا الابل من منظومتها واتجه كل جمل إلى دار أهله، ولما لم يعد الرجل إلي أهله، ادرك الركب انه ربما أمسك به أصحاب الجمل، فعادوا يتفقدون الطريق حتى عثروا علي صاحبهم فردوا الجمل واخذوا صاحبهم، فرفع صاحب الجمل عقيرته بالحداء التالي :

والله لو ما سوقها فيه الخسارة	وادْرا على اللى في اللوازم ما ينوم (١)
لاَنْجِبْ النُجّاب واسْعى في سُفاره	وادْعِي طيور الجو في المفرق تحوم (٢)

انه يعتز باستعادة جمله، ويعلن استعداده للحرب دون ماله، فالتفريط في الحقوق مهما صغرت مذلة كبيرة في عرف وقيم ذلك الزمن، وفي نفس الوقت كان يود المحافظة على ارواح ابناء القبيلة فلذلك لم يدعهم للمشاركة في حرب من اجل الاعتداء على حقوقه.

ويجيبه الشاعر مرشد بن راشد الأحمدي متضامناً ومعترضاً بحداء آخر :

يا صَقْر يا اللّي جاب ثاره من نهاره	تَقْصُرْ خْطام اللى مع البَيْدا يعوم (٣)
أعمارنا ما عندنا فيها تجارة	عند الخطر دلاّلها يَومي يسوم (٤)

* * * *

٦

وعندما هيأ الله لهذه البلاد حكومة رشيدة ارسى قواعدها الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله عاد الأمن والاستقرار وزال الخوف، وانتهت المناوشات والسلب

١ - أدرا : أحافظ. ماينوم : لا يتأخر عن أداء الواجب وتلبية نداء الحرب.
٢ - أنجب : اوسل. النجاب : الرسول.
٣ - خطام : كناية عن المقدمة. يعوم : يهيم ولا يحذر.
٤ - يومي : يوميا. يسوم : يعلن كمن ينادي علي بضاعة.

والنهب بين القبائل، وكان الاحامدة من بين القبائل التي كان لها صولات وجولات في هذا الميدان، فما كان من الشاعر «حسين المورعي» إلا ان يتحرش بشعراء الاحامدة بالحداء التالي :

اللى مُضى يا ابو حمد كَيْد العدا　　واليوم مالك حسّ يا الذّيب العزوم
ياطُول ماقالوا على البَيْرقْ عَدا　　واليوم مركْزْ مستريح من الهموم «١»

وقد أجابه الشاعر فرز الأحمدي بقوله :

صدقْت يا الحدّاي ماهو من ردا　　ما يفعل الجدّان للتالي رسوم
نَجْمٍ من المشرق على العالم بدا　　خلّي الحَدامي تَتْرك الحقُ اللّزوم

أما الشاعر مطلق بن قابل الأحمدي فقد رد بقوله :

الذيب يا الحدّاي اخذْ دَرْب الهدى　　واللى مضى ماشى على غير الأموم
اختار له مولاه وافْكَرْ واقْتدى　　وتاب والتوبة على المخطى لزوم

ويقول قاسي بن قابل الاحمدي :

اللى رفيقي لي على المرْقَب بدا　　كيف الذي عندي يدوّر للّزوم
انا احْمد الله ما لنادْين غَدَا　　رفعلنا معروف يشْدَى للوسوم

واخيراً يرد «الراوية» قائلاً :

يا ابو حسن ما اركزت من ضَيم العدا　　ارْكَزْ بي امر جا على الجملة عموم
الدين في بَطْني ولا ليْه غدا　　صابر لحكم الله واطالع في النجوم

* * * *

٧

وفي التحريض على الأخذ بالثأر يقول عبد الرحمن ابو عوف من شيوخ الأحامدة :

يامرْسْلي سُقْها إلى عند الحمرد　　العزوة اللى تُغْتذي في المرْسات «٢»

١ - البيرق : العلم.
٢ - تغتذي : تلوك الحديث دون ان تفعل. المرسات : القضايا القديمة.

اللى ذبحْ عـــامـــر تَهنّى بالرقـــود　　أســقـــوه سمُ ألمْس بارْياد البنات «١»

وقد اجابة منصور الصلعي الحمودي من الاحامدة :

يا نعم يا ابو عـــوف بالعـــدْ الركـــود　　يا اللى تهدْ الجمع فـوق المجهمات «٢»

لي صـــقـــر في مـــاكـــرْ ولا بدّه ينُود　　وان طالت الايام يجْلى اللائمـــات «٣»

وكما اسلفت فإن أكثر مجالات الحداء الحربي تكون عند احتدام المشكلات والاختلافات فيما بين القبائل والافراد وعند المنافسات على الرئاسة ونحوها.

ويقول عبد الرحمن أبو عوف أيضاً :

الله من جُـــرْح لجــاً من يحْـــتـــملْ له　　لا وُدنا يَبْـــــــرى ولا ودِّي يـبـين «٤»

من خـــــوف يعْنَى له دَوَا ياتي بعلّة　　يا اهْل العــقــول النابهــة والعــارفين «٥»

ويجيبه ابراهيم بن مطلق من قيادات وشيوخ الاحامدة أيضاً :

ان كـان جُـرْحك في الحشـا لا تهْتـملْ له　　داوه بمـا داوى جـــــــــروح الاولين «٦»

عطّش له المرمْـــول واسْـــقْـــه ثم علّه　　ضَـيم الرفـاقـه باح سـدْ المنـقين «٧»

* * * *

٨

ويأتي الحداء الحربي في شعر الرد ولكنه لا يخرج عن مدار الحماس ومعاني الرجولة ومن ذلك ما دار بين (الراوية) والشاعر فرز بن سافر الاحمدي، فقد وجه «الراوية) إليه الحداء التالي :

يا ابـو «شنَيْف» الوقت ذا غَلّظْ علينا　　البــاز ســاووْا بـه شـيــاهين الصــقـــور

اصْل الســبــاب الشـمس مـا طلّت علينا　　ويبين فـــرق الظل من فـــرق الجـــحـــور

١ - سم اللمس : الذي يميت من الملامسة. رياد : مريدين.
٢ - تهد : تحرض وتهجم. الجهمات : القضايا الكبيرة.
٣ - ماكر : وكر. ينود : ينهض. يجلي : يمحو. اللائمات : القضايا التي تجلب اللوم.
٤ - جرح : ألم ومشكلة. لجا : تعمق في الفكر. يحتمل : يطيق. يبرأ : يشفى. يبين : يظهر.
٥ - يعنى : يتخذ. علة : جرح ومشكلة جديدة.
٦ - تهتمل : تهمل.
٧ - المرمول : البارود.

وقد اجابه فرز :

الصـقـر والله في حـقـوره مـا سَـعـيْـنـا ... قـدام ضَـوْ الشـمـس يَبْـدا بالنحـور

اللى لبـامـا ان الظمـا عطَشْ علينا ... يَجْـبـد لنا الفـرزة ولو انا حـضـور (١)

فاجابه (الراوية) :

طالت ليـالي الرُّخص والهَـوْنا علينا ... نَبْـغى نَغْـبَط اللى تقَـدم في القبـور (٢)

اهل الشـرف والنَّام مـا تارَى علينا ... شـفْنا العَدَنْ متـمَنِّيـه وكـر الصـقـور (٣)

واخيراً يجيب فرز :

لا دام لا جـانا الخطا لازم شكينا ... وإذا وصلنا الحق مـا نلقى نحـور

وجـالي حْـدُوم القلب فـارُقْـتـه يدينا ... يا صـقـر يا اللى مَاقَعُـه عالي الوكور (٤)

* * * *

٩

عندما منعت الدولة العثمانية صرف مخصصات بعض القبائل فيما بين مكة والمدينة هدد بعض هذه القبائل الدولة بالاعتداء على كل قافلة تابعة للدولة تمر بديارهم، وكانت تموينات الدولة وعتادها والبعثات الرسمية هي المستهدفة في هذا الانذار، فاضطرت الدولة إلي تحويل الطريق من (السلطاني) وهو الطريق المعتاد الذي يمر بوادي الصفراء إلي طريق (الغائر) تفادياً لتهديد القبائل الذين يمر الطريق السلطاني بديارهم، وكان في تحويل الطريق مصلحة لبعض القبائل، وتناول الشعراء هذا الموضوع ونظموا حوله حداءات كثيرة وكانت الطرق التي يمكن ان تسلكها القوافل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة نظراً لسهولتها ووفرة الماء بها هي (أولاً) الطريق السلطاني وتمر بوادي الصفراء فالمسيجيد فالفريش إلي المدينة وهذه الطريق وافرة المياه والقرى ومزدحمة بالسكان، (ثانياً) طريق

١ - يجبد : يخرج الماء من البئر ويعني هنا يقوم بالواجب تكريما لنا ويحفظ لنا حقوقنا.

٢ - نغبط : نحسد.

٣ - النام : الناموس وهو العزة والشرف. تارى : تنتقد. العدن طيور تشبه الصقور ولكنها حقيرة.

٤ - حدوم : غيظ وكمد ويعني السلاح.

الغائر وتمر شرق الطريق السلطاني تفصلهما جبال شاهقة، وهي طريق قليلة المياه والسكان، (ثالثاً) طريق بواط ويقع غرب الطريق السلطاني ويمر بمحاذاة البحر الأحمر وهو أطول مسافة وقليل الماء بعد تجاوز «ينبع».

وقد أثار هذا الحدث حفيظة الاحامدة فقال شاعرهم الشيخ عبد الرحمن ابو عوف مهدداً بقوة الاحامدة ومشيراً إلى ان «بواط» و«الغاير» ايضاً تحت حماية الاحامدة :

أنْشـدْك عن سـبْع عـقـور	لا جـاع شـايا في الضـفـاير (١)
نـحْـمى بعلْم مـا يغـور	من بُواط إلى دروب الغَـابر (٢)

ثم يدرك ابو عوف ان هذا النفوذ يلزمه سلاح وفتيان فقال هذه الكسرة :

اللـه علـى الْفـيْن بنْدُق رُوم	والْفين بندق افـرنْجـيْة (٣)
الكل منهـا على شُـغْـمُـوم	نـنْطَحْ بهـا ذِرْوة الهـيْة (٤)

* * * *

هكذا كانت الحياة قاسية، وهكذا كان الناس يذكون الاحقاد، ويثورون عند أقل الأسباب واتفهها فتزهق الارواح، وتتلف الأموال، وتتمزق الوشائج وحتى لا يأخذنا الانفعال لم يخل ذلك الزمن من بعض اللمسات الحانية، والمواقف الانسانية، وفي هذه المرويات نماذج من هذا وذاك.



١ - شايا : تسلق أو حاول التسلق. الضفائر : جمع ضفيرة وهي الجدار من الحجارة.
٢ - يغور : يكذب ويزول.
٣ - روم : بنادق من شرق اوروبا. افرنجية : بنادق من غرب اوروبا.
٤ - شغموم : فتى شجاع. ننطح : نواجه ونحارب. الهية : الجماعة المتحالفة في الحروب ويعني بها الدولة.

الشعـــر الديـنـي

١

مهما عانت المجتمعات عبر الدهور من الظلم والفساد، فإنه لا يخلو زمن من الأزمنة من وجود مصلحين، يضيئون الكوى المظلمة وينيرون مسالك الحياة بالنصح والارشاد الذي يؤسس على الفطرة السليمة والمعرفة التي يسديها العقل لذوي العقول الواعية والعواطف النبيلة، وقد سلك المرشدون والوعاظ من الشعراء والعقلاء اسلوب نسج العبارة المؤثرة من الشعر والحكمة والمثل، وتوخوا أقرب السبل إلى ايصال رسائلهم إلى العقول الغافلة والنفوس المريضة بالغرور، وكان الموت وصراعاته وتصوير ظلام القبر ومساءلاته واليوم الآخر وحساباته من أكثر الوسائل المستخدمة في التأثير للرد إلى جادة الصواب.

وقد جاءت المواعظ اشارات في قصائد غير مخصصة لشعر الوعظ، وجاءت قصائد مستقلة بغرض الارشاد الديني، وبخاصة مايبني منها على تجربة أو حادثة تمر بالشاعر، مثل من يصاب بغيبوبة نتيجة جلطة دماغية أو نحوها فيظنونه ميتاً، ثم يفيق وقد فقد احدى الحواس أو تعود إليه حياته الطبيعية، ويقولون «عرج به» أي ان الروح صعدت إلى بارئها وبقي الجسد بلا روح، ولكنه لا يتعرض للتعفن لأن الحياة لم تفارقه، والواقع انها غيبوبة ليس إلا، ومن اولئك الذين تعرضوا لهذه الحالة الشاعر المعروف بالقرافي»، فقد مرض «القرافي» وفقد الوعي يومين، فاعتقد الناس انه عرج به، وعندما أفاق من غيبوبته، وأراد ان يشرح للناس ما مر به من تجربة خلال هذه الغيبوبة التي ظنها موتاً، صاغ ذلك في قصيدته بهدف التذكير بأيام الله، والنصح للعودة إليه تعالى وترك المعاصي.

* * * *

يقول القَرافي قد تهيَّض وقال ... وانْراع قلبه وانشْرحْ كل مكنون

واحيْرتي لما تقضّب حبالي ... وابات بيْن اللّحد والطّيْ مسجون (١)

١ - تقضب: تنقطع علاقته بالدنيا.

وِدَانُوا عليَّـه دُفُّـهـا والجـلال   وَلَايْ مـا اسْمع حسهم يوم يقْفُون «١»
فـارقت خـلاني ويتـمَـوْا عـيـالي   فـارقت حـيَّـاني ومن لي يودُّون

* * * *

وجـونّي اثْنَيْن الكُل منهم يـسـال   وانراع قلبي يوم قـامـوا ينابُون
يقـولون خـبّـر وش مـعك من نُوال   لا تحسب انك بعـد دنياك مـصـيون
هـذا كـتـابك كل شي يلالي   ومـعلَّق الميـزان للعـال والدون

* * * *

أهل الوجـيـه البـيض أهل الكمـال   في جنَّة الفـردوس راحـوا يخـوضـون
واهل الوجـيـه السـود أهل الضـلال   في لاظي النيـران راحـو ينوحـون
هذا جـزا اللي يتـبـعُـون الظلال   هذا جـزا اللي مـا مع الدرب يمشـون «٢»
كل يخَلِّصْ عـملتـه بالكمـال   يا مخَلِّص الجمَّا من اللي لها قـرون «٣»
كل يخلص عـمْلَتـه بالكمـال   لا واعـذاب اللي من الله مـديون

* * * *

أوصـيك يا «عَـوْدَة» وياشَفْ بالي   خلِّك على امر الله وتْصبّر مـامون «٤»
لا تمشي إلا مع ثـقـات الرجـال   تَرى رجـال الضُّـعْف يُبْطُون يظمـون
واوصـيك في الجـيـران خلك مـوالي   لا بذْهم بعـد الجـاور يشـدون
واحـذر مـعـاشـر حـانيـات الدلال   واحـذر من الحـفـرات واللي يحـفـرون
إلا إذا جـاتك بدرْب الحـلال   تعـمْـقُـوا في ساسـهن قبل تبنون

٢

أما الشاعر «عوض بن هضيب الأحمدي» فيصور معاناته بمالا يختلف عن تصوير «القوافي» لمعاناته فيقول :

واعَـبْني اللى لذيذ النوم جُـانْبـهـا   كم ليلة بتُّـهـا مـا احـد علم حـالي

---

١ - ولاي : واذا بي.   ٢ - الظلال : الدنيا (الدنيا ظل زائل) ويمكن ان يكون الضلال بدلاً من الظلال.
٣ - الجماء : من ليس لها قرون (الغنم).   ٤ - عودة : هو ابن الشاعر.

يوم الهواجيس ماش الأ مناهبها ... تمت على القلب ولْيا فرقه ظلال
واسعد من هو هواجيسه مترِبها ... ومريح البال عن ما شاف ماسال «١»
الروح مُخلي بها ومْريح جانبها ... ولْيا ملا البدْ قال اليوم يهيا لي «٢»
الروح مني كما النيران تلهبْها ... لو كنت عند العرب كأني لحالي
افكر في الايام ياما اقرب محاسبها ... أوغلني الأجل وانا احسبت يبقى لي «٣»
قالت لي : اليوم روحك ذا مواجبها ... والله ما اعطيك لو هو ربع مثقال
جود يقينك وروحي لا تعاتبها ... ويش انت في الكون لا أول ولا تالي
قالت لي الروح هون في مطالبها ... انته اذا مت لا جسم ولا حالي
انشد من اتاك من مشرق ومغربها ... ما فيه حي غفل ماذاق معدالي
كم عين وزْفانة تنظر لغايبها ... على رهق قلب راعيها وزلزال
خلّيت من دمعها تمرض حواجبها ... فرّقت ما بينها كله من افعالي

* * * *

يا الله أبي اطلْبك طلْبة وانت تاجْبها ... يا الله ياخالق الانسان يا والي
الطف بروحي نهار الموت قاضبها ... نهار قبري ببطن الارض يفجا لي «٤»
نهار روحي على الايمن مصلْبها ... نهار ما ثابني أهلي ولا مالي
عشرة أراشين من دنياي كاسبها ... وما بقي مكسب الديان وعيالي «٥»

* * * *

أمسيت مقفي عن القُشة وصاحبها ... وامسى قريب العدد للمال متوالى «٦»
أمسيت مقفي عن الدنيا ونايبها ... خلاف ما افقيت به ما عاد يبقى لي
الا ذنوبي وحسناتي بصايبها ... واظنها بين كتاب وكيالي
أمسيت في بناية ماني مجرّبها ... أظلم علي القبر وايضا الهجر طال

---

١ - متربها تاركها ومغيبها. ٢ - البد : البطن. يهيا : يحق.
٣ - أوغلني : فاجأني. ٤ - يفجا : يشق. قاضبها : قابضها.
٥ - اراشين : مقاس للقماش العشرة منه تساوي كفن.
٦ - القشة : الاملاك وكل مقتنيات الحياة كناية عن حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة.

قلت اوسـعـوا لي وهدّوا من جـوانبـهـا ... يا حَيف ذي المحاشـر كـيف تسـخى لي
قـالوا هذا الحق مـا نَقْـدر ندَوْلبْـهـا ... واللى نحُطه لك يحُطُه لنا التـالي «١»
ولَموا علي الطُبَقْ ما اسمع محضُبْها ... دانوا عليْـه من الدُقّـة والاجـلال «٢»
وسـاروا على الارض وانا في مناكـبـهـا ... امـسيت مـا اعلمك ياملفَـايْ وعـيـالي

* * * *

يا الله ذنوبي عن احـوالي تغَـرْبهْـا ... نهـار كل حـضـر في الموقف العـالي
نهـار مـا تنفع الحـيلات صـاحـبـهـا ... كل تفَـقُـدْ ذنوبه قـال واحـالي

* * * *

اوصـيك يا بَاغِي البُلْغَـة وتطلبـهـا ... خلّك على مـا ينْزلْ ربك العـالي «٣»
كَـمُلْ فـروضـه وجنْب عن مـغاضـبـهـا ... اوصـيك لا تشـتـقي في نَمّ الأقـوال
النفس لا مـا تمَنّتْ شَيْ عـاتبـهـا ... ترى من النـفـس يبـليكـم بـالاهـوال
النفس لو زَايلَتْ في شيء مـعـجـبـهـا ... لا تامن الموت شـوف العـمـر زوال
واوصـيك الايام لو هبّتْ هـبـايبـهـا ... لو زان مـعك الهـوى في كل مـعـدال
لو طايَبتْ لك وشـفت انك مطايبـهـا ... ياغافل اضْحَى ترى لك سمُها كالي «٤»
ولْيَـا وُفي حـدُها تاخـذ قـضـايبـهـا ... وتميل حـيث انهـا تُومَـرْ وتشـتـال «٥»

* * * *

واختـم بذكـر النبي عـدّة مـراكـبـهـا ... شـفـيـعنا يوم جـا للذنب كـيـالي
في الموقف اللى جـمـيع الناس حـاضـبـهـا ... نهـار كَـشْفَ الدفـاتر كُلْش يلالي «٦»

* * * *

---

١ - ندولبها : تغير منها.
٢ - الطبق : مايوضع على الميت في اللحد من حجارة مصفحة. محضبها : تحضيرها. الدقة : التراب الدقيق من الرمل.
٣ - باغي : مريد. ابلغة : الفائدة.
٤ - كالي : مخزون. ٥ - وفي : انتهى. ٦ - حاضبها : حاضرها.

وفي النصح عن اتباع الهوى يقول الشاعر عبد الرحمن بن فواز الأحمدي :

أوصيك لا تشتقي باهْل العيون النِّجْل تنشاف
تَرِّك حبال الهوى ما قَطّ نالت ما صليَّة«١»

تموت في هذى الدنيا ولا لك حظ ينشاف
خسْران نَدْمان فيها وانت مالك عاقبيَّة«٢»

والمِزْنَة اللى تَمايَلْ ظلُّها مع كل مهْياف
الكُل خَيَّل ويطمع في مطر ذيك النزيَّة«٣»



١ - ترك : دع. ماصلية : وصل.
٢ - عاقبية : حسن عقبى.
٣ - مهياف :مطلّ بمشراف. النزية : النزوة بل اللفتة للنظر المؤمل فيها.

الغـــزل

١

يترفع شعراء البادية عن الخوض في الغزل لعدة أمور منها التربوي فيخشون عند ترديد الشعر الغزلي وابداء الاعجاب به افتتان الناشئة بالغزل وما يودي إليه التشبيب من تقاصر في الهمم التي تسعى القبيلة لا ذكائها، وتهاون في القيم التي تعمل القبيلة على ترسيخها، ومنها مايتصل بالحياء واحترام نساء القبيلة والجوار ومراعاة مشاعر أقارب النساء الذين - بلاشك - يغضبهم التغزل بنسائهم، ومنها ان الغزل يرتبط كثيراً بالهوى والطيش وهذا ما يتجنب الناشئة الاتصاف به لاسيما وان التنافس بينهم يكون في الفروسية والسماتة والفضيلة، وهذا لا يعني مذمة الغزل ورفضه، ولكن المجتمعات الصغيرة المؤلفة من جماعة يجمع بينهم النسب والقربي والجوار المديد يتحرجون من الغزل، وإن أبدعوا غزلاً وكان في نساء القبيلة فانهم لايذكرون الاسماء ولا يتجاوزون الآداب والعفاف والطهر، وكثيراً ما نقرأ القصائد الغزلية وينقلنا الشاعر عبر مشاهد خيالية رومانسية حتى إذا شاركناه رحلته الغزليةفاجأنا بانتباهه ورجوعه إلى الله أو انه كان يحلم، أو انه يتطلع إلى الزواج.

ولقد أمدنا الشعر البدوي بنماذج شعرية غزلية غاية في السمو والابداع، وتركت في نفوسنا صوراً لا تمحى من الذاكرة.

وفي هذا المجتمع البدوي ينظر إلى الهوى بأنه ما خرج عن نطاق الزوجية وهو مذموم كما يحدد مفهومه الشاعر في قوله :

أنا شريت الهوى بمية وبعته باربعة دين	ستة وتسعين من نقد الهوى راحت هداره
واللى شرى باربعة بعد الغلا باعه بقرشين	ولّيت يا الشروة اللى من خسارة في خساره

٢

وقيل للشاعر صالح بن مايق الأحمدي وهو صاحب دين ومعرفة : ان علي بن غنمي صاحب غزل ومع ذلك فهو ذو رجولة فائقة، فأجاب : ليس

ذلك صحيحاً، أي ان الرجولة واتباع الهوى لا يجتمعان، فارسل إلي ابن غنمي يمتحنه بهذين البيتين :

يا علي أبي انْشدْك عن بحر غزير وفيه زلزال

يُزوعْ قلبي مع المهبول يوم اسْمع دُويُه «١»

وردْت وصدْرت ما حصْلت لو هو ربع مثقال

أدْونْ مني شرب من ماه واسْقى له ظميه «٢»

تسلم ابن غنمي الرسالة فأدرك أنها امتحان فأجاب :

هذاك بحر الهوى ياما شُبَكْ قلبين جُهّال

يا ما شبك بينهم والكل منهم من سميّة «٣»

وقبل ان يكمل ابن غنمي أبياته قدم إليه صديقه الشاعر مرشد بن راشد الأحمدي، وكان مرشد عازفاً عن الهوى ومتاهاته، فيتندر به ابن غنمي قائلاً : «الحق انك يا مرشد تحب وتهوى وبودك ان تكون مثلي لكنك شرود تخاف من الذبح»، وكان مرشد منصرفاً عنه إلى بيتي ابن مايق وبيت ابن غنمي يتأمل ويفكر ثم يكمل رد ابن غنمي أو يجيب عن امتحان ابن مايق قائلاً :

هذاك بحر الهوى وغْصون فيها الورْشْ نزّال	ياورش بحْره عريض الشبْر ماله محْكريْة «٤»
إن جبت ابي اغْضى عنه ولْياه له رنّان وخيّال	ولياه شوق الغرام وكيف سلْسل من ظميّة «٥»
وان قمت اباريه بْراقه يصيب الروح بازوال	ترمي بديه الجهل لو كان راعي معقلية «٦»
ترمي هبوبه هوى رمي الدلْي في واسع الجال	ان كان ما قلت له ما اذْكرك وانسى اللي عليه «٧»
قلته وانا يا «علي» لي قلب شدّاد ونزّال	وانا احمد الله عطاني قيْد احكْره بالقضية «٨»

١ - يزوع : يفزع. دويه : دوي البحر. ويعني همس الهوى ومناداته التي تحدث في الاذن صوتاً يشبه دوي البحر ولكن لا يسمعه سوى المعاني.

٢ - أدون : أقل سن أو مكانة.

٣ - جهال : شباب. سمية : قبيلة أو ناحية.

٤ - الشبر : المساحة.

٥ - اغضى : اصرف النظر عنه.

٦ - أباريه : اصاحبه. ازوال : اختلال. بديه : من البداهة.

٧ - الدلى : جمع دلو. الجال : جوانب البئر.

٨ - احكره : املكه وامنعه واتحكم فيه.

القيْد ما هو من الصبُّ الحَضرْ عاشق ودلال   القيد درْع الحيا وادراك يا خرْج الزُرِيَّة «١»
واروحي الى غدتْ ما عادْ بيَّه يا «علي» حال   كامي على الناس ما يدرون وش بي من بليّة «٢»

* * * *

٣

وبهذا يؤكد الشاعر ان الرجولة شيء والهوى شيء آخر، واجتماعهما في الرجل أمر محتمل الوقوع لأن الهوى المذموم ذلك الهوى المصاحب للمجون والاسفاف، أو ذاك الهوى المتعلق بالشهوة فإنه ينزل قيمة الفتى ويحط من رجولته، وفي ذلك يصور لنا الشاعر عيادة بن مطير الأحمدي حادثة مع امرأة اعجبت بفتوته فلاحظ ميلها إليه ورغبتها في التحدث إليه والتبسط معه وشعر انها ربما أغرتها وحدتهما في هذا الوادي إلى عمل مشين فقال :

يقول راعي القليب اليوم انا بَاسْقيك من ماه   من ما عذّيناه عن كل الورود ولا يباح «٣»
واليوم لك بَايْحينُه والزُهَرْ وذي تجنّاه   ما دام انا وانت في المَاقف قضيفين المراح «٤»
وليا انْ ما ينْشربْ عِدًا تبغْثر وانْطمَلْ ماه   ما يشرب الما الهماج اللي نوى شرب القراح «٥»

* * * *

وقلت : خلُّك على وجهك وحيضانك مرَسّاه   تَلْقَينْ همَّل ظوامي تشربهُ بغثُر وصافي «٦»
وان كان شَحْحْ عليك الوقت واحوالك مداراه   عليك باللي تسحْ ردونها وسط الطرافي

وسواء كان ظن الشاعر موافقا لهدفها أم الله تصور خاطيء، ولكنه يمدنا بصورة من صور العفاف في البادية.

٤

ومن أطرف ما روي من قصص الاعجاب الذي تنطلق شرارته من حول الآبار، ماحدث للشيخ داخل بن طلال الجهني يرحمه الله وهو أحد شيوخ قبيلة

١ - الصب الحضر : الحديد والرصاص. ادراك : من الدرء والمنع. الزرية : الانتقاد والذي يعيب من الاخلاق.
٢ - كامي : مخفي. بلية : بلاء. ٣ - عذيناه : حميناه.
٤ - قضيفين : محدودي المجال ووحيدين في المكان. ٥ - تبغثر : تكدر وتعكر. انطمل : اتسخ وتلوث.
٦ - همل : هوامل متسيبة لا اخلاق كريمة لها. بغثر : عكر.
٧ - شحح : شح. مداراة : كفاف. الطرافي : شجر الطرفاء أو اطراف الجبال من الارض.

«جهينة»، وكان الشيخ داخل دمث الاخلاق، بشوش المحيا عذب المؤانسة.. وهو من اصحاب الرأي والمشورة، ويشترك في كثير من اللجان الرسمية التي تشكلها الدولة لتحقيق التنمية والخير لمنطقة «ينبع».

وخلاصة القصة انه مر بعدُ «السلْيم» «*» في عام ١٣٦٠هـ وكان فتى يافعاً يفيض حيوية وبشراً، ويخطو في غرة العقد الثالث من العمر. كان يمتطي ذلولاً زينت خيوط الحرير الملونة وذات الكتل المتفاوتة الاحجام مقدمها كما زينت نقوش الحناء مابقي من ملامحها الرشيقة، اقبلت الذلول صوب البئر، وترجل الفتى مسلما على رجل وفتى صغير وفتاة كانوا عند البئر قائلاً: «سلام ياورد الماء» وهي عادة التسليم عند بادية هذه الناحية إذا وردوا الابار، وغالباً ما تقال عندما لا يعرف المسلم اسماء من يسلم عليهم.

أجابه الوراد بمثل تحيته.

وكان هناك رجل يضطجع مستنداً إلى صخرة، وصبي يعبث بخوط من «بشام» وفتاة تجبذ الماء من البئر، تسقي ابلاً لها اكتظت حول الأحواض، واقترب الشيخ داخل وزاد تأملاً في الفتاة وراعه جمالها، جدائلها وقد تاهت بينها وبين الرشاء في انحناء الفتاة تغيب مع الرشاء داخل البئر وفي ارتفاع قامتها تتناثر علي صدرها، لقد كانت فتاة فاتنة، رشيقة الحركة، واثقة الخطوة.

ومال الشيخ إلى الرجل هامساً: «ألا تسقي عن هذه الفتاة وهي انثى ضعيفة وانت رجل قوي وخلو من المشاغل»؟

قال الرجل: أنا لا يهمني ضعفها، فإن كان يهمك ذلك فادفع لي أجراً وسأسقي عنها كل ورد.

قال الشيخ: إذا كنت تضمن لي الزواج منها فإني أوافق أن أدفع لك ما تطلب من أجر!

* عدا السليم: بئر في ديار جهينة لا ينضب ماؤها.

ولم يكن بين الرجلين معرفة سابقة، ولكن الناس تعودوا أن يوجهوا مثل تلك الأسئلة علي شكل مداعبات في مثل هذه الحالة.

على أية حال، انصرف الشيخ إلى ذلوله ينيخها، فظنت الفتاة انه عزم على الرحيل فقالت: «ياطرقي شوف القدح في السماط احلب من البل ترى اللى قبلك احتلبوا».

قال: أنا رجل حضري ولا أعرف الحلب»! قالت: «الحضري مايسري الليل وحيد، ودمك دم بدوي، ويمكن سرحت في البل، ولكن ماعليك، هذا الرجل يحلب لك».

قال: «إذا ما تحلبين لي انت فما اريد حليب».

قالت: «ياسمي انا عزومتي حسب العادة المعروفة في ديرتنا، ومادام العزومة على الحليب فيها اخذ ورد ترى هونًا».

وكلمة «سمي» هنا تقال لمن لا يعرف اسمه وهي بمقام «فلان» أو تقال لمن اسمه كاسم المتحدث.

فما كان من صاحبنال إلا ان أخذ القدح وحلب الناقة والفتاة تنظر إليه، فلما ادركت الفتاة صدق حدسها قالت في ابتسامة: «أما قلت لك انك رجل شقي». فاستحيا ان يجيبها بغير ابتسامة، وانصرف إلي الرجل يسأله: ابنة من هذه؟ انه يعرف قبيلتها من «وسم» ابلها، ولكن من هو ابوها؟

قال الرجل: انها ابنة «هندي بن هنيدي بن عطية».

فركب الشيخ ذلوله مودعاً.

لقد احتلت الفتاة مكاناً من قلبه شده إلى هذا الوادي، ووجد انها ضالته المنشودة، لن يبرح الوادي حتى يخطبها، وعليه ان يهيىء المساعي وان يحث الخطى في سبيل ذلك، وتذكر صديقاً له يدعى الشريف «عبد الله بن زريعة» فهو خير من يعول عليه، وأقرب من يجد فيه النجدة انه شيخ حيّه لا يرد له طلب في قومه أو جيرانه بماله بينهم من تقدير واحترام.

وبين «عد السليم» ومنزل «ابن زريعة» وجد الشيخ نفسه شاعراً مغرداً :

يقــول «داخل» يوم شــاف الغـضـيّــة	على «السَلْيم» مــورّدة للبــعــارين
العُنق عَنق الظبي واحـــسن شــريّه	ونْهـود قـفْـز مـثل حب الرمـامين «١»
وجْـعُـودها تشـدي حـبـال المطيّـه	تَنْسف على الامتـان مثل النياشين «٢»
واستـغـفـر الله كَـونْ فـيـهـا خطِيـة	مـاشـفـتـهـن لكن خَـرْص ونخـامين
تَجْـبـدْ وتـسـقي قلت : هذي صـبـيّـة	من هو يخـدم الغـرْ واسَلْم الشين «٣»

وهنا توقف حيث اشرف على حي «ابن زريعة» واقترب من مجلسه ونهض يستقبله فتى.. فترجل وسلم الذلول للفتى ودلف إلى المجلس وتعانق الصديقان، هاشمي وجهني، وتبادل الصديقان الاخبار والاشعار، وذكر «داخل» قصته وأبياته الشعرية، وحضر المجلس خال الفتاة «سالم»، وهب الجميع بعد «قراهم» واتجهوا صوب حي «ابن عطية» والد الفتاة، وفي الطريق أكمل صاحبنا ابياته بقوله :

خـبُـرت «ابو عـابد» و«سـالم» سـويّة	اني صُـويب وباغي اللى طبـيـبين «٤»
ريا واوجـــودي يوم تَطْرِى عليّـــه	احِنْ وادْعي مــثل دعــوى المقــفين

وما ان وصلوا حي «ابن عطية» حتى هب القوم لاستقبالهم.. وما ان استقر بهم المجلس والفرحة تشرق على محيا المضيف حتى تحدث «هندي» والد الفتاة معبراً عن فرحته بقدوم ضيوف من اعيان القبيلة واصدقائه ومن الوجهاء الذين لهم كلمة مسموعة في حل الخلافات التي تقوم بين القبائل، وبعد ان تناول الجميع القهوة العربية استأذن «ابن عطية» ضيوفه قائلاً : «الحمد لله الذي جاء بكم، حنا عندنا خلفة، وبعد العشا لعلكم تحلونها» فاستجاب الضيوف مستعدين ان يسهموا في حل هذا الخلاف ولعلها مناسبة طيبة لطرح موضوع الخطبة.

---

١ - قفز : ناهدة.
٢ - جعودها : ضفائر شعرها.
٣ - الشين : المال.
٤ - أبو عابد : عبد الله بن زريعة. سالم : خال الفتاة. صويب : جريح.

وأضاف «ابن عطية» قائلاً : ان ابن أختي خطب ابنتي وهي وحيدتي ووافقت وبالامس عقدت القران، وابن اخي أبدى رغبته في الزواج منها، ويرى انه احق بها من ابن عمه، فلعلكم تطلبون لي منه السماح، فإنه لا فرق بينهما عندي، ولو تقدم ابن اخي قبل ابن عمه لكان احق بذلك ولكن «سبق السيف العذل».

ومع انها كانت صفعة وجهت إلي الشيخ «داخل» إلا ان انهاء الخلاف بين العم وابن اخيه اصبح شاغلاً جديداً تعزى به العاشق والوسيط، وتم التسامح بلا جدل ولا نقاش استجابة لرغبة العم وتكريما لضيوف الحي.

وتناول الضيوف قهوتهم، ورحلوا دون ان يتحدثوا في أمر الفتاة بغير المداعبات الرقيقة، وعاد «داخل» إلى حيه يردد من جديد الأبيات السابقة.

ولكن الخبر شاع وتناقل الشعراء القصة وابيات «ابن طلال» وكان اول الفرسان من الشعراء الشيخ «محمد بن ناصر الرفاعي» من كبار رجال «رفاعة» من قبيلة «جهينة» حيث قال :

بدا الرفاعي بالمثايل عَشيّة	ساعة لفَتْه اخْبار شكوى المودّين
يْبني المثل من خوف بعض الخطية	يجنى ثُمَرْها جَنْي نَوْر البساتين
والحسن يرمي والعيون السّهيّة	سهومها تشدى سهوم المتاقين «١»
وواجب علي الصاحب وراع الحميّة	يُوردْ حباله كان ما عنه مقفين

إلى آخر القصيدة..

وتناولها شاعر آخر واعتقد انه «ابن زريعة» حيث قال :

البارحة ميَّزْت كا الدعيَّة	ميْزتها ميزة على اليسر واللين
ولَيْن لي صاحب وحقَّه عليْه	صاحب خيار ومن عقوب الشياهين «٢»
اللي وِرْدْ «عِدْ» يروي الظميَّة	«عد السليم» وشاف فوق مزاوين

١ - تشدى : مثل. المتاقين : الذين يتقنون إصابة الهدف عند الرماية.

٢ - عقوب : جمع عقاب شيهان من الصقور الحرة.

هذي «لداخل» ريّد زين الثنيَّة اللي يقول : ان الحلايا تخامين
تَغْبى على مثلي ودربك لويْة وانا كما حالك تبعْت المرذين «١»

ووصلت الأشعار إلى والد الفتاة وكان من الشعراء الموهوبين فقال :

سمعت قيلاً شاع في كل نيّة وكا لوا عليه اهل الهوى مستلذين
واصْل السببْ «داخل» بهذي وذيْه المال مشْري والعربْ فيه شاقين «٢»
حلالهم حلْيا وزودْ شويْة وعنّى قلوب اهل الهوى والشقيين «٣»
واوصيك يا الصاحب وحقّك عليّه لا تولّع الخاطر مع اللي مقفّين
ودْ المقفّي مابه الا الأذيّة لك الطّنا واهل المودة مريحين
ومن قبلك العشاق ساروا كذيّة ومن بعد رُزْنَ العقل ساروا مجانين
«مجنون ليلى» و«زينب العامرية» اخبارهم تذكر لنا في الدواوين
وخافوا من الله كلكم صيْرفيّة والهرجْ تلْباه الرجال الفهيمين «٤»
واليوم شايب واطلب المغفرية ياالله تأمنّا على العقل والدين

* * * *

٥

تقدم الشاعر ناصر بن عيد العمري لخطبة ابنه عم له فردته فقال :

ياعذْبْ يا عذْبْ يا اللي من جنَابي صرت قنْعان
تراي قنْعان عن من لا يود ولا يصافي
نعافْ من عافنا ونْزيد حبْل الكرْه كُرْهان
عزّى لمن يترك الشّيمة ولا ياتي عزافي
انا احْمد اللي وقّاني عن ملايم عُود دخّان
لو كان عوده نصيح أوباه دخان الخلاف

* * * *

١ - تغبى : تخفى. لوية : ملتوية. ٢ - المال : يعني الفتاة. مشرى : مخطوبة.
٣ - عنى : أتعب. ٤ - صيرفية : حكماء في تصريف الأمور. تلباه : تفهمه واللبيب بالإشارة يفهم.

نفــوذ

١

مما يؤخذ على بعض الأولين في تلك الفترة ممارسة شيء من التسلط والنفوذ على صغار السن والنساء، من حيث الأملاك الآيلة إلي الأسرة عن آبائهم أو ذويهم، فرب الأسرة أو زعيمها يبسط نفوذه على هذه الأموال ويتولى تصريفها دون مراعاة جانب العدالة أو اعطاء الحقوق إلى اصحابها، ويتمسك بهذه القاعدة حتى وفاته، ويرى في مطالبته من ذوي الحقوق لحقوقهم تعديا على مكانته وولايته، ومن ذلك ان رجلاً يدعى «عبد الله» من أهل «ينبع» وله ابن عم أصغر يدعى «عودة» وكان مالهم مشتركاً، فرغب الفتى في الاستقلال بحظه من المال والتصرف في تنميته وشؤونه، فعرض على ابن عمه هذه الرغبة وتقسيم المال بين الورثة، فلا يعترض ابن العم على هذا الطلب ولكنه يسوف فيه، بأن يقول للفتى: خذ هذا العام ذلك الجزء ريثما تتم القسمة، ويقبل الفتى ذلك، ولكن الطلب يتكرر منه، والتسويف والمماطلة يتكرران من ابن عمه عميد الأسرة.

وكان للفتى صديق يدعى «عودة السريحي» فاستشاره الفتى بهذين البيتين الحربيين:

قولوا «لعَودَة» قلب «عَوْدَة» في اجْتوال ... بَانْشُدْك لاجلك صرْت من رَبْع سدود «١»

لا دام مـــالي في القَـــرايا رَاسْـــمَـــال ... أصْبر على الهَوْنا وتكْسِير الحدود؟ «٢»

ويبدو ان «السريحي» لم يجبه، ترفعاً عن التدخل بين أبناء العم خشية ان يعد ذلك اذكاء للمشكلة وتطويرها، ولكن الناس حذروا «عبد الله» من مغبة استمرار المشكلة وتطورها، وان هذا الشعر لا يصدر إلا من شاعر بالغبن والشعور بالغبن، قد يؤدي إلى مالا تحمد عقباه.

---

١ – اجتوال : غليان وحيرة. سدرد : أكفاء.

٢ – القرايا : القرى. راسمال : ملك. اهونا : الهوان.

قال «عبد الله» : أنا واثق من ان ابن عمي لا يجسر على الاساءة إلي أو قتلي.

وتدخل الناس للاصلاح بين الطرفين دون جدوى، واخيراً نجحت وساطة أحد أصدقاء «عبد الله» ويدعى «أبا العسل» في قرية، وابنا العم في قرية اخرى والقريتان متجاورتان، فقد استلان الفتى ودعاه إلي منزله، وفي نفس الوقت أعلم «عبد الله» بأنه سيجمع بينهما وينهي الموضوع بأن يضع الفتى أمام الأمر الواقع، وهو الجمع بينه وبين ابن عمه واحراجه وعقد الصلح على مايرغب «عبد الله»، وهذا الصلح مؤسس علي ما يعزز موقف كثير من امثال «عبد الله» وربما كان «أبا العسل» واحداً منهم، وهو اعطاء كبير الأسرة وزعيمها حق الولاية والتصرف في أملاك أفرادها دون منازع، لذلك اشترط «أبا العسل» على «عبد الله» ان يحضر قبل مجيء «عودة».

وقبل ان يحين الموعد جاء «عبد الله» ورحب به «أبو العسل» واجلسه في صدر المجلس، ثم جاء «عودة» وقلل «أبو العسل» من أهمية «عودة»، حيث اجلسه في طرف المجلس وقدم له قهوة من القهوة المعدة من قبل «لعبد الله»، فأحس «عودة» بالاهانة، ولم يتناول القهوة وفكر قليلا ثم نهض معتمداً علي بندقيته وقال :

يا «ابا العسل» حطّيت بابا دون باب الحَقْ حدُّه في القصور اللي بَنَيْت

ماينفع التوجيه والباطل خراب يجيك نقّاض العزايم ما دريت

ثم انصرف، بعد ان أحبط مخطط الرجلين. وبعد أيام قال عودة :

لي حَرْبةْ سَقيْتَها من سمْ حيّة طاري علي اعلهُا من سم ذاب

ان كان ما ضربْتَها عار عليّه ألبسْ مع الخفرات منْ خمْ الثياب

قال الناس : يا «عبد الله» ذبحك «عودة» قال : نعم الآن ذبحني.

أحس «عبد الله» ان الموقف وصل منتهاه والا مناص من القسمة، فاستجاب لطلب ابن عمه، وأمن جانبه وانتهت المشكلة، ولقد كان التهديد الصارم واضحاً في النهاية، بعد ان سلك الفتى سبيل التدرج في عرض الطلب متمشياً بالآداب والاعتبارات المرعية، والمشكلة من حيث طبيعتها عامة.

٢

وفي الدفاع عن الحقوق عندما ازداد تعسف الولاة العثمانيين في المدينة المنورة ضد القبائل المجاورة لها قال الشاعر أبو تطنيشة» وهو أحد موالي الأحامدة الأبيات الحربية التالية يحرض على محاربة الوالي :

شوف المدينة دونها عشرين باب	تَبْغى لها بَيْرق ونقّاله حصيف
الجمع واجد يرْتعدْ مثل السحاب	والخير وافر والفرنْجي له رجيف

وكان «أبو تطنيشة» من الشجعان وأهل الرأى، وحدث ان اطلع على حكم جائر صدر من أحد كبار القبيلة فقال :

ياحرب كيف الحي يدْفَنْ في القبور	والباقْصَة يرضى بها راع الحساب
اللى بَجنْب الما يصلّي بالعفور	وان قلت باطل قال عندي في الكتاب

وقد وجه هذه الأبيات ثم هرب إلى المدينة متوارياً عن أنظار مطارديه، وعندما ظهرت الحاجة لفروسيته وشجاعته أمن واستدعى فعاد.



طرائف ونوادر

١

«النجر» أداة من الخشب تسحق وتدق بها القهوة، و تكون «هاون» إذا كانت من النحاس، ويكون الدق بصوت مرتفع تعبيراً عن الدعوة للمشاركة في مجلسها، وكانت سنوات ماقبل ١٣٦٠هـ قاسية الوطأه على الناس لما منيت به البلاد من جفاف، والموارد الخارجية من كفاف، مما يجعل الرجال في حرج من حضور المجالس تجنباً للاحراج، وكان «سعيد بن مصري الظاهري» مجاوراً للراوية فسمع صوت النجر يدوي في منزله فتحرج من الذهاب إليه خشية الاثقال على «الراوية» وضيوفه بالمشاركة في طعامهم.

وفي الليلة التالية سمع صوت النجر فلم يقدر علي الامتناع من الاستجابة لهذا النداء، فذهب واستقبله «الراوية» مُرحباً فقال :

ياعيال لا واسْعَيْدَ اللى يحيّي بالرجاجيل ... ويقدّم الزاد في هذا الزمان المْشَبْهاني
في رِبْعة تسمع الهرْجَة وتصفيق الفناجيل ... والنُجْر يلعب على الجنبين لعبة نقرزاني (١)
ما جاه عبد البقوم ولا تهيًا له «زمْيهيل» ... و«حامد العلوني» ليْه يتهيًا لي وجاني (٢)

وأمضى «الظاهري» ليلته مسامراً نبيلاً امتع الجلساء بقصيدة في وصف ذلك الزمان عام ١٣٥٩ قائلاً :

لا واهني عام تسع بخير وسعود ... عساك عنا تروح اليوم يا ذيب البقوم
تُروح عنا ورا «اسطنبول» متْجلي ومطرود ... عسى نْتحَمل بضيف الله والحق اللزوم (٣)
والسْعر يرخص ولا شي في البلد حاسد ومحسود ... واللى تصَقّر يْعوُد لا استدارت فَرْخ بوم (٤)

وقد أجابه «الراوية» قائلاً :

ماباس يا عَوْد يشكي ذيب في الاقطار موجود ... عَمَّ البحر والبرور وظِهْر نجمه في النجوم

١ - نقرزاني : نقرزة النجر صوت يتفنن الذي يدق النجر في ضربه لشد الانتباه إلى.
٢ - عبد البقوم : هو الجوع. تهيأ : فاجأ. زميهيل : الفقر وما يقصر عزم الرجال. حامد العلوني : رجل مستأجر لمزوعة الظاهري، ويبدو انه مسبب له المتاعب في السداد والحساب.
٣ - متجلي : جالي ومنفي. ٤ - تصقر : اصبح صقرا بالامكانات المتاحة له وليس بمعاني الرجولة وفطرتها.

والعام ما هو حلي ماهو حلي سَعْيه ومقرود　　　　الله يلوم الهـبـيل اللي على مـثلك يلوم
اسال من يجري الارزاق منشي الورش في العود　　　　يسْبل علينا السّتـر ليـوم تعـزيل الهـدوم

* * * *

وكـان «لابن مـصـري» صـديق يدعى «سليْم» يشـارك رجـال الحي مـجلسـهم، ويأوي إلى داره متى ما تفرق الجلسـاء، وفي احدى الليالي لم يغادر «سليم» المجلس بل انه بقي وحيداً به، ويعود السبب إلى انه طلق زوجته ولم يعد له حافز للذهاب إلى المنزل، فما كان من «ابن مصري» إلا ان يقول :

الليـلة امـسـى «سَلَيْم» مـفـارق اللؤلو والاثـمـار
من بعـد مـا هو غني أمسى من الناس الفـقـارى
يَنْقُـزْ كـمـا يَنْقـزَ الجُـرْذي من الجنة إلى النار
الليلة امسى سـواة الُلطْخ في مَرْسى الهـوارى

* * * *

٢

وحـدث ذات مـرة ان كـان في حـيـهم رجل مـسن يدعى «محـمـد بن سـعـيـد» ومتزوج من امرأة دون العشرين سنة من العمر، وكانت فائقة في الجمال، وذات شخصـية كريمة، وإلى جـانب كبـر سن هذا الزوج كان مريضاً ومن المدخنين وكان النساء ينفرن من المدخنين.

ويبـدو ان المرأة ملت المقـام مع هذا الرجـل، وقـررت مـغـادرة الحي إلى مضـارب أهلها التي تبعد مسافة خمسين ميلاً عنه، وفعلاً تم لها ذلك، فقد أقبل الزوج ليلاً إلى مجلس الحي متأبطاً بندقيته، وكان بالمجلس أربعة رجال هم «مطلق وقاسي ابنا قـابل» وآخـر يدعي «سليـم» والراوية»، وبعـد القـاء السـلام وتناول القـهـوة وقف الرجل منتصباً وقال : «هذه الفسـقـانة» (ويعنى زوجتـه) سرت ليلاً متوجهة إلى أهلها وسوف اتبعها لاردها أو ابلغها مأمنها «ثم انصرف منطلقاً وراءها.

قال مطلق :

الغـر قـفّى وخلّى جـارنا كنّه على نار — الليلة امسى «محمد» منتحى عنا بشدة

قال سليم :

قـفّت عنه مع جـهام الليل مثل الملح لاثار — قفّت كما الجاري اللى لا جفلّ ما اعطى بلدة

قال قاسي :

يا خاتمة خير كيف يتركُه من غير معذار — عساه يا الظَّفر ماهو بينهم حدُّ المودة

* * * *

٣

للشاعر سعيد بن مصري الظاهري مواقف طريفة وأشعار خفيفة تطرب الجلاس، وتشيع البهجة بينهم، فعندما ظهر الشاي بين قرى وادي الصفراء وينبع، لم يستطع ان يحل محل القهوة، وتجسيداً لاهتمامهم بالقهوة جعلوا الشاي لمجالس النساء واحتفظت القهوة بمكانتها سيدة مجالس الرجال، وابن مصري يصور لنا الموقف من الشاي في الأبيات التالية :

ياعيال جوزوا عن الشاهي ترى مافيه نُوماس — مافيه غير الخسائر والبقايص في الحوالي «١»

وان جيت تَزْهمْ على الصاحب وليا انه غير دسّاس — مكّمش كما يكّمش البردان عند ام العيال «٢»

غـرامنا دلّتين وبنّهن يحمس بمحماس — يشرونه اهل المعاني بالجنيه وبالريال

يدْرجْ على اللى إذا صفوا سواة التّرك جلاّس — شباب والا نشامى من بواطير الرجال

ويقول «أيضا» في ذم الشاي وذلك عندما اشتد تعلق النساء به :

هوى الربايع سلّط الشاهي علينا — لازم نجي به من صباح إلى صباح «٣»

قـضّى عـزيز المال كله من يدينا — لا طيّبه يذكر ومال الناس راح «٤»

وله ايضاً في هذا الموضوع مضيفاً إليه موضوعاً آخر وهو «الشركة»، والتي هي من عادات أهل القرى قديما، وذلك ان يشترك جماعة في شراء كبش أو نحوه، ثم

---

١ - جوزوا : امتنعوا. نوماس : فخر. البقائص : النقائص. الحوالي : الاحوال.

٢ - تزهم : تنادي. دساس، مكمش : مختفي في منزله.

٣ - الربائع : النساء. ٤ - قضى : سحب وأخلى.

يذبحونه ويقتسمونه بطريقة الأسهم، والذبيحة «شطان» أي قسمان، والقسمان أربعة أقسام، وكل قسم منها يقسم إلى الأدنى، وينال كل واحد من الشركاء حصته بضرب الاسهم بينهم، ويعطي الذي يقوم بعملية الذبح والتفصيل جزءاً معيناً يتصل بالرقبة فيحتال عند فصل الرقبة عن الظهر باضافة جزء منه إليها وفي هذا يقول «ابن مصري» :

اصل السبب من قرادتنا　　من ثُمْنْ سكَّرْ وربع الربع
ولا ما ان جينا لشِرْكتْنا　　أخَذْ ظَهَرْها خبيث الطبع (١)

* * * *

٤

انتجع «ابن شفيع» شعباً في ديار الأحامدة ليمضي به موسم الربيع، حيث وفرة المراعي، وقرب الموقع من حيه في «ينبع النخل»، و«ابن شفيع» من أصحاب المواقف الرجولية وهو قائدي» من قبيلة حرب.

وارتاح «ابن شفيع» في هذا المنتجع والجوار، إلا ان ذئباً مفترساً فر بواحدة من اغنامه صوب الجبال الشاهقة ولم يتمكن الرعاة من تخليصها من أنيابه، وتناقل الناس الخبر واثاروا شاعرية «ابن شفيع» بتمجيد شجاعة وسطوة ذئب ديارهم، وقيل في ذلك اشعار كثيرة حتى خرج «ابن شفيع» من صمته وكان في مجلس «ابن مطلق» شيخ «الصخارنة» من «الاحامدة» فقال :

الذيب اكل شاتي ومنْذِرْ بالوعيد　　ما يدري ان الملح عانيتُه يَدِيْ
يحرم عليَّه زبْد واللبس الجديد　　ان كان ما اجي به لشيخ القوم حَيْ

ولما كان الموقف ليس جاداً، وانما تحول إلى حماسة ودية فقد وضع الشيخ «ابن مطلق» جائزة لمن يفي بعهد «ابن شفيع» فانطلق الشباب إلي الجبال يبحثون عن

١ - الشركة : ذبيحة يجتمع مجموعة من أهل الحي فيدفعون ثمنها حصصاً غير متساوية حسب حاجة كل منهم، وعندما ينتهي من ذبحها وتقطعها وتقسيمها إلى أجزاء متساوية ثم يعهد لواحد منهم ان يبتعد لئلا يعرف الأسهم، وعندها توضع الاسهم بقدر عدد الأجزاء، ويعرف كل شخص اسهمه وهي عبارة عن أعواد وسعف نخل وأحجار وغيرها، ثم ينادي الرجل ويلقي على كل جزء من الأقسام سهما يعرف به كل نصيبه، أما الجزار فأجره جزء من الظهر، ولشطارته وحذقه فإنه يزيد في حجم الظهر الذي سيعطى له وهذا ما أشار إليه الشاعر.

الذئاب ليفوزوا بالجائزة، وما هي إلا ساعات ويأتي به أحد موالي الشيخ حياً مكمماً ومكتوفاً، ويفي «ابن شفيع» بحنثه.

٥

كان الشاعر بديوي الوقداني من رجال الشريف أمير الطائف في زمن دولة الاشراف الذين إذا غابوا عن مجلسه يفتقدهم، وحدث ان كان للوقداني صديق يدعي «العيوني» سجنه الأمير بسبب نقله خبراً مكذوباً، وتأثر لذلك الوقداني وتخلف عن مجلس الأمير ثلاثة أيام، وعندما سأله عن أسباب غيابه قال :

لِيَّهْ ثلاث ايام انا ما تعلَّمْت | اسمع وادْعْ ماني سواة «العيوني» (*)
احب راع المذهب الزين والصمت | لو شفت انا ما اقول شافت عيوني

فادخل السرور بهذين البيتين إلى قلب الأمير فأمر باخراج «العيوني» من السجن.

وعندما شعر هذا الأمير بدنو أجله اوصى ابناءه بألا يدفن حتى يقف بديوي الوقداني على غسله، رغبة في تخليد اسم الأمير في قصائد الوقداني.

ولما توفي الأمير جيء بالوقداني فوقف بجوار الجثة وقال :

الملك لله والدنيا مداولة | وما لحي بذي الدنيا بتخليد

وهي قصيدة طويلة تدل على ان بديوي الوقداني كان ينظم الشعر الفصيح وغيره.

* * * *

٦

كان للشيخ شالح بن هدلان (من شيوخ قحطان) ابن يدعى (ذيب) كان أثيراً لدى أبيه لدرجة ان اباه بكاه حياً فقال :

من هو خَبَرْ حيًّا بكى حَيْ يا «ذيب» | ابْكيك انا يا «ذيب» لو كنت حيًّا

* تعلمت : سألت عن الأخبار. سواة : مثل.

وهي من قصيدة طويلة، انظر كتاب أبطال من الصحراء لمحمد احمد السديري.

وكان من بر الولد بأبيه انه إذا رحل الحي في طلب العشب والكلأ تقدمه «ذيب» واصطاد من الغزلان والطيور والأرانب ماصادفه في طريقه، ثم سبق الحي إلى حيث سينزلون. وأعد الغداء لوالده مما صاد، حتى إذا ماجاء الوالد وجد عريشاً منصوباً وفراشاً مهيأً وطعاماً معداً، وذات مرة لم يجد «ذيب» صيداً فعمد إلي ناقته فنحرها واعد العريش والفراش والطعام لأبيه كما تعود، وجاء الوالد وتناول طعامه فادرك ان «ذيباً» نحر ناقته فلامه، فأجابه الابن: ماعليك ياوالدي غداً آتي بغيرها من نوق «ابن محيا» (أحد امراء عتيبة).

وفي اليوم التالي توجه ورفاق له إلى ديار عتيبة بهدف غزوها، وكمنوا عند أحد الآبار التي تردها ابل «ابن محيا» يترقبون ورودها والاستيلاء عليها، ولكن رجلاً من عتيبة سبق الابل إلى البئر وشاهد طيراً علي شجرة فأراد اصطياده، فرماه بالبندقية وصاده ولكن الرصاصة اصابت «ذيب» في مقتل فمات وفر رفيقاه، وجاء الحي ولم يتعرف على «ذيب» غير امرأة منهم قالت: هذا «ذيب بن هدلان»، ياما نلنا من صيده عندما كنا جيراناً لهم.

* * * *

٧

سمع «ابن حميد» (أحد زعماء قبيلة عتيبة) رجلاً منهم يغني على الربابة، وكانوا على أهبة التوجه لمقابلة «قحطان» في حروب قبلية بينهم فاستنكر الغناء في تلك الساعة فقال:

تَلْعَبْ طَرَبْ وانا بقلبي هواجيس
الله يلوم اللي لمثلي يلوم
في اللَّيْل اصالي حاميات المحاميس
والصبح اكازي كل خَمْرا قحوم

عـــرجَـــا باهَلهْــا كنّهنَّ القـــراريس

عـــالم طريح مـــهــيْـــدبات كظُوم

ومما يقال عن هذا الرجل انه إذا حان وقت الصلاة وكان يجالد الاعداء خرج إلى مكان فسيح وادى صلاته ثم عاد لمواصلة الحرب، وكان يفاضل بين الصلاة والفروسية بقوله :

أخَـيْـر منهـا ركـعـتين بالاسـحـار   لاطاب نوم اللى حـيـاته خـسـارة

* * * *

٨

أمسكت شرطة الدولة العثمانية في «ينبع» أحد رجال «الحوازم» وسجنوه، وطال بقاؤه في السجن وتم الاتفاق بين «الحوازم» و«الاحامدة» على انقاذ الرجل، والقبيلتان وان كانت المشاحنات والحروب تقوم بينهما على أتفه الأسباب، إلا ان الموقف اليوم يختلف، فهما أمام خصم لا يمت لهما بصلة غير السلطة الرسمية، والتي لم يكن لها وزن، حيث كانت القوة مركباً لتحقيق المقاصد والآمال.

تقدم الفريقان فاختار «الاحامدة» مشاغلة الجند بالاعتداء على باب المدينة البحري والاستطراد للجند ليتبعوهم بعيداً عن السجن، بينما يكر «الحوازم» على السجن ويهدمون جداره الخلفي ويفرون بصاحبهم.

ونفذت الخطة وفاز «الحوازم» برجلهم وتفرق الجمع وعاد الجند إلى السجن وقد فر السجناء منه، والتقى «الاحامدة» و«الحوازم» عند رحالهم على مبعدة من المدينة، وعندها تذكر الطرفان الخصومات التي تقوم بينهما، ولم يريدا اذكاءها، وإنما على سبيل المداعبة، وذلك بالاقلال من دور الطرف الآخر في موقعة السجن، حيث وقف شاعر «الحوازم» منشداً :

يـا اللـى تحطُّنْ الخـــــضـــاب   ياالبـــيض ســـالنْ الركـــاب

الـى قـــعـــد عـند الزُهاب   هـذاك قَـلْـتْ ثـابْـنْـــه

ويعنون بذلك بعض كبار الأحامدة الذين بقوا في المعسكر ولم يشاركوا في المعركة لكبر سنهم أو مركزهم كشيوخ في القبيلة.

ويجيبه شاعر «الأحامدة» منشداً :

ياللي تهـــدّنْ الشّـــعَـــرْ	يا كـــاســـيـــاته بالزّهرْ
ربْعي نُصّـــوا باب البَـــحَـــرْ	يوم القـــبـــايل هابْتَـــه

* * * *

٩

واجه الشاعر عبيد الله بن جابر الأحمدي ليلة شاتية ومطيرة، واراد اشعال النار للتدفئة، فلم يجد من الحطب غير اعواد بشام اتى بها السيل من الجبال بعد ان رواها ماء المطر لخصوصيتها في الامتصاص فقال :

الله يضُرْ الرُّدي يا جـمْلَة العـالم ويشْناه	النار عـيّتْ تولّع فـيك يا عُـود البـشـام
ما اصبح في البرد والدخان تكثر به وتقْباه	الجمر غَمْرَدْ وعيّا لا يشْعِل في الظلام «١»
السيل جابه على قَدّى من الضّلعان يدّباه	احْوجْني البَرْد اوقْدْ به ولو ما هو غرامي
شاديْت بعض العرب مثله ولونه مثل حلْياه	عساك يا لايمي في اللأش في الطيّب تلام «٢»
مُوردين النمـايم والعلوم اللى مـجـفّـاه	مصيرهم في جهنم كيرها مشبوب حامي

* * * *

١٠

ومن عادات الجاهلية التي حاربها الاسلام، وظهرت في الفترة التي سبقت العهد السعودي الزاهر قضية الأخذ بالثأر، فقد جثمت على صدر الأمة وكبدتها مآسي كثيرة تمثلت في غرس الاحقاد والتناحر، ومن ذلك ماحدث بين رجل من عتيبة يدعى «نويجي» وآخر من سليم يدعى «كليب» قتل هذا بسبب خصومة نشأت بينهما إثر تسابق الرجلين لأخذ ريال ألقى به في شارع جياد في مكة المكرمة فسعى «حمدان السلمي» في الثأر من قاتل أخيه، ثم ادركه صدفة وقتله وانشد :

عـامين اطرْد بني «زراق» مـالي غـيـرهم شـان

كله بشـان الريال اللى رمِيْ به في جـيّـاد «٣»

١ - تقباه : تمنع اشتعاله وتقبى : تهب عبقة. غمرد : خمد اشتعاله. ٢ - شاديت : مثلت وشبهت.
٣ - أطرد : أطارد وأتابع. شأن : هدف. جياد : من أحياء مكة، وربما كانت الخصومة بسبب هذا الريال الذي ألقى في جياد.

موالِفتني سباع «النُوبْ» و«الحاير» و«حوران»

موالفتني وتمشى بي على الدرب القصاد «١»

ياللى تريدون «ضيف الله» «نُويجي» عند «حمدان»

اخْذه نُقا في «كليب» اللى على السُدة ينادي «٢»

جاني به اللى يجي بالطير ابو سُبَقْ وجنحان

اللى يبُوج الهوا تحت السُما فوق العباد «٣»

* * * *

١١

أسر «البقوم» «بخيت العطاوي» أحد زعماء وفرسان عتيبة واخذوه ضيفاً عندهم، هكذا كان اسر (الرجال) وكان «بخيت» معجباً بامرأة تدعى «سارة الوازعية» امرأة «قاعد» زعيم البقوم، فأراد هذا اثارة «بخيت»، فاتفق مع «سارة» ان تطل علي المجلس ليراها «بخيت».

وعندما انعقد المجلس وقدمت القهوة للفارس اطلت المرأة فانشغل عن تناول القهوة برفع نظره إلى المرأة، فقال له «قاعد» : «شوف عينك حظ غيرك» فأجاب :

رَفْع النظر ماهو بعَار عليّه	لاغَيّر اناظر بنت ماضين الافعال «٤»
واونّتي يا «سارة الوازعيّة»	ونّة معيدة ساقها الصبح عمال «٥»
تقْبلْ وتقْفي فوق ذيك الحلية	من الشَعبْ طامي طَناها من الحال
وان شدُّو البدوان فوق الحنية	يبْرى لها «قاعد» علي الفَين خيّال

فأرادت المرأة مكافأته فالقت عليه جوخة «قاعد» وهي عبارة عن عباءة من الديباج، فامتنع عن أخذها، فاصر «قاعد» على قبولها، فأخذها ثم قال : جزاها يا «سارة» فرس أصيلة من خيول البقوم.

١ - موالفتني : من الألفة. النوب والحاير وحوران : أماكن كانت المطاردة فيها. القصاد : القصير أو القاصي.
٢ - نقا : لأر كريم في كرم. السدة : الباب. ينادي : مطالبا بالثأر من قاتله.
٣ - سبق : قوادم. جنحان : الجناحان. يبوج : يشق.
٤ - ماضين : صارمين. ٥ - معيدة : أسيرة.

قالت : ليتك تسلم من البقوم وخيلهم.

وبعد شهر من مغادرة ديارهم غزاهم واسر منهم رجالاً واستاق كثيراً من خيلهم وابلهم.

وبينما كان «قاعد» يتناول القهوة في مجلسه وإذا بعدد من الرجال يقبلون على الحي وإذا هم رجالهم اسرى «بخيت» ومعهم الفرس التي وعد بها «سارة» لقد بر ووفى بوعده.

* * * *

١٢

غزا «شليويح» ديار قحطان، وعندما اشرف ورفاقه على سهل به ابل لهم أمر رفاقه بالاختفاء وعدم التحرك حتى يأذن لهم باشارة تم الاتفاق معهم عليها، وتسلل «شليويح» حتى اقترب من القطعان وإذا بالفتاة التي معها تغني قائلة :

الورع راع السـيـف رده شظاني ... شظى القطيع اللي غدا به «شليويح» «١»
اللي وسقـهـا من ديار قحطاني ... واقفى عليها مردى الفطر الفيح «٢»

فانتصب «شليويح» واقفاً وقال لها : هل تعرفين «شليويح»؟

قالت : لا، قال : أنا «شليويح»، ثم أمرها بأن تعزل ابلها عن القطيع جزاء ذكرها شجاعته، ثم أشار إلى رفاقه فاستاقوا الابل الباقية.

ومن شعر «شليويح» قوله :

يامن لقلب والف الفطر الفيح ... كنه على اكوارهن محزوم «٣»
حلفت ما اخلفهن إذا تخلف الريح ... والأيشد الضلع ضلع البقوم «٤»
ويا سائلاً عني تراني «شليويح» ... ذيب على لقط الشلايا عزوم «١»

١ - الورع : الفتى الصغير. شظاني : قطعني شظايا. غدا : سلبه.
٢ - وسقها : سقاها. مردى : ناحر. الفطر : الابل. الفيح : المكتنزة لحماً وشحماً ونضارة.
٣ - كوارهن : ركابهن وظهورهن. محزوم : مشدود الوثاق.
٤ - يشد : يرحل. الضلع : جبل شهير في ديار البقوم.

ان قَسَمَوْا ربعي ذُوَيْد الصاليح   يجيك قَسْمي من عُلُوْ القسوم «٢»
وان قَلّت الوزْنه وربْعي مشاحيح   اترُك الوزنة لربعي واشوم «٣»

١٣

عندما تقدم السن «بابن قرملة» وكان عقيماً، وانصرف عنه الناس هيأ له قومه مكاناً مريحاً يليق بفارس همام، وزعيم كفؤ، يستقبل فيه ضيوفه ويطل منه على الحي واطرافه، وظل في هذا المكان يشاهد الغادين والرائحين ويتذكر صباه وشبابه ورجولته فيزداد تألماً وتحسراً على تلك الفصول من حياته، وذات يوم شاهد فاراً يحفر جحراً بجوار حرملة، فأخذ يتعجب من حركات الفأر في اعداد مأواه، وطرقه في العمل والحذر والراحة، فكانت تسلية للشيخ الذي أخذ رواد منزله في الانحسار فقال :

يافار دلّهْني وادلُهْك يافار   يوم ان كل داله في محلّه «٤»
ليُه ثمان سنين ما شفْت خُطّار   يا الله دخيلك راح بيتي مزلّة «٥»
لولي عيال كان شبُّوا لي النار   وينَشّطُون القلب لاغاب خلّه «٦»

* * * *

١٤

جمع الجوار «ضيف الله اليمني» وجاراً آخر لم يكن مراعياً لواجبات الجوار، مما اضطر «ضيف الله» إلى الاستئذان والرحيل، ثم قال :

ولّيت يا بَخْتي اللي ما تَلقّيني في الاصحاب   ولّيت يابختي اللي ماتهبى لي كُمَايَة «٧»
احسب صحيبي معي في كل راي وكل هنداب   وأثْر صحيبي يدارِجْني على سَرْقة حذايه

١ - لقط : أخذ. الشلايا : قطعان الماشية. عزوم : مقدام.   ٢ - ذويد : تصغير ذود أو جمعه. قسمي : حصتي.
٣ - الوزنة : ضيق الاحوال. مشاحيح : في حاجة. أترك : أدع حقي لهم. أشوم : أعف.
٤ - دلهني : سلني ونسني همومي. داله : منشغل. محله : شؤونه. ٥ - خطار : ضيوف من خارج الحي. مزلة : ممر.
٦ - شبوا : أوقدوا نار القهوة والمجلس. ينشطون : يبعثون النشاط في غيبة الصديق.
٧ - وليت أبعدت. بختي : حظي. تلقيني : تجمعني. تهبى : تهيىء وتجلب. كمايه : مثلي.

ادْرا واداري صحيبي لو بدا لي فيه مضراب ... ادرا ورا صاحبي لو كان في ضلعان سايه «١»
ما احْسِبْك ياصاحبي تِسْطِي على تفْطيع الاصحاب ... انا سمعتك ولكن ما تورْمني خطايه «٢»
الله رلا الصاحب اللى صحبته تمشي كما الذّاب ... يمشي كما الذّاب لا ما طبْ في وسط البناية

* * * *

١٥

كان الشاعر راشد بن سنيان صاحب أغنام ومناحل، وفي ليلة مطيرة وفد إليه ضيف فعمد إلى كبش سمين فذبحه وسعى في تجهيزه، فلقد كانت زوجته تعاني من الحمى في ليلة شاتية ومطيرة، فعاش الشاعر ليلته متنقلاً بين مجلس الضيف - الذي لتكرار غياب الشاعر عنه أوى إلى النوم - وبين الزوج المريضة، وبين الأغنام التي يخشى عليها الذئب الذي يختار أوقات البرد والمطر للاعتداء على الأغنام، وأخيراً أيقظ ضيفه مقدماً له القرى وقائلاً : «مغفور هم قم سم»، وبعد ان استراح من همومه أنشد الأبيات التالية :

ياالله يا من هو بعبيده رحوم ... ياحي يامحيي العظام الرميتات
ياحي يا معبود ذكرك مدوم ... وذكر غيرك زائل مثل من فات
ليت المحبة بين اهلها تدوم ... وفراشهم دار الهنا والسعادات
الود بين اثنين عيّا يدوم ... لابدّهم من يوم مافيه جمعات
ويا راكباً من فوق حمرا ضموم ... تاخذ «قَرى» والا مع روَيْع «خَيْرات» «٣»
و«مقرح النقوى» و«مبرك» عزوم ... رفجوج «طاشا» والدروب السميحات «٤»
والعصر في قَرْية ملم السلوم ... ياطول ما شافت تعالي وبيهات
منصاك «ابنْ فواز» واعطْه علومي ... خصه بردّة عد ماصاب زخات «٥»

١ - ادرا : أصون واداري وأستر. مضراب : عيب. ساية : قرى في ديار بني سليم.
٢ - تسطى : تسطو وتقدم. تقطيع : تفريق. تورزمني : تدفع لي. خطاية : خطاي.
٣ - ضموم : ناقة ضامرة. قرى : الطريق المعترض في الجبل، رويع : تصغير ريع وهو ممر جبلي منخفض.
٤ - مقرح النقوى، مبرك، طاشا : اماكن في وادي طاشا.
٥ - ابن فواز : احد رجال الأحامدة من فرع «الشاربي». قرية : خيف أم ذيان بوادي الصفراء. ملم السلوم : مجتمع القبائل في الصيف لازدهارها.

لو مَركب الدخان مشحون رومي — ولُولُو وصنبُولي وبُونتي وبُونات «١»
ماهو ثمنْ في مالكات الحلوم — اللي منافعهن كما غيْث جازات «٢»
الى يجينْ العيال القروم — خطْوَةْ ولد ياخذ على الرَّبع نوْفات «٣»
ان قلت له : فُكْ الحَلقْ قال : كُومي — وان قلت كيف الرأى عنده شطارات «٤»
عند الرَّحيمة ما يدور العلوم — يَنْذُر لها بالمكْسبة والخسارات «٥»
وان غلَيتْ الاسعار واقف ويُومي — مثل المواسى يدرِّج عند الأبيات «٦»

ويبدو ان الشاعر نظم هذه الأبيات متأثراً بمرض زوجه التي كانت تعينه في مثل هذه المواقف، فهو هنا يمتدحها ويمتدح المرأة وأهميتها في الحياة الاجتماعية، ويتألم أن ليس له ولد يعينه في مثل هذه المناسبة.

* * * *

١٦

قدم الشاعر ابن سنيان الأحمدي علي (ابن جويبر) من الأحامدة أيضاً وقام هذا بواجب الضيافة إلا انه لم يقدم لحماً، بل اكتفى بالارز واللبن والسمن، فاستنكر ابن سنيان ذلك واستقله، وامتنع عن الأكل معتذراً بأنه في حمية عن الطعام.

وعلى الحول تبدلت الأحوال إلي الأسوأ، بسبب المحل والجدب، وحتى ابن جويبر غير موقع منزله من البيان إلى المنعطف خشية الاحراج ولضيق ذات اليد، وجاء ابن سنيان مرة أخرى فقدم له ابن جويبر (خضيضة). وهي عبارة عن شوربة من دقيق القمح ممزوجة بالاقط أو اللبن، فتناولها ابن سنيان راضياً

---

١ - مركب الدخان : السفينة التي وقودها الفحم الحجري. رومي : سلاح وسجاد صناعة الروم صنبولي : جنيه عثماني (استنبولي). بونتي وبونات : عملات أخرى.
٢ - مالكات الحلوم : النساء اللواتي يمتلكن أهل الحلم بالصفات الجميلة الحميدة.
٣ - القروم : الشجعان. نوفات : امتيازات وتفوق.
٤ - الحلق : المشاكل والمواقف الصعبة. كومي : لم يتباطأ في التنفيذ.
٥ - الرحيمة : أخت الزوجة وأمثالها من الاقراب. يدور : يبحث ويرغب. العلوم : ما رخص من المطالب والاخلاق.
٦ - يومي : يؤشر بتقديم المساعدة والعون. يدرج : يتجول لتقديم العون لذوي الحاجات.

ومسروراً، فما كان من ابن جويبر إلا ان يداعب الشاعر مذكراً بتمرده على الطعام في العام الماضي واقباله عليه هذا العام رغم دنو مستواه فقال :

العام مثل اليوم بعض العرب ضاق	يقول انا بيه حريمة وعلة «١»
واليوم متمشلح وحاله بالازهاق	ما يشكي الا الزاد كثره وقله «٢»

فأجابه ابن سنيان :

العام يوم السعر راهي بالاسواق	بعض العرب وده له الضيف كله «٣»
واليوم يوم السعر شلوح ومضياق	وده في موقع فيه ما احد فطن له «٤»

١٧

كان للشاعر ابن ثابت الحصيني (من جهينة) أخ ذو مال من الأغنام والمواشي، فاضطر إلي النجعة حيث العشب والكلأ، ونزل جاراً لجماعة من البادية الذين لا يجمع بينهم وبينه صلة قرابة أؤ قبيلة، غير ان هذا الجوار طاب للطرفين وعاش افراد الجماعة حياة صافية تظلها الالفة والمحبة ويقلها الاحترام المتبادل، وشغلوا بهذه الحياة الأسرية عن التنقيب في غياهب التأريخ واحداثه، وشغلهم أمر حياتهم عن الخوض في أمور الحياة الماضية، فأنظارهم تتطلع دائماً إلي المستقبل، وإلي الاستقرار وكانوا ينتجعون سوياً ويقيمون حيث يختارون، حتى عاد أمر انفراط عقد هذا الحي صعب الحدوث.

وقام الشاعر بزيارة أخيه والتعرف إلى أحواله وجواره، فاحتفل الأخ بمقدم أخيه وحضر الجيران الاحتفال وطالبوا بالمشاركة في تكريم الضيف الذي ظهر عليه القلق، فاعتذر إليهم بضرورة رحيله، وانه ربما يعود قريباً فيلبي طلبهم.

وعندما خلا الشاعر واخوه قال الشاعر : أنصحك بسرعة مغادرة هذا الحي فإن لهم دماً علينا وأخشى ان يثأروا منك، فأجابه : ان العلاقات الحميمة التي تشد أواصر هذا

١ - ضاق : زعل وغضب. حريمة : محروم. علة : مرض.
٢ - متمشلح : مرتدي عباءة رثة. الازهاق : الشيق. الزاد : الطعام بمعنى انه غير مهتم بنوعية ما يقدم له من طعام، وإنما يكفيه أي نوع من القوت، قليلاً كان أو كثيراً.
٣ - راهي : في وفرة. وده : يتمنى ويود ان يحظى بالضيوف. ٤ - شلوح : ضاق وشح. موقع : مكان ومنزل. فطن : علم به.

الحي بعضه إلى بعض أقوى من ان يمزقها أو يسد قنواتها دم أكل الدهر عليه وشرب، ومن الصعب ان تمزق هذه العلاقة جريرة أحقاد قديمة.

واستطاع الشاعر اقناع أخيه بالرحيل لما سكب في أذنيه من عبارات التخويف التي صاغ في أبياته التالية :

أَخْبُرْ كما تَخْبُرْ ترى الله أخْبَر ... واعلم تَرَ الايام تَنْطُرْ بما شاع «١»
وخلّك كما الرتّاع للعشب الاخضر ... احذر تجي في عِمْلة الله رتّاع «٢»
من شاف زَوْله في المرايه تفَخّر ... كالظل فوق الما به الموج متزاع «٣»
وان سال وادينا على الضّد كَبّر ... بالخير نضّاع وبالشر نبّاع «٤»
ولْيا قَرَصْنا قرصة الداب الاسمر ... صْليت من سم الاصاليت رضّاع «٥»
اصبر كما صبري على الحر الاشقر ... معناد له روس المراقيب ميقاع «٦»

رحل الشاعر ليلا تاركا أخاه في حيرة من أمره، ترى هل يعلم الآخرون هذا الثأر؟ ربما لا!، ولو عرفوا ربما قتلوني من قبل! إذا لابد من الرحيل، هكذا كانت تساوره الشكوك وما ان اصبح الصباح حتى صدح صوت نجر القهوة.

وسرت رائحة القهوة المعشوقة بين المضارب وجاء الرجال إلى مجلس الحصيني فرحين ظنا منهم بأن ضيف جارهم قرر الاقامة وصرف النظر عن الرحيل، ولما لم يجدوا غير جارهم ورأوا على وجهه الوجوم بادروا بالسؤال عن أحواله، فأجابهم مستأذناً للرحيل، ولكنهم اعترضوه وطلبوا ابداء الأسباب، فلم يبدها لهم وأصر على الرحيل.

ولما كانوا يعتبرون رحيله خسارة فادحة وانه سيثير الحزن في الحي فقد عهدوا إلى أحد عقلائهم ان يبحث معه عن سبب هذا الرحيل، وعندما خلا الرجلان

---

١ - تنطر : تفاجيء وتأتي. ٢ - الرتاع : الذي يرتع العشب. وتاع أو رتاع : عابث.
٣ - زوله : انعكاس صورتة في الماء. ٤ - نضاع : نفاع. نباع : مقدم.
٥ - قرصنا : لدغنا. الداب الأسمر : داب الليل من أكثر الأفاعي سماً. صليت : أطله. رضاع : رضع السم من هذه الاصلات.
٦ - الحر الأشقر : صقر أو شقيق فقده الشاعر. المراقيب : المواقع العالية. ميقاع : مكان.

كانت الثقة سفير المفاهمة بينهما، فلقناعة الجهني بمتانة العلاقة والاخوة التي تجمعه بهذا الحي فإنه لم يخف السر الذي دعاه إلى الرحيل، ولو أدى ذلك إلى قتله ثأراً، فإن متعة الحياة مع هذا الحي لا تعادلها متعة أخرى، فافضى إلى الرجل بسر طلبه الإذن للرحيل، وعندها اجتمع الحي وعرفوا سبب اعتزام جارهم على الرحيل، فنادوا جميعاً بعدم الموافقة على الرحيل، وقرروا معاهدين هذا الجار ان الثأر الذي أشار إليه (فايت فات ما وراه دُورَة) أى ان النسيان طواه، ولن يسأل عنه، فقرر الاقامة بينهم وعدم الرحيل، فعاد للحى أفراحه وطمأنينته.

١٨

أموال القدماء من المزارعين والرعاة إما ان تكون متوارثة عن الآباء والأجداد وإما ان تكون مقامة بجهود أصحابها ومعاونة رجالهم، وبخاصة الحقول والمزارع فإن لها احتفاء عند اصحابها يفوق الاحتفاء بالولد، ذلك انها المصدر الذي تعقد الأسرة أملها بعد الله عليه في قوتها، فعند صلاحه ان كان نخلاً أو حباً يطعم الاسرة حولاً كاملاً، ومنه تصل الرحم ويكرم الضيف ويطعم البائس الفقير، ويعاب بيعه لأن البيع يعني التخلي عن قيم اجتماعية كثيرة، ويدل علي تحلل من قيم اجتماعية أخرى، ولذلك نجد كثيراً من وصايا الآباء للأبناء تحثهم على جعل أموالهم في الطين، أي في الزراعة عمارة وتملكاً واحساناً، كما تنهاهم عن بيع هذه الأموال الزراعية لاسيما وان كانت ميراث الآباء والأجداد، ومهما اضطر المالك إلى البيع لحاجة ملحة كدين أو غيره فإن الاصرار على عدم البيع هاجس لايغيب عن الذهن، وعند عسر الأيام يضطر كرام الرجال لانفاق اموالهم في سبيل التخفيف عن الآخرين واكرام الضيوف والعابرين، فتتراكم عليهم الديون التي يشجعهم على المغامرة في مضاعفاتها الأمل في الزراعة ان تجود فتخلف، وما أكثر آفات الزراعة، ومن هؤلاء رجل من سليم يدعى «جبر بن مصحى السلمي» فإن الديون تراكمت عليه فعرض مزرعته للبيع، فنصحه الناس عن البيع فقال :

أخذت من كل وجه مستحى لين ارتكي كوم
تسعة وتسعين في كلفة قصير ورمضان «١»
هذي وصل حدها ومرجبة والفاقة اليوم
من وين ادبرك يا زاد الاوادم والاواني «٢»

ويعترض عليه رجل يقال له «عقيل» قائلاً :

يا «جبر» لا تشتحن راع الكرم يسلم من اللوم
قلبي يحدث على قلبك ويفصح لك لساني «٣»
اصبر على حكم ربك وامنع الغالي عن السوم
لابد يسر الزمان يعيض عن عسر الزمان «٤»
ولا بي إلا الثنين اللى تبي تفطر بي الصوم
واحد لزمني وانا واقف والآخر من وزاني «٥»

١٩

بينما كان جماعة من «شمر» في نجعة لجمع الاعشاب والحشائش، وكانت ابلهم ترعى من حولهم وكان ذلك في شهر رمضان وإذا بغزاة يجمعون الابل ويسوقونها أمامهم، فما كان من هولاء الجماعة إلا ان يهبوا للدفاع عن ابلهم، ويتبادل الطرفان اطلاق النار فتفوقت كثرة الغزاة وفازوا بالابل، وشغل الجماعة بدفن موتاهم ومعالجة جرحاهم.

لم يبادر زعيم «شمر» للثأر من الغزاة واسترداد ابل رجال قبيلته، بل انتظر قدوم عيد الأضحى وانشغال الناس به، ثم باغت القوم بهجوم استعاد به ابله وثأر من الغزاة، فاستنكرت امرأة منهم تدعى «الخالدية» هذا الهجوم في يوم العيد، وبلغ ذلك زعيم «شمر» فقال مخاطباً أحد رجاله ويدعى «ابن بطين» :

١ - لين : حتى. ارتكى : بلغ واستوى. كوم : دين كبير وثقيل. قصير : شعبان. رمضان : الشهر الكريم.
٢ - حدها : موعد السداد. مرجبة : سدادها : في شهر رجب. الفاقة : الحاجة. الاوادم : الناس. الأواني : اللوازم.
٣ - تشتحن : يضيق صدرك. يسلم : لا يلام. ٤ - الغالي : المال من الزراعة. السوم : العرض للبيع. يعيض : من العوض.
٥ - الثنين : الاثنين ويعني بهما الشيب والموت.

يا «ابنْ بطين» انشــد لي «الخــالديّة»	هو طاب كَـيْـفُـه يوم خلْي المكان
خلّه ذبحْتُـه فـوق ظهـر العـبـيّـة	وضَـيْت سَـيْفي من طوال الاذان «١»
كله حـشـايم صَـبْحـة الشُـمْـريّة	لنجدة المضـيـوم ساعـة نصـاني «٢»
هو وش يحـرِمْ دمُـهم في الضـحـيّـة	وحنّا يحلّلْ دمْنا في رمـضـان؟ «٣»

* * * *

٢٠

كان لعبيد العلي بن رشيد خادم يدعى «ساهي» وهو مخلص ويحظى بتقدير الأمير له، مما جعل الآخرين يحسدونه على هذه المكانة وأرادوا التخلص منه، وكادوا له عند الأمير حتى أغروه بارساله إلى مكان فيه مشقة ومهلكة، وذلك لاحضار بعض الغزلان حية لطعام الأمير.

تحدث جلساء الأمير عن لذة لحم غزلان ذلك المكان، فأحس ساهي بأن هذا الحديث استهوى الأمير وشد انتباهه، وبخاصة عندما قال الأمير: «لكن ويننا ووين هذي الغزلان» مشيراً إلى استحالة الحصول عليها، وتقدم «ساهي» قائلاً: «عندي ياطويل العمر». قال الأمير: ولكن بعد المسافة إلى ذلك المكان ليس في ميسور كل الابل، ولن يقوى على الوصول إليه غير «شوق»، وهي ذلول جفول وصلفة يملكها الامير، قال «ساهي»: انا لها، قال الأمير: خذها وتوكل على الله.

لم يكن الأمير مقدراً خطورة الرحلة، أو ربما ثقته في «ساهي» أنسته هذه الخطورة، أو انه أراد اثبات اخلاصه أمام هؤلاء، فأمر بتجهيز الرجل الذي لم يتباطأ في تنفيذ المهمة، وتوجه قاصداً المكان الذي ربما كان «النفود» أو «الدهناء» وربما كان غير ذلك.

وما ان اشرف «ساهي» علي روضة في اطراف هذه الصحراء الشاسعة حتى رغب ان يريح مطيته، ويتناول قهوته وطعامه، فمال إلى شجرة ظليلة وأخذ يتناول بعض

١ - العبية: فرس زوج الخالدية. وضيت: وضأت وطهرت.
٢ - حشايم: تكريم. ٣ - الضحية: عيد الاضحى.

أشيائه من فوق الراحلة حتى فر طائر أمامها سبب لها الذعر فجفلت وهربت، وكانت تحمل الماء والطعام، وراكضها «ساهي» ولكنها أبت ان تهدأ، وما ان ارهقه السير بمحاذاتها وادركه اليأس من اللحاق بها، وخاف الموت جوعاً وعطشاً بادرها باطلاق النار وعقرها، ثم سار أياما يبحث عن أحد يسعفه حتى أتى على بادية ينزلون هذه الصحراء، فمدوا له يد العون وأقام عندهم أياماً حتى عادت إليه صحته وعافيته، فجهزوه براحلة، وعاد إلى الأمير، وقدم له سرباً من غزلان تلك الصحاري، واخبره بحادثة الناقة في الأبيات التالية :

عـــزى لمن مـــثلى ذلوله تخلّيـــه   اقْفت كما الزّبْدا وانا اركُض باثرْها «١»
في ســهلةٍ مــا هي به الرُوْد ترعــيـــه   ولا مـزْنة يُرْجـا الحـيـا من مطرها «٢»
ظلّيت اشـــيل الخــرْج والدمع اذْريه   والرجل يقطر دمّـهـا مع جُـمَـرْها «٣»
خَـبَـرْتهـا باللي قـراره مـصـفّـيـه   حـــتى لحت بْطانهـــا مع نُظَرْها «٤»
بمـــرومّلٍ سم الدُقْق حـــاير فـــيـــه   الغـالب انه يا شـويري قـصـرها «٥»

قال الأمير : «تفداك يا ساهي» (فداك الناقة يا ساهي).

ومما ينسب لهذا الأمير الأبيات التالية :

ربعي لقـواْ بي بعـدمـا شـبْت انا عَـيْب   عـيـبـاً لقـيـه مـفـسـرّين الحـلامى «٦»
وقلت اخبـروني يا مَـلاَ وشْ هو العـيب   قـالوا : علي سـاقـة رفـيـقك تحـامى
قلت : ان هذا من قـــديم لنا عـــيب   مـــتْـــورثينه من خـــوال وعـــمـــامى
العـــيب تَرْك المعـــرضـــة بالمواجـــيب   والا الرفـيـق بفَـزْعـتُـه مـانلام «٧»
رفـــيـــقنا لو هو من الجـــد وصلْيب   مـــتـــجـــوّدٍ منا براس السنام «٨»

* * * *

١ - تخليه : تتركه. باثرها : خلفها وبأثرها. ٢ - سهلة : سهل أو روضة. الرود : البشر الذين يرتادون المكان. ترعيه : تراه.
٣ - ظلّيت : بقيت. جمرها : جمارتها وحرقة آلامها. ٤ - خبرتها : رميتها. وفي البيت صورة شعرية جميلة لحركة اصابة الهدف.
٥ - سم الدقق : الموت. ٦ - الحلامى : الاحلام. المعرضة : الأمر الطارئ.
٧ - المعرضة : الأمر الطارئ. المواجيب : الواجب. والا : واما.
٨ - الجد : النسب الاصيل. صليب : النسب الوضيع. متجود : متمسك ومتمكن.

٢١

تشهد المجتمعات الحضرية اليوم ظاهرة لم تكن عادة مألوفة عند الأولين، ألا وهي شرب النساء للقهوة العربية والتدخين، والقهوة أخف وطأة من التدخين، الذي فيه يقول الشاعر البدوي :

فكّرت في الغليون وليّاه دخان ... وانا من اللى حيّره وايْش فنّه
نحمدك يا والي علينا بالاحسان ... اللى جعلت البيض مايشربنه
اللى نسمّهن من فواغي وريحان ... يا ليتهن اللأش ما ياخذنه «١»

واشرفت شاعرة على مرتفع يطل على حي من أحياء قبيلتها فرأت مجلس نساء وبينهن فتى مائع، حيث ذهب رجال الحي يسعون في مناكب الأرض بحثاً عن الحياة الكريمة، أو انهم ذهبوا للغزو، وقد اديرت القهوة عليهن فبدأت الشاعرة تؤلف أبياتاً تصف مشاعرها وهذا المجلس، ومنها :

أمسى الضحى بادي على الحي في الراس ... أبغى اتفكّر والدموع اغرقنّي
أخيل ضلعانا من البعد عُطّاس ... ياليتهن بحبيّبي يقربنّ
وياليتني معهم على ظهْر ملباس ... حتى العيون بنومهن يهتنّ «٢»
ولا بيننا ما فيه نجْر ومحماس ... واليوم عُقْب رجالهن نقرزن «٣»
والبن صاح وصيحته لجّت الناس ... مرجّع الباحة وجن ازْغرني «٤»
يا البن لي تصيح يا علْ ماباس ... شوف الدلال لربعها يحْترن
البن قال اصيح من طرْم هيّاس ... يوم العذارى جلّسن أزعلني «٥»
دبّن ببيض الصين من غير مقياس ... دبّن ببيض الصين حتى ازْلني «٦»
ما عندهن الابارد الصدغ نعّاس ... يمناه عن سوق المبهر تكن
ان كان ما حطوا على العرد فوّاس ... حتى الشوارب واللحى يحلقن

١ - فواغي : جمع فاغية وهي زهرة الحناء. اللاش : اللاشيء من البشر.
٢ - ملباس : فرس. ٣ - نقرزن : النقرزة ضرب خاص للعاون النحاسي الذي تدق فيه القهوة لدعوة الجيران إلى القهوة.
٤ - مرجع ترديد الصدى. ازغرني : اغضبني. ٥ - طرم، هياس : فتى خامل.
٦ - دبن : أخذن من البن بلا قياس دلالة على الجهل بالكيف. ازلني : سبين الغيظ.

وإذا تستنكر الشاعرة على النساء شرب القهوة وجلوس الشاب بينهن واقرانه في الغزو فإنها ترى ان القهوة للرجال دون النساء، أما عن التدخين فقد كان الشيخ ابراهيم بن عبد الله بن مطلق الأحمدي شيخ الصخارنة من المدخنين وكان ذلك منذ أكثر من مئتي سنة، والتدخين في ذلك العهد القديم قيمة اجتماعية لايمارسها من ليس من كبار رجال القبيلة، ولكنه الشيخ ابراهيم تعرض لمرض كره التدخين إلى نفسه فأقلع عنه، ولكن زعيم عشيرة وما يمر بأمثاله من أحداث تدونه قصائد الشعراء إذا لم يسبقهم نفسه إلى اشاعته عبر أبيات يبدعها، والشيخ ابراهيم شاعر وعندما أعلن اقلاعه عن التدخين قال الأبيات التالية :

صاحبت لي صاحب وعاشق ليامه ... والغالب ان مصاحبه لي على ماش

صاحب على الشُطَات مَرْخي حزامه ... وان صابني صَرْف النَيا فضْ وانْحاش «١»

حفرت له في الأرض تسعين قامة ... قلت ادفنوا يا اهْل المرَوّة على اللاش

فلقد أقلع الشيخ عن التدخين عندما تبين له اضرار التدخين، فدعاه بالصديق «اللاش» الذي لايستحق المصادقة والرفقة، ولو علم اضرار التدخين من قبل لما أقبل عليه، ولقد كشفت التقارير الطبيه اليوم الاضرار الجسيمة الناجمة عن التدخين والمؤدية إلى الموت كمرض السرطان والتليف وامراض الرئتين. وخيرا فعل، فلقد أقلع.

وتناقل الناس هذه الأبيات ثم تناولها الشعراء بالتأييد والمعارضة، ومن بينهم الشاعر حسين بن مسعر الأحمدي الذي قال :

قال الغلَيم يوم يَبْني كلامه ... يريد رد القيل ما هو تُنوّاش «٢»

يا راكب اللي مثل ظبي التُهامة ... ما احد تمَنّى رمْيتُه يوم ينحاش

إذا مشى تعجبك ركبة عظامه ... شوْق الرّديف وشوق من راح طرأش «٣»

---

١ - النيا : الضعف والوهن. فض : ذهب وانفض.

٢ - تنواش : مناوشة :

٣ - ركب عظامه : انسجام جسده والتفافه واكتنازه وصلاحه للركوب.

الخــرج فــوقــه مــثل هدْب النعــامــة   لوْق اليــدين اللى تحــذْرف عن اللاش
وان جــاك مع وادي تطاير حــمــامــه   من السُطْر ياطا على جرف واقْشاش «١»
ســوقه لابو عـثـمــان وعطْني عـلامـه   خُـصّـه بردة عـد مـا صـاب رشـراش «٢»
تلقى فُطور الصُــبْح مَكْلوف دامَــه   وفنجـان من شَـرْقيّـة بنّهـا جـاش «٣»
مــا راح للبــيّــاع يقــرع وزامــه   يجيـبـه خـيط الهند من عند قـمـاش «٤»
يا عــد رُكْــد فـيــه تسـعين قـامـة   تلقى عليــه الورْد مع كل مــخــراش
وقل له : عسى شَـرك تعَقْبُه سلامة   يا رِكْـــزنا وان ناشنا نَوْش نواش
وقل له : ترى صـاحبك مـا به ملامـة   تعــمــيرته تجلي عن الراس لا انداش
الشـيخ مـثلك مـا يفـارق ليـامـه   لا انتـه ولد شـاوي ولا ولْد قـرَاش «٥»
عند الحكم وان طال هدْب العـمـامـة   عـمْـر شُـبَكْ واقْلُطْ على طيِّب فـراش «٦»
وناخـذ من الدنيـا وفَـاية قَسـامـة   ولْيــا انقــضت علّمْ بناكل نطّاش
واختـم بذكـر اللى مــتـبْع امـامـه   شـقـيـعنا يوم ان للذنب حـواش «٧»

* * * *

٢٢

لاحظ الشاعر عواد بن مرشد الأحمدي نضحا في شعب «عجايب» يكاد ألا يجف طوال العام، فقام بغرس نخلات قرب هذا النضح، ونمت هذه النخلات وآتت أكلها، ولاعجابه بها نظم فيها الأبيات التالية :

بجــاه الولي يا واردين «عــجــايب»   غَـرايسْ على الما ناعـمـات عْـجـاب
على ايْمَنكْ اذا قبِّلت «عاصرْ» مقرهن   علي الدرب مـا تمشى لهن، قْـراب «٨»
تغــدّى وقَــيِّل وانْتــهل من زلالهن   ورحم علـى من حطّهن وغــاب «٩»
عليهن وجهي مايحشّم مضيفهن   لو هاورش الوجـه البـخيل ولاب «١٠»

١ - السطر : النشوة والقوة. جرف : «جرف هار» طريق غير معبد وغير ممهد للسير. قشاش : اشواك وبقايا شجر.
٢ - علامه : اخباره. ٣ - مكلوف : معد ومجهز باتقان وعناية. دامه : ادامه من مرق وسمن وعسل ونحوها شرقية: من أسماء القهوة العربية ويعني القهوة العربية في نجد حيث تتميز بتزكيتها بالمسمار والهيل والزعفران. جاش : الغليان.
٤ - وزامه : اوزانه. يشير إلى ان البن يأتي مباشرة إلى الشيخ من الهند تعبيرا عن الوفرة والاستهلاك والمكانة.
٥ - شاوي : راعي أغنام. قراش : فحام وحطاب. ٦ - عمر : دخن. شبك : حلية للغليون. ٧ - حواش : محاسب وجامع.
٨ - عاصر : شعب في طاشا. قبلت : صعدت.
٩ - تغدى : تناول غداءك من ثمر النخل. قيل : من القيلولة. انتهل : انهل واشرب. رحم : اطلب الرحمة. حطهن : غرسهن. غاب : مات أو غادر. ٣ - وجهي : حمايتي. يحشم : يحرم. هاوش : خاصم. لاب : أكثر من اللوم والتشهير والاعتراض.

ووريث وجـــهي صـــبي يورث الجـــزا   صـبـيـا مـجـسّـس في ربوع طيـاب «١»

وكان للشاعر ابن اخ له نخل في شعب آخر يدعى «العويند» ، فأراد ان يقلل من أهمية نخله ونخل عمه لبعدهما ومشقة الوصول اليهما، وما يتعرض له تمر هذا النخل من تلف بسبب الجدب أحياناً ونضوب الماء، وصعوبة موالاة خدمته، ثم يشير إلى ان امرأة من الأسرة منعت المارة من الاستفادة من نخل «عجايب»، وصاغ الشاب أفكاره في الأبيات التالية :

ياعم مطّرح «عجايب» عندنا مثله وعفناه	لاصَلْهم القَيْظ تيبس غَلّتهُ ما يأكلونه «٢»
ياعم مطرح ودْية في «العـويْند» ما رأيناه	حتى الجْنى اذا ما جيت له عالي فنونه «٣»
المال واحد ولا اني جيت جايع ما اتعدّاه	لكن مجمول من دون النخل عقّد ردونه «٤»

وقد أثار البيت الأخير الشاعر فقال :

تهـاوِشْ الغِـرْ وانتـه حَاطْ لك مقْشَع علي ماه

تطرِّد الطير وايضا لا مشيتو تدفنونه؟ «٥»

والقصة ان امرأة منهم كانت تمنع رواد «عجايب» الاقتراب من النخل وجني ثمره، بسبب صيدهم الطيور التى تأتي إلى الماء، وليس بسبب النخل.

وقد رد الشاعر بأن مايمارسه ابن أخيه من أعمال بعيد عن المعروف والعمل المحبوب، حيث انه متربص بالطير التي ترد الماء فيصطادها، وإذا ما غادر المكان طمر الماء حتى لاتجده الطير وتظل عطشى إلى صباح الغد، حيث يجيء الصياد فيكشف الماء ويختبيء من حوله لتجيء الطيور فيصطادها، وهذا في نظر الشاعر جريمة كبرى.

* * * *

١ - وريث : وارث يتولى الحماية من بعدي. صبي : فتى. مجسس : مؤسس ينتمي إلى قوم كرام لايأتون إلا طيبا.

٢ - مطرح : موقع. عفناه : ترفعنا عنه وتركناه. صلهم : اشتد. القيظ : الحر في الصيف تيبس : من اليبس والجفاف. غلته : ثمرته.

٣ - ودية : غرسة حديثة الاثمار. العويند : مكان.

٤ - مجمول : جميلة. عقد : شمر. ردونه : جمع ردن وهي أكمام الثياب، كناية عن الدفاع عن النخل وطراد رواده.

٥ - تهاوش : تذم وتخاصم. الغر : الفتاة الجميلة. حاط : واضع. مقشع : عريش من الاغصان يضعه الصيادون بجوار الماء ويختبئون فيه لصيد الطيور التي ترد الماء.

٢٣

يهتم العرب وبخاصة البادية بالقهوة العربية، ولهم آراء وانتقادات للقهوة الجيدة نوعاً وإعداداً، ويذكر ان شاعراً مر بمدينة «رابغ» وأراد شراء بن، فذهب إلى بائع يدعي «حسين بن عيد»، ووجد لديه بنا ولكنه غالي الثمن فقال :

يابنْ عند «حسين بن عيد» ما اغلاك
بالعون ما بَايَعْت مثلك وشاريَتْ «١»

فأجابه البائع :

لا ناقصاً هذا ولا زايداً ذاك
أقول ياماشي علي الحق ما اخطيت «٢»

قال الشاعر :

ليتك تسنَّد يمَّ اهل فوق والقاك
القاك قاعد عندهم ما تقَهْوَيت «٣»
تقول ليَّه حاجة يَمْ ذولاك
اقول من شِبْرِيْتي ما تعَدَّيت «٤»

* * * *

٢٤

قتل رجل من «حرب» رجلاً آخر منهم، ولكثرة عدد خمسة القتيل لم يتمكن الجاني من ابلاغهم جميعاً، فخاف ان يحاط به ويقتل فقرر اللجوء إلى ديار «جهينة» وصحبه في هذه الرحلة نفر من أقربائه، وفي ليل نزل الطريد ورفاقه ضيوفاً على رجل من «جهينة»، وبينما كان المضيف وضيوفه يتبادلون الأحاديث في مجلس الرجال انتظاراً للقرى دلفت إلى المنزل امرأة غريبة، وتعود البادية قدوم مثل هذه المرأة في مثل هذا الوقت من أبناء السبيل التماساً للراحة والأمن

١ - بالعون : بالتأكيد. ٢ - اخطيت : اخطأت.
٣ - تسند : تتوجه إلى أعلا الوادي. يم : إلى. أهل فوق : سكان أعلى الوادي.
٤ - ذولاك : اولئك. شبريتي : سلاح مثل الخنجر.

والطعام لتواصل سيرها صباحاً، لذا استقبلتها صاحبة الدار ودعتها للارتياح معتذرة بانشغالها في إعداد الطعام ثم انصرفت إلى تدبير شؤون منزلها، وأوت الضيفة إلى ركن من بيت الشعر لا يظهر من جسمها غير كفيها وقدميها، لقد كانت شديدة الحياء والحذر والقلق، وعندما حان موعد تقديم الطعام قدمت المضيفة إليها عشاءها واعتذرت إليها بانشغالها.

أعادت الضيفة نصف الوجبة المقدمة إليها ثم أوت إلى النوم.

وعند الصباح لم تجد المضيفة ضيفتها فاعتقدت انصرافها مبكرة لمواصلة السير، وعندما قلبت الفراش الذي كانت تنام عليه المرأة وجدت نصف الوجبة الآخر ملقى كاملاً تحت الفراش، فاستدعت زوجها وأبلغته خبر المرأة، وأثاره تصرف المرأة وامتناعها عن الطعام المكون من أرز ولحم في صحراء لا تعرف هذا الطعام إلا بحضرة ضيف أو احتفال اجتماعي، ولكنه أدرك ان وراء هذا التصرف أمراً أكبر من الطعام، ونقل الخبر إلى ضيوفه وتفقد الطريد أثر المرأة وعرفه، وقال لهم : هذا أثر قدم «قاسم» جاء متنكراً في زي امرأة يلتمس فرصة مواتية لقتلي، ولكنه لم يتمكن من ذلك، وامتنع عن الطعام لئلا يمنعه من تحقيق هدفه، فلو أكل طعامكم لمنعه ذلك من قتلي، هكذا العرف والقانون القبلي المعتمد بين «جهينة» و«حرب» ولو أكل «قاسم» الطعام ثم قتل «الطريد» لكان ذلك اعتداء وخيانة يترتب عليها دية مربعة يتحملها «قاسم».

لم يتمكن «قاسم» من قتل الطريد لأن الطريد لم ينم حتى أدى صلاة الفجر وشُرب قهوة الصباح، ففضل «قاسم» المغادرة تحت جنح الظلام لئلا يدركه الحي فيلحق به الخطر، وعندها شعر «الطريد» بالخطر وطلب من مضيفه ان يجتاز به ديار «جهينة» إلى ديار «بلي» فلعله يبتعد عن مطاردة «قاسم» له.

نزل «الطريد» ورفاقه ضيوفاً لرجل من «بلي»، وذات يوم وعند ارتفاع الشمس قيد رمح شاهد «الطريد» طيراً تحوم حول تلال رملية لا تبعد كثيراً عن منزل مضيفهم فأوجس خيفة، وطلب من مضيفه الذهاب إلى التلال وتفقدها، فالطيور لا تحوم إلا حول ماء أو وحشة من غريب يطرق عالمها الفطري.

أرسل المضيف ابنه إلى حيث كانت الطير تحلق فوجد حفرة كان يختبىء فيها رجل، لم يكن هذا الرجل غير «قاسم» ذلك الرجل الذي كان يرتدي لباس امرأة في ضيافة الجهني، ظل متربصاً في الحفرة يتابع الطريد حتى إذا ماشاهد ابن «البلوي» مقبلاً نحوه فر إلى الوهاد المجاورة واختفى.

عندها قرر «الطريد» ورفاقه العودة إلى ديارهم وتحكيم القبيلة فيهم، وتم له ذلك حيث انتهت قضيتهم صلحاً.

* * * *

٢٥

غادر الشاعران فرز بن سافر الأحمدي وعمرو بن منصور العمري حيهما إلى قرية «خيف الحزامى» في «وادي الصفراء» وكانت هذه القرية من حواضر تلك الناحية، يؤمها أصحاب الهجر المجاورة للتسوق والاصطياف، وكان الشاعر فرز مغرماً بشرب القهوة العربية، بل انه يصاب بالصداع والدوار حين لا يتناولها.

وعندما وصلا إلى السوق توجها مباشرة إلى «نصير المغامسي» وهو من أقارب الشاعر «عمرو» فرحب بهما، وأجلسهما في مكان من الدكان أعده لاستقبال أصدقائه وأمثالهما، وجهزه بالقهوة والشاي وأدواتهما، ولما لاحظ الشاعران انشغال التاجر بإدارة دكانه طلبا منه مباشرة عمله، وتولى «عمرو» إعداد القهوة، وعندما قدمها لرفيق دربه الذي كان متلهفاً لها ألقاها أرضاً وغادر المكان غاضباً.

لقد كان هناك إناء به سائل ظنه «عمرو» ماء فأضاف إلى «الدلة» منه قليلاً، فإذا به «كيروسين»، ولشدة تلهف «فرز» للقهوة وانتظاره تقديمها، تعكر مزاجه وغادر المكان متجهما غاضباً، فما كان من «عمرو» إلا ان يبادر لادراكه وبدلاً من الاعتذار إليه عما حدث فإنه داعبه بهذه الأبيات :

غلَّطتني يا «فـرْز» غَلْطة كـبـيـرة	نقَّـدتني يا الظَّفـر بين الاجـانيب «١»
احـسـبك إذا حـجَّت تدورْ بصـيـرة	أقـفـيْت عني مثل شيْن المراكيب «٢»

١ - نقدتني : بمعنى فضحتني. الظفر : الذي يظفر بالمكارم. الاجانيب : غير سكان الحي الواحد.
٢ - حجت : من الحجة بمعنى تأزمت. بصيرة : تبصر رحل. المراكيب : الأحذية.

يلوم الشاعر صديقه ان تركه في السوق دون ان يلتمس له عذراً في الخطأ الذي وقع فيه سهواً، ثم يصور هذا الترك المشين بترك الأحذية القديمة، ويجيبه، فرز قائلاً :

ما قلت لك يا الظَّفْر سَوْ العيرة	في عيال جَدَّك والربوع المشاهير
أقفَيْت عنكم عند خَشْم الضَفيرة	وسط البلد في السوق عند الدواوير «١»
ما اقفيت عنك وفيه قوم مغيرة	والحرب داير في صدور المناعير
ومرافق الغُشْمان ما فيه خيْرة	حقيق دفْن اللى يخاوي الدَّعائير «٢»

و«فرز» هنا يحلل الحادثة، فهو يرد الخطأ أولاً انه إساءة إلى المضيف «نصير» الذي احتفى بهما وقبل قيام «عمرو» بإعداد القهوة بدلاً منه ثم يمدح اجداد «عمرو» كرمهم ثم يبرر مغادرته دون «عمرو» بأنه لم يتركه في مخافة بل غادره بين أبناء عمومته وفي سوق البلدة بين الباعة ورواد السوق وهو مكان آمان، ولم يغادره في حالة هجوم أو حرب وقتال، وهذا لايُحمِّل «فرز» مسؤولية مغادرة رفيقه.

وأخيراً يداعبه بعدم اتقانه إعداد القهوة، وهي ملامة لاتصل إلي الذم، فكلمة «الغشمان» تعبير دارج بين الأصدقاء ومثلها كلمة «الدعاثير»، وهذا لا يعقب من الآثار غير اعتباره مداعبة تمحو الغضب وتفسح المجال لعودة الصفو والانسجام

* * * *

٢٦

ومرة أخرى يهبط الشاعران «وادي الصفراء» وكان «عمرو» يمتطي جملاً، أما «فرز» فقد كان راجلا، وفي الطريق أشعل «فرز» غليونه وكان الشاعران من المدخنين، وما ان انتهى من التدخين حتى طلب منه «عمرو» الغليون والتبغ فرفض «فرز» طلبه.

وبعد مسافة طويلة نزل «عمرو» من فوق الجمل وعرض على «فرز» الركوب،

١ - الضفيرة : جدار من الحجر. خشم : طرف. الدواوير : الذين يتجولون في السوق.
٢ - الدعائير : الذين لا يحسنون صنعا.

فركب وبعد برهة زمنية طلب «عمرو» من «فرز» التبغ والغليون فناوله ذلك وبعد ان انتهى «عمرو» من التدخين رد كيس التبغ والغليون إلى «فرز» وقال :

طلبتك الغليون يا «فرز» والكيس — عطيتنيها وغبرها ما أظن «١»

فأجابه «فرز» :

المال اظنه قبل فك المحابيس — وخلى العدن على الصقر يقلطن «٢»

والقل خلى متعبين المحاميس — وياما قصر من ممتني كل فن «٣»

٢٧

وقعت حادثة بين «الأحامدة» و«الحوازم» في الأرض الواقعة بين خيفي «أم ذيان» و«الحزامي»، وتمركز «الاحامدة» في «الزابن» وهو ممر بين جبل «النصب» وشريعة «ام ذيان» خلف «الرقيبة» و«الدماجين»، وتمركز «الحوازم» في «الحريجة» وشعب «الوريق» ويفصل الوادي بين الفريقين، وتشاغل الفريقان بالتراشق بالبنادق لهدفين فالأحامدة يطمعون في ان يخرج «الحوازم» من النخل إلى الميدان، و«الحوازم» يبطئون في الخروج انتظاراً لنجدة تصلهم من «الرداده»، ولما علم «الأحامدة» بذلك تسللت فرقة منهم تحت جنح الظلام متوارية خلف نخل خيف «الحزامي» حتى فاجأوا «الحوازم» من خلفهم، وظنهم «الحوازم» النجدة التي ينتظرون وصولها إليهم من «الردادة»، والتحم الفريقان، وكثر القتلى من الفريقين، وزاد من اندفاع «الحوازم» إلى القتال أبيات رددتها شاعرة منهم «ابنة الشريوفي» تحض قومها على القتال :

والله لاهد الجدايل — واقش عن خدى حياه «٣»

حتى يجيني علم طايل — ربعي مطوعة العصاة «١»

وفي معركة أخرى بين «الاحامدة» و«الحوازم» وقفت شاعرة من «الحوازم» فرع «النوامية» وهي ابنة رئيسهم «ابن عبد المطلوب» تردد متمنية ان تكون رجلا فارسا تحمل الثمين من السلاح :

١ - الكيس : وعاء من قماش يحفظ فيه التبغ. ٢ - العدن : نوع من الطيور ترهب الصقور. يقلطن : يتقدمن، إشارة إلى ان المال يمنح مكانة رفيعة، والفقر ينزل الرفيع مكانة أدنى وقارن ذلك بطيور العدن والصقور التي تصطاد هذه الطيور.

٣ - القل ؟: الفقر. متعبين المحاميس : كرام الناس الذين لا تفتأ نارهم مشتعلة لتقديم القهوة العربية للضيوف، والمحاميس جمع محماس يحمس ويحمص فيه البن. ممتني : متمني.

ياليت مـا وصْـفي وصـوف اللي تحنّي ... وصْـفي من اللي ينقلون المثْـمنات «١»
حـتى أنتـخى من دون ربعي واتثنّى ... واضـرُب العـايل دروب العـايلات «٢»

وقيل :

اسـوم روحي دون داري واتـثـنّى ... واضُـرب العـايل دروب الاولاتْ

وقيل ان هذه الشاعرة هي صالحة بنت حسن بن مبارك الهلالي، الهلالي (١٤١٧ : ٧٢) وان المعركة حدثت في مكان آخر من الوادى.

* * * *

٢٨

كانت الدور والمضارب المتناثرة على جنبات الأودية ملاذا لعابري السبيل، يؤمونها عندما يهبط الليل فيجدون القرى والدفء والأمن ويطرحون فيها عناء السفر، وكان وادي «الاب» من أطول الأودية مسافة وآهلها سكانا، وهو أحد روافد وادي «الصفراء»، ومعظم سكانه من «الحوازم» من قبيلة حرب، ويجاورهم فيه «علي بن طويق الأحمدي» حيث ينزل منحنى من الوادي يسمى «أبو خريطة» يقضي فيه شهور الشتاء أما أشهر الصيف ففي نخله «العمارة» من قرية «أم ذيان» إحدى قرى وادي «الصفراء».

وحدث ان أودع «ابن طويق» السجن في المدينة المنورة لخلاف مع أميرها، وظل به أياما، حتى إذا ما علم بسجنه ابراهيم بن عائج الحازمي، وهو أحد شيوخ «الحوازم» هب لنجدته وتوجه إلى قصر أمير المدينة الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم وكان من محبي مكارم الأخلاق، وقد استفاد «ابن عائج» من هذه الصفة في الأمير حينما سأله الأمير عن أحواله فأجاب انه بخير لو لم يسجن الأمير «ابن طويق».

والأمير يعرف ما بين الأحامدة والحوازم من منافسات ومواقف فأثاره جواب

---

١ - تحنى : تتزين بالحناء وهن النساء. المثمنات : الثمين من السلاح.

٢ - انتخى : من النخوة. انثنى : أحارب بمقدرة وفن. أضرب : اطرد واضطر الجبان إلى الهروب العايل : الجبان المباع. العايلات : الانهزام لقصور الهمة.

«ابن عائج» فقال : وما العلاقة بين سجن «ابن طويق» وأحوالك؟ فأجابه : ابن طويق ساعدي، فنحن الاثنان نسكن ذلك الوادي العميق، يقصدنا عابرو السبيل للقرى وللحاجة وللراحة ولكل ما يطلبه المسافر، وكل منا يخفف عن الآخر مئونة ذلك في زمن كثر فيه أهل الحاجات، أما الآن فقد أصبحت وحيداً.

فاستوقفه الأمير قائلا : لم نكن نعرف ان «ابن طويق» كذلك، ثم وجه أمره إلى الشرطة لاخراج ابن طويق وإكرامه.

كان «ابن عائج» ذكياً حين استثار في الأمير نخوته وخاطبه بما يعرف فيه من حب لمكارم الأخلاق، وكان الاثنان «ابن عائج» و«ابن طويق» كذلك في الجود والكرم، وأهل ذلك الوادي على تلك الصفات الكريمة يشاركونهما هذه الفضائل، وتشفع الوسيلة لابن عائج ان خص نفسه وجاره بهذه الصفات لأنه يعرف انها تنزل من نفس الأمير منزل الغيرة والتكريم.

* * * *

٢٩

ومما قيل في مدح الكرم القصيدة التالية وهي لأحد شعراء الاشراف :

يالله ياللى علينا لا انَّها ضاقت نَخَفْناه

ولْيا اننا في سَعَة عن ضيق حيٍّ يذكرونه

افْرجْ لنا من زمان عضّنا بالحيل يا الله

افرج لوادي الشريف وُرْد لأهْلَه في عيونه

أهل البيوت التي ما تذُوق دايم مبنَاه

في الموقع اللى عليهم يستحيل يغيِّرونه

قلت اكثروا مرحبا والعودْ هذي من وصاياه

قلت اكثروا مرحبا بالضيف حيث تصادفونه

ومن لايقدِّم لضيفه مرحبا ما كنَّه اقراه

يا اللى تعرفون ماجوب الضيوف تكملونه

الضيف عجّل له الترحيب قبل تقدم قراه

والفال لا تحقره من غاية اللى تاجدونه

لا عاده الله زمانا قال إمشوا له بممشاه

لو كان ياخذ بهم عسر الدروب يطاوعونه

ولا عادها الله دروبا تُوطى الرجال مَزْراه

الناس لا شافوا الرجال فيها ينقدونه

ومن لا يدارى حواله فرْحوا الحساد واعداه

وربوعه اللي يوالونه هم اللى يشتمونه

* * * *



مـواقف القبيلة دون رجالها

استدعت الحكومة العثمانية الشيخ زيد بن محمود أحد شيوخ الأحامدة وأرسل إلى العاصمة العثمانية «استانبول» أو إلى «القاهرة» وهذا اسلوب سلكته الدولة مع زعماء القبائل تستدعيهم إلى العاصمة لتلقي اليهم توجهاتها أو تؤدبهم أو تفتك بمن يناصبها العداء منهم، وفي طريقه إليها أحس بخطورة هذه الرحلة، فقال من أبيات :

عسى خير ما نكْره، عسى فيه خيرة	عساها تجي من باب راع الجمايل
ويضحي كريم الجال للفخر كاسب	وراع الردى ما حاش غير الفشايل «١»
وانا يا عيال الجد محْرى بحسكم	ومحْرى بصولات الجدود الأوايل «٢»
وانا اخيل بارق لاح يمة دياركم	مزْن مدلهم من صادقات المخايل «٣»
رغاده المرمول في بطون ضُمَّنْ	وبرقه كشيف جُرونهنْ بالفتايل «٤»
والقول ما ينصى إلى حد بدّنة	ينصى جميع اهل العلوم الصمايل «٥»
أقوله وانا في دوّ تومي بي الصبا	على الموج وتنحاني هبوب الشمايل «٦»

لم ينتظر رجال الاحامدة وصول هذه الأبيات إليهم لتثير النخوة والنجدة فيهم وانما تحركوا في مظاهرة كبيرة واحاطوا بقصر الوالي العثماني في المدينة المنورة وحطموا محطة السكة الحديد، وأثاروا الرعب في الجند واطمأنوا إلى نقل مشاعرهم إلى السدة العالية في «استانبول» أو «القاهرة» وأيقنوا بالاستجابة إلى طلبهم برد شيخهم إلي دياره وقومه وظل بعضهم في المدينة المنورة يترقبون عودته.

١ - حاش : نال. الفشائل : الخزى.　　٢ - عيال الجد : رجال قبيلة الشيخ. محرى : متوقع.

٣ - يمة : جهة. المخايل : السحب.

٤ - المرمول : البارود. ضمن : البنادق. كشيف : ضوء كاشف. جرونهن : لكل بندقية جرن وهو نتوء يتصل بباطن البندقية بثقب يملأ الجرن باروداً ناعماً ثم يشعل بواسطة الفتيل وذلك عند إطلاق النار من البندقية.

٥ - بدنه : فئة. الصمائل : الأقدام.

٦ - دو : البحر. تومى : تلعب الامواج بالمركب تتقاذفه الرياح الجنوبية والشمالية.

وكان من جزعهم على هذه الحادثة ان هذا الأمر شغل الرجال والنساء والصبيان فقال الشاعر مسلم الحساني أبياتاً منها :

احس في قلبي تقول اجتوالي ... يشدى لبدو حَشْحَشوا للمصادير «١»
اركب قعودك يا النديب الموالي ... قُبُّ «العَنْيق» ولجْ صوت بقواطير «٢»
اوقف قعودك فوق عدّ زلال ... وصُبّ له دلّوين من جُمة البير
واضْف العمامة لَين تصل الغزال ... لا تلْتفتْ من خوف ترْعى دواوير «٣»
تنْظر مكان الضايلة والدلال ... وكْبوش من فوق الصحون الزوابير «٤»
والله ما نَرْضَى بجُوخة وشال ... والشيخ من دونه بحور زواغير «٥»

ومن الأحداث التي جرت بين الاحامدة والجند لهذا السبب موقعة حدثت قرب جبل «احد» وصفها أحد شعرائهم بقوله :

تقابلوا رَبْعي وحُمران المناظر
في ظل «حمزة» والفرنجي له رجيف «٦»
نِلْنا سداد الدين منهم بالمحاضر
وسْط البَرح عِزّى لمن قلبه ضعيف «٧»

وقال آخر :

يا الظَفر ليتك عندنا يوم نتثَنّى
من دون ديرتنا بقدْمي الحديد
ما نَفْقد المَرْعُول لا ما طاح منا
ونقول : في سوق المعزة ذا شهيد «٨»

١ - اجتوال : غليان وقلق. يشدى : مثل. حشحشوا : تهيأوا واستعدوا. المصادير : العودة من المصائف إلى المشاتي.
٢ - قب : اذهب مسرعاً. العنيق : مكان. قواطير : نداءات متتالية.
٣ - دواوير : مجالس. ٤ - الضايلة : كثرة الحركة في المجلس. كبوش : خرفان وكباش.
٥ - جوخة، شال : لباس عثماني من أجود الأقمشة، تهدى للأعيان من رجال الدولة.
٦ - حمران المناظر : الاتراك. ظل حمزة : قرب المنقطة التي بها قبر حمزة بن عبد المطلب. رضي الله عنه. الفرنجي : البنادق الافرنجية. رجيف : صوت ودوي.
٧ - المحاضر : الحضور. البرح : الميدان. ٨ - المرعول : القتيل في الحرب. طاح : سقط قتيلاً.

كتب والي المدينة المنورة إلي السلطة بخبر الأحامدة وابدى تخوفه من اندلاع فتنة تؤججها القبائل ونصح باعادة الشيخ إلي دياره.

عاد الشيخ إلى دياره وابتهجت القبيلة، وكان يصحبه في تلك الرحلة ثلاثة عشر رجلاً من الأحامدة، وتوجه الموكب يزف العائدين بزعامة الشيخ حتى إذا ما اشرف على الحي خرج الرجال والأطفال للاستقبال وأطل النساء من شرفات المنازل، وقال الشيخ :

يا بارقـاً خَـرَّج على الشـمـال ... هلَّت ثعـولـه يوم نُوه خَـرْج (١)

جـينا بروم من حَـسين المال ... قُـوم انْتظر يا اللي تَبي تفـرْج (٢)

مشيراً إلى انه قبل مغادرة «استانبول» في طريق العودة إلى الوطن جهزت الدولة الشيخ والرجال بالعطاء من سلاح «روم» كما أشار في البيتين وبالملابس الفاخرة والمال، وكان حداء الشيخ تعبيراً عن انتصار وعودة بالغنائم، وفي الواقع هذا ما آل إليه استدعاؤه، فإن الدولة العثمانية لم تستطع ان تسيطر على القبائل بسبب ما حدث نتيجة سوء إدارة الولاة لولايات الدولة، فقد كانوا يودون اطفاء شعل الثورة بحلول مؤقتة وغير جذرية فتجرأت القبائل على السلطة الضعيفة وكثرت الفتن.

وقد استمرت الاحتفالات بعودة الشيخ وظل مجلسه يستقبل الوفود من انحاء ديار الأحامدة وقبائل حرب للتعبير عن سرورهم بعودة الشيخ سالماً، وقد حدث ان عقدت النذور أثناء غيبته، وكان منها الجاد ومنها الطريف، فمنهم من نذر بالحج، ومن نذر بذبح الابل، ومنهم من نذر نذوراً يصعب تنفيذها، وفي غمرة الابتهاج واشاعة الروح الأسرية تم تنفيذ النذور الطريفة أيضاً في جو المرح والابتهاج.

---

١ - خرج : لاح ولمع من ناحية الشمال حيث ديرة الأحامدة، حيث كان الشيخ يقف ساعتها في المسيجيد جنوب ديار الأحامدة. هلت : أمطرت. ثعوله : شآبيبه وماؤه. نوه : من النوء. خرج : من البحر.

٢ - روم : بنادق رومية. حسين المال : جيدة وثمينة. تبي : تريد.

وعندما عادت الحياة إلى مجاريها الطبيعية غضب بعض الاحامدة على الشيخ وحالفوا أمير المدينة المنورة وهو «ظاهري» من المراوحة من حرب، حالفوه على كل شيء واستثنوا الصيحة، وهو نداء النجدة «بني حمد ياربعي»، وهذا نداء الاحامدة فعند سماعه يتركون كل شاغل لهم ويتوجهون صوب النداء ملبين.

ولم يستمر الغضب طويلاً، ذلك ان رجال الأحامدة انفضوا من مجلس الشيخ مغاضبين وذهبوا مباشرة وفي غمرة الغضب إلى «الظاهري» في المدينة، وذهب الشيخ إلى داره، ولكنه لم يجد فراشه معداً، ووجد زوجته لدى الباب وكانت امرأة بعيدة النظر ذات عقل وفهم، واسمها «بقشة» فسألها أين الفراش؟ قالت: ليس لك عندي فراش قال: لماذا؟ قالت: أغضبت الرجال الذين لم يهدأ لهم بال حتى أعادوك من «استانبول» وتسأل عن الفراش؟ رضاهم أولاً ثم السؤال عن الفراش ثانياً.

قال: أبشري وأردف:

طاري طراني طيّر النوم عني　　　أرْعى نجوماً هكّبت للمغيب «١»
يا ابو ثمانْ رهاف لا تمتحنّي　　　لا بْد يوم فيه اوْدي واجيب
وسيقنا ما هو شُوايل تجني　　　نفْزَع لها قدّام شمسه تغيب «٢»
أجُرْ قوْساً بالسهل والتمني　　　أمشي على مهْلي وادارجْ حريبي «٣»
وارْبعي اللى ما لهم صبر عني　　　وانا بلاهم مثل كرْب عضيب «٤»

قالت:

تدوُرها من بعد قفْت تثنّي　　　نمراً حماها من ثعالب وذيب «٥»
سبعين مُهْر اللى بها علّقنْ　　　من ربعك الابطال كيد الحريب

١ - هكبت: مالت. طارى: خاطر وهاجس.
٢ - الوسيق: التابع. شوايل: حمول. نفزع: نهب للنجدة والمساعدة.
٣ - قوساً: القوس هنا السياسة والتصرف. السهل: الهون والتأني. ادارج: أسايس. حريبي: خصمي.
٤ - كرب: بمعنى ساعد وزند. عضيب: كسير أوبه عطب.
٥ - تدور: بحث. قفت: ذهبت. تثني: تعود. تشير إلى موقف رجال قبيلته دونه في غيابه.

وفي الصباح قدم الشاعر راشد بن سنيان الأحمدي ضيفاً على الشيخ، وكان الشاعر رجلاً مسناً، واسمعته «بقشة» هذين البيتين وطلبت منه اكمالهما فقال :

بعناك لاجـــــاتنا الزبون المهنّى لوكنت اخير من الحصان العريب «١»

وفي اليوم التالي توجه الشيخ إلى المدينة المنورة في مجموعة من رجاله، وبعد أداء صلاة الجمعة في الحرم النبوي وقفوا عند باب الحرم ينتظرون خروج المصلين وبخاصة الأحامدة المغضبين، وعندما شاهدهم الشيخ صاح : «بني حمد يا ربعي»، فارتفعت الأصوات من كل مكان لبيك.. لبيك، قال : اركبوني ذلولي فأناخوا الذلول وركب وساروا من حوله، وانتهى الغضب والعهد الذي عقد مع الظاهري»، «والظاهري» نفسه يعرف ان هذا العهد ليس له ديمومة، وانما قبله امتصاصاً لغضب جماعة يلتقي معهم في القبيلة، وان أمر مغاضبتهم زعيمهم ليس الا سحابة صيف عن قليل تقشع، وربما كان «الظاهري» نفسه أول من سيسعى لإزالة هذا الغضب والاصلاح بين الطرفين، ولكن قصر المدة لم يسعفه للترتيب لذلك، لا سيما وان الظاهري من رجال حرب المعروفين وقد تولى إمارة المدينة المنورة فترة طويلة.

* * * *

ومن المعارك التي وقعت بين الأحامدة والحكومة موقعة «سقام»، وهو شعب في اعلا وادي «رحقان»، اعتصم به الاحامدة أمام زحف الجند، وكان عددهم يفوق عدد الأحامدة، الذين دافعوا بالسلاح والحجارة دون تحقيق نصر على الجند، وعندما تسلق الجند الجبل، وأحس الأحامدة ان أحيط بهم، وان ليس إلا الفرار والنجاة أو الاستماتة، وبينما هم يديرون فلك الفكر صاح شاعرهم «مسلم الحساني» منشداً :

واداري اللى في حـــــراج السُّـــوْم زبونهـــا من ينزل الميـــدان «٢»

---

١ - بعناك : تركنا وغادرناك. الزبون المهنى : الكفؤ من الرجال. أخير : أفضل الحصان العريب : الحصان العربي.

٢ - واداري : تلهف على دياره المهددة بخطر الغزو. حراج السوم : مثل المعرك بميدان البيع والشراء والثمن هو الأرواح والاستشهاد دونها.

ان كـــان مـــا شـــرّيت نهـــار اليـــوم   علم الخطا غـــدوا بهـــا العـــدوان «١»

فأجج بذلك نار الغيرة في نفوسهم وانطلق منحدراً نحو الجند ، وكان ذا شعر كثيف فتنادى الرجال : وراء «ابو شعفلّة» فانداحوا وراءه ببنادقهم وسيوفهم وعصيهم والحجارة، وانحدر الجند ، وكان للنساء دور ومشاركة في هذه الموقعة وبخاصة في الهاب مشاعر المحاربين، وقد خاطبهن الشاعر قائلاً :

ياابو جـــعـــيـــد من علي مـــتّنه تثنّى   كنُه قماش الهند يا امير الحمام «٢»

خـــــذن من اللي دون ديرتنا تعنى   اللي عليه البيض في لبّة «سقام» «٣»



١ - علم الخطا : خبر السوء ان يعبث بها الأعداء.

٢ - جعيد : تصغير جعد كناية عن الشعر . تثنى : تتهدل.

٣ - البيض : الشهادة بالوطنية والفداء، وهي كلمة اعتزاز . لبة : صدر المكان . سقام : شعب .

الثورة العربية والبادية

عندما قامت الثورة العربية بقيادة الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية يعتقد كثير من الكتّاب ان ابناء البادية لا يعون ما كان يدور في فلك السياسة والسياسيين، ولم يكونوا يدركون الأهداف والدوافع التي اشعلت فتيل هذه الثورة، أو انهم لا يتوقعون المخاطر التي تعقبها الحروب، والواقع ان أبناء البادية - مع امية كثير منهم - يتمتعون بالمعرفة وبعد النظر وحدة الذكاء الفطري، وانهم وان بدوا في اسمال بالية وعباءات مهلهلة فإن تحت هذه الثياب رجالاً يدركون أبعاد القضية ويعلمون ان الثوب الذي فصل لهذه الثورة ليس الا رداء يستر كثيراً من التشويهات والاخطار والنوايا المبيتة للبلاد العربية بخاصة والاسلامية بعامة، فالمعروف ان ضعف الدولة العثمانية في أواخر أيامها ادى إلي احداث ثقوب في ردائها، لم يكن في مقدور السلاطين الضعاف رتقها، أو الحيلولة دون اتساعها، مما ادى إلى اساءة ولاتها وموظفيها إلى أبناء البلاد العربية، وإلى فتح ثغرات نفذت الدول الغربية من خلالها إلى جسد الدولة العليل، واحدثت به جراح لم تجد في هذا الجسد المتداعي مناعة أو مقاومة تحد من تفاقم الجراح، وعندما سئل أحد شعراء البادية عن هذه الحالة قال :

اربط بقر واطلق بقر كل الأمور ملخبطة

وما فطن له أبناء البادية لم يغب عن ذهن الحسين بن علي ومستشاريه، فهو - بلاشك - لم يكن واثقاً من ان نتائج هذه الثورة ستكون لصالحه وصالح أمته وبلاده، ولكنه أمام تجاوزات ولاة الدولة العثمانية واساءاتهم للعرب لم يجد بداً من الثورة - خطوة أولى - مؤملاً في ان لكل حادث حديثاً، وعليه أن يبدأ هذه الخطوة ويدع الخطوة التالية لحينها.

والأمر الذي أثار الشك لدى البادية في مصداقية الأهداف المعلنة للثورة هو مساعدة الغرب لها، والبدوي يؤمن ايماناً عميقاً وثابتاً بأن العداوة في الدين هي اشد العداوات، وان عداوة الأجداد تنتقل إلى الاحفاد بل هي شديدة الضراوة

عليهم، لذلك لم ينخرط كثير من رجال البادية في سلك الثوار غير اولى المصلحة والمنفعة الخاصة منهم أو الذين سلبهم الاحراج - لقربهم من الحسين وأبنائه - اتخاذ رأي مخالف له، حيث ان البدوي يعد التخلي عن الصديق أو الحليف من أكبر العيوب التي تشرخ معاني الرجولة، أو الذين غلبوا على أمرهم فخاضوا غمار الثورة مرغمين.

لم يكن هذا التحليل صادراً جزافاً، وانما هو مؤسس على اشارات لعضد الحسين في هذه الثورة وفي إدارة سياسة امارته من قبل، انه الشريف عبد الله بن الحسين الذي اصبح فيما بعد ملكاً على الاردن، فلقد لعب دوراً كبيراً في قيادة الثورة عكسرياً وسياسياً، حيث اشار في مذكراته إلى اعتزال بعض القبائل لهذه الحرب، وإلى محاربة وتهديد الشريف لها بالوعيد والتنكيل ان لم تبادر في الانضمام إلى جيش الثورة.

فقد كتب عبد الله بن الحسين إلى الشيخ «فرحان الايدا» والشيخ «شهاب الفقير» يقول: «وكتابنا هذا دعوة لكم للالتحاق بالثورة العربية الحقة، في مهلة لا تزداد علي العشرة ايام. فقدموا البت قبل مضيها مقدمين الطاعة مع البرهان بأن تهاجموا خط السكة وتأتوا بأسرى وغنائم. فإن لم تفعلوا ومضت المدة فلا لوم علينا ان نحن استعنا بالله عليكم وصبحناكم وقد افلح من اتقى» المذكرات (١٤٢ : ١٤٠٩ / ١٩٨٩)، كما كتب إلي العشائر الذين تقع ديارهم غرب المدينة المنورة ويعني بعض قبائل «حرب» و«جهينة» و«بلى» يهددهم بالصياح إذا هم لم يتراجعوا إلي الأميرين فيصل وعلي ابني الحسين، المذكرات «١٣٨٠ : ١٤٠٩ / ١٩٨٩)، إلى غير ذلك من المكاتبات والفرق الموجهة لمحاربة من لم يلتحق بالثورة مثل «ابن مبيريك» من حرب، وابن «رفادة» من بلى وغيرهم.

وما جاء في المذكرات صريح وبلسان احد زعماء الثورة وقادتها، والذي أبت شجاعته ان يخفي الحقيقة وينفي وجود معارضة مثلما يشيربعض الكتاب بأن الحافز على الثورة هو الاجماع الوطني، أما الاشارة إلي المعارضة فهي تبرئة للعربي من

الغباء والغفلة عن دسائس ومكائد اعدائه، وهذا من اضعف الايمان، وربما ان الملك عبد الله الذي طال به المقام بعد الثورة العربية اكتشف مخططات الغرب وعاني منهم، فكانوا في مستهل بوادر الثورة يزينون له المستقبل بأحلام تخلوا عن تحقيقها له فيما بعد، بل انهم خذلوه في كثير من المواقف لعل قضية فلسطين واستعمار بعض البلاد العربية من النتائج التي لم تكن في حسبان الحسين بن علي ورجاله، وعندما مني الملك عبد الله بخيبة الأمل رأى ان يظهر الوجه الآخر للأمة العربية، الوجه الذي تنبه للعبة قبل ابتدائها، وان يشير إلى غدر الأعداء، وكما يقولون «علي وعلى أعدائي»، وأخيراً لعله التزم بوعده الذي جاء في كلمة الاهداء «اهدي مذكراتي هذه لأمتي التي ستجد بها الكثير من الحقائق عن مجد الاجداد وجهاد الاحفاد» المذكرات (٥ : ١٤٠٩ / ١٩٨٩)، ولقد خلت المذكرات من اية مقدمات أو تنويهات أو تعليقات، بل انها ابتدأت بالاهداء قائلاً : «هذا دفتر حياتي، أودعته وقائع أيامي والليالي، وكفى بالله حسيباً» المذكرات (٩ : ١٤٠٩ / ١٩٨٩) ثم استرسل وانتهت المذكرات بنصيحة الملك عبد الله للأمة العربية.

والداعي لكتابة هذه اللمحة هو الرغبة في تدوين ما تبقى في صدور الرجال من نصوص شعرية كثيرة قيلت حول هذه الثورة، ومع ضآلة ما نملك اليوم من هذه النصوص غير المكتملة فإن هاجسنا الآخر هو الأمل في استظهار نصوص أخرى لم تصل إلينا، وسمعنا طرفاً منها لم نتمكن من تدوينه.

لقد كان البادية يطلقون على «الحلفاء» اسماً مرادفاً وهو «القرينات» لاقترانهم وتوحيد صفوفهم للاطاحة بالدولة العثمانية ومن اقوالهم عند بدء التجهيز للثورة:

حُـركَـوْها حَـركُـوها	مـا ادري وَيْن المستـراح «١»
والقناصل ساعـدوها	والذهب ماله مَناحي «٢»

١ - حركوها : الثورة على الدولة العثمانية. المستراح : النهاية.

٢ - القناصل : قنصليات وسفارات الدول الأوروبية في البلاد العربية. مناحي : مواجه ومصادم.

لا شك ان لهذين البيتين على قصرهما معان عميقة، ودلالات واضحة على فطنة البدوي، فلقد حُركّت الدولة العثمانية أو الثورة، ولكن النتائج مجهولة وأيضاً الأمن والاستقرار، ثم يرمز الشاعر للدول الغربية بكلمة «القناصل» سفارات الغرب فهم الذين يملكون المال والمساعدة التي اشعلت نار الثورة.

وقصة هذين البيتين ان شاعرا يدعى الحفوف الرحيلي من «الرحلة» من حرب كان نائما فاستنهضه هاتف يطلب منه الرد على هذا البيت :

حـــوركـــوها حـــركـــوها ... مـــا ادري ويْن المســـتـــراح

فيجيبه الرحيلي : ماذا أقول؟ فقال له : قل :

والقناصل ساعـــدوها ... والذهب مـــالـه منَاحي

أما عن تعامل البادية مع خبراء الانجليز الذين استعانت الثورة بهم في إدارة بعض الشؤون العسكرية والسياسية والفنية فقد كان سيئاً مما اضطر المسؤولين إلى تكثيف الحراسة على هؤلاء الخبراء وبخاصة الذين يعملون في تدمير سكة القطار لئلا يستخدمها العثمانيون في الامدادات، فأبناء البادية ينفرون من حمر البشرة ذوي السواعد التي يوشيها النمش، والعيون الميصاء، وابن الحسين يدرك ذلك فيقول : «ولم اكن بالفرح المسرور من قدومه (يعني الكابتن لورانس) حيث علمي بتأثيره المعاكس في العشائر المتعصبة، ولقد قال لي ابن لؤي : انكم تقاتلون الترك بسبب ان الالمان استحوذوا على الترك، وهذا من يكون (لورانس)؟ إذا كانوا هم يعني الألمان اصحاب الاتراك فهؤلاء أصحابكم، فعلام القتال إذن؟ وقال ناهس الذويبي : من هذا الأحمر القادم (لورانس) وماذا يريد؟» المذكرات (١٤٤ :١٤٠٩ / ١٩٨٩) وحاول ابن الحسين تهدئة هؤلاء الرجال واقناعهم فإنه يضيف : «ومع ان هذا القول كان له التأثير غير ان التبرم من وجود (لورانس) كان جلياً ظاهراً، ولقد حاول هو الاتصال بالعشائر ولكن لم يستطع للحرس الذي أقيم حواليه» المذكرات (١٤٤ :١٤٠٩ / ١٩٨٩).

وكان (الراوية) إبان الثورة صبياً، وكان ينصت إلى ما يدور بين أبيه وعمه، وهم يسمعون اصوات المدافع تشق عنان السماء فتقطع من «ينبع» إلى ماحولها من قرى مسافة خمسين ميلاً، لم يكن الجو حينها ملوثاً أو مزدحماً بالأصوات، ولم تكن الآذان أيضاً مشوشة بمشاكل العصر، كان الصبي ينصت إليهما وإلى حوارهما حول هذه الثورة وإذا بأبيه يقول :

مادام دون الدار ماصارت حمية ... كل الذي فيهم كتبناهم عدام «١»
شريفهم كمل لهم هذي وذية ... البيض له واللي علي حرب المقام «٢»

ويجيب العم :

لا دام شيخ القوم قواد السرية ... يبرا سناة الحرب مع قايمقام «٣»
ما كنه الا مايشوف الدائرية ... اللي تدبر في النويرة والظلام «٤»

وفي «الفريش» - قرية قرب المدينة المنورة. جلس الشريف فيصل بن الحسين ومن حوله رجاله وبعض الشعراء، فأراد مستشاروه والمقربون منه أن يسروا عنه فقد بدا مغضباً، فاشاروا إلى بعض الشعراء واقترحوا اعطاءهم فرصة للمناظرة حول موضوع الثورة، فاستحسن الشريف ذلك وعينوا «حاسن المطرفي» ممثلاً للشريف و«مطلق بن قابل» ممثلاً للدولة، وتناظر الشاعران طويلاً حتى قال مطلق :

الخلفة ان جاتك طوابير النظام ... النص من ربعك تطش شرودها «٥»
تأتي لكم من حيث تامن يا الغلام ... مادام منك اللي عليك يقودها «٦»

وتطول المحاورة حتى قال «مطلق» :

الخلفة ان النص منك بلا حزام ... واظن ما ينجيك روس حيودها

١ - حمية : تضامن من كل القبائل مع الثورة. فيهم : المقاتلون. عدام : بلا جدوى.
٢ - كمل : جهز المؤن والسلاح. البيض : الذبح. حرب : القبيلة. المقام : الحرب.
٣ - شيخ القوم : الشريف. قواد : قائد. السرية : الجيش. يبرا : يصاحب. سناة : مقدمة.
٤ - الدائرية : الأمر الحالك. تدبر : تحاك. النويرة : النور أي العلن والخفاء.
٥ - طوابير النظام : الجيش العثماني المسلح المنظم. تطش : تترك هاربة. شرودها : أشياءها.
٦ - حزام : سلاح. حيودها : جبالها.

وهو يشير هنا إلي قلة السلاح لدى جنود الحسين ومواطنيه.

وعندها تدخل الشريف وانهى المناظرة وتفرق الجمع للنوم، فهو يدرك الأوضاع تماماً، ويتجاهل ان الناس يشاركونه هذه المشاعر والمعرفة، وقد كشفت المناظرة واقع مايجري ونقاط الضعف فيه، وعدم تفاؤل الناس بهذه الثورة.

والشاعران مجيدان لذلك لم يستطيعا اخفاء الحقائق، وهي مرة، فالاخفاء اخفاق، والشاعر لا يملك القدرة على الاخفاء، وبخاصة أمام المنافسة.

وفي الصباح استدعى الشريف الشاعر «مطلق» وكافأه، وضغط علي يديه بألا يعود إلي ذلك المعنى الذي طرقه في رده لأنه يفضح واقع الحال في جيش الحسين.

والتقى الشاعر «مطلق» في حوار مع شاعر آخر من قبيلة «الرحلة» كان قد انتقد «مطلق» في تهجمه على الدولة قائلاً:

وَش بَـك تـنـاكـى دولـة الـسـلـطـان   وهي حُلُو بَك يوم ترعيها؟ «١»

فأجابه قائلاً:

البَكْرة اللى تَذْرَع الشُّعْبان   لابان فيها خَلْعْ نكويها «٢»

* * * *

وشهدت دولة الاشراف فترات زاهرة، زاخرة بالخير الذي عم الحاضرة والبادية لدرجة ان الناس اهتموا بالملبس وظهرت الثياب الرجالية ذات الأردان فقال الشاعر فرز بن سافر الأحمدي:

خَطَّرْا مَـرادين يا عيني   ومـا احـدٌ مـشى في البلد حافي

ان قَـوْطَروا عَـقْب الحسيني   مـانحـصُل الحـزم الضـافي

فأينك أيها الشاعر من هذا الزمن الذي شهد ألوان الرفاهية والخير العميم.



١ - وش بك: ماذا بك. تناكي: تهاجم وتذم.

٢ - البكرة: الذلول وتذرع الشعبان: تسير علي غير هدى من التخبط. خلع: مرض.

الباب الثاني
النظم والقوانين القبلية

في هذا الباب نتناول بعض النظم والقوانين التي اختارتها القبائل لتنظيم العلاقات فيما بين فرع القبيلة الواحدة وأفرادها أو فيما بين القبائل المتجاورة، ونضرب أمثلة تطبيقية أو حوادث كان لهذه النظم دور إما في الحد من الحوادث أو تجنبها تفادياً للوقوع تحت طائلة العقاب الذي تمضيه أحكام هذه النظم.

مقدمة وتمهيد

تنشأ النظم في المجتمعات لتحقيق الضبط الاجتماعي، وحماية الاستقرار، وتوطيد الأمن في المجتمع لتنتظم في ظله أمور الحياة الأخرى من اقتصادية واجتماعية ودينية وتربوية وخلاف ذلك.

وإذا كانت قوة السلطة المدبر لشؤون الجماعة تمتلك القوة المتمثلة في تحقيق العدالة والمساواة، ورد الحقوق المسلوبة إلي أصحابها وكل ما يقع تحت مسؤولية الراعي التي حددها الحديث النبوي الشريف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والامير راع، والرجل راع على اهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» النووى (١٤٠٧/ ١٩٨٧ - ١٢٦)، فإن المجتمع يعيش حياة مستقرة، يسودها التعاون والاخاء والشعور بالمسؤولية المناطة بكل فرد تجاه هذا المجتمع، ويحدث العكس عندما تهيمن حياة الغاب علي المجتمع البشري وتستأثر نزعات التسلط بتوجهات افراده، وقديما قالوا:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والمجتمع البشري يعي ذلك مهما كانت مكتسباته من الثقافة قليلة، لذلك نجد ان كثيراً من النظم الاجتماعية الوضعية جاءت تلبية لحاجة اجتماعية أملتها الظروف المعاشة، فإنه وان تغلب طابع الشر على الحياة فلا يعدم المجتمع المصلحين والمفكرين من أبنائه الذين يسعون لاعادة التوازن إليه، فيضعون من حصيلة ثقافتهم وخبرتهم نظماً وقوانين وضوابط تعالج المشكلات التي تواجه المجتمع وتسبب له حياة غير مستقرة، وتساهم في تخفيف حدة انفراط زمام الأمور.

والمجتمعات الإسلامية كفاها القرآن والسنة المحمدية مؤونة البحث عن نظام أفضل من هذين المعينين اللذين لم يغادرا صغيرة أو كبيرة مما ينظم الحياة المطمئنة إلا جاءا بها ووضعا لها تنظيماً شاملاً وعادلاً لم تشهده المجتمعات الإنسانية من

قبل، إلا ان أية نظم يختارها الله لعباده أو يضعها المشرعون لا بد لها من حكومة ترعاها وتقيمها والا تسرب إليها الضعف والتمرد.

ولقد شهدت المجتمعات المحلية في الجزيرة العربية بعد عصر النبوة والخلافة الإسلامية القوية وقبل قيام المملكة العربية السعودية حالات من الخوف على الأرواح والأموال، وعانت من حالات الفوضى وعدم الاستقرار ما أقض مضاجع هذه المجتمعات، وحال دون تحقيق النماء والرخاء بين ربوعها حيث انغلق كل مجتمع محلى صغير على نفسه، فافتقدت الحياة نظام التبادل الذي يسري في المجتمع سريان الدم في الجسم، وبسطت نوعاً من الاستبداد والظلم حتى بين افراد الأسرة الواحدة، وكان للجهل دور كبير في نمو هذه الحالة التي انعكست أيضاً على الأمور الدينية فعاد الناس إلى الخرافات والبعد عن الدين الصحيح.

في ظل هذه الظروف تنبه الرجال في المجتمعات البدوية والريفية إلى خطورة هذا الوضع، وحاولوا التخفيف من حدته بوضع أنظمة اجتماعية دعوها قوانين، وجعلوا سلطتها نافذة واحترامها ملزماً لافراد القبيلة نفسها أو القبائل المتجاورة.

ولعل من حسن حظ هذه المجتمعات انها تتميز بخصائص ومرتكزات اجتماعية وثقافية كان لها دور في التخفيف من وطأة هذا الاختلال والحد من شدة بأسه وشموليته، ومن أهم تلك الخصائص والمرتكزات العقيدة الاسلامية والأرومة العربية، فقد كان لذلك دور في تحقيق شيء من الضبط الاجتماعي والاستجابة لتلك النظم والقوانين القبلية النابعة أصلاً من هذين الموردين وبخاصة في مجال الأمن، فالاعتداءات والتجاوزات ـ كما هو معروف ـ عادة ما تستهدف الأموال والاعراض، والناس هنا منذ عصر الجاهلية يعتبرون ان المال ظل زائل، وغاد ورائح، وهو من أعراض الحياة التي تهون إذا ما قيست بالاخلاق، والانفس تتعرض للموت دفاعاً عن حقوق مشروعة فلا تفقد بموتها فضيلة، بل ان في ذلك شرفاً وفخراً يفوقان ـ أحياناً ـ فضيلة الحياة وشرفها، أما انتهاك الاخلاق فمنذ القدم وهم يعتبرون ذلك هلاكاً، ووبال ذلك

ينعكس على الجاني عاراً وعلى المجني عليه تندرا، ولذا فإن القبائل تحرم الاعتداء على الأخلاق وتضع عقوبات رادعة وشديدة لمن يعتدي عليها.

ولقد شهدت قبيلتا حرب وجهينة إبان فترة غياب سلطان الشريعة، وسلطة الدولة بعض الاعتداءات والتجاوزات من افراد القبيلتين دفعهما إلى وضع بعض الضوابط التي تنظم العلاقة بين الجارتين، وتحافظ على بقاءالاخلاق الكريمة بعيداً عن الانتهاك والتعدي، فإنهم وان اباحوا سلب ونهب الأموال المعرضة للسلب محملين اصحابها مسؤولية المحافظة عليها والدفاع عنها، فإنهم لم ينسوا ان يلتمسوا بعض السبل التي تضعف مضمون الاباحة وتساهم في رد الحقوق إلى أصحابها، ولا تجعل الاباحة أمراً حسنا.

وأكثر الشدة تقع في الاحكام الخاصة بالأخلاق، حيث وجد عقلاء القبيلتين ان بعض افرادهما يرعى مواشيهم فتيات ليس لهن المقدرة على رد المعتدين من الرجال على المواشي واستلابها، وأن الغزاة إذا ما تمكنوا من استلاب قطيع من القبيلة الأخرى يعمدون إلى اصطحاب رعاته إلى حدود ديارهم حتى يأمنوا النجدات، وعندها يطلقون الرعاة فتيانا كانوا أو فتيات وطريق العودة قد يطول وهو موحش وخطر، لذا يكلف المعتدون من رجالهم من يصحب هؤلاء الرعاة حتى يبلغوا مأمنهم.

ومما تجدر الإشارة إليه ان وجود النظم والقوانين القبلية لم يكن قاصراً على قبيلتي حرب وجهينة، وإنما عمدت معظم القبائل إلى وضع نظم وقوانين تنظم العلاقة فيما بين أفراد القبيلة الواحدة وفروعها وفيما بين القبيلة والقبائل الأخرى المجاورة وغير المجاورة، إنها نظم بمثابة الاتفاقيات والمعاهدات التي تقوم بين الدول مع اعتبار الفارق المجازي، أما مصادر هذه النظم فنجد ان بعضها مأخوذ من الشريعة الإسلامية أو انه متأثر بها، ولا غرابة في ذلك فهو نظام وضعي نشأ في مجتمع إسلامي، ومع وجود هذا النظام واحترامه فإنه لا يلغي القضاء الشرعي الإسلامي، بل انهم يعودون إلى الشرع في الأمور التي تعجز عن حلها ومعالجتها القوانين القبلية، وربما كان السبب في ظهور هذه القوانين سهولة استيعابها من

قبل مجتمع معظم أفراده من الأميين، وكان «القرف» ـ قاضي الحربية ـ من القضاة الشرعيين وقضاة العرف وهو معتمد من القبائل ـ لا من الحكومة، وقضاؤه نافذ شرعاً وعرفاً، وان اختلف الحكم المؤسس على القوانين القبلية عن الحكم الشرعي فإن ذلك يكون في حجم العقوبة، فبعض المخالفات يكون منعها احترازيا وذلك خوفاً من التمادي في التعدي أو وقوع محاذير أشد خطورة، ومنها التعريف عند المقابلة بين الغرباء، كما سيأتي، ومنها رجم المغتصب دون النظر إلى كونه محصناً أو غير ذلك، فهو يرجم حتى الموت حماية للأخلاق.

وكانت هذه النظم معترفاً بها من قبل السلطات الرسمية، لأنهم وجدوا انها تسهل عليهم رد الحقوق إلى أصحابها وانها تبعاً لذلك تخفف من حدة تهديد الأمن والاستهتار بأرواح الناس وأموالهم، فقد أورد المؤرخ التركي «أيوب صبري باشا» في كتابه «مرآة جزيرة العرب» طرفا عن النظم والقوانين عند الأعراب، حيث أشار إلى :«ان عقلاء المدينة المنورة ووجهاءها رأوا لزاماً على الحكومة ان تعمل على الأخذ بالقوانين والأنظمة التي كانت سائدة ومرعية بين أعراب العرب» صبري (١٤٠٣ / ١٩٨٣ : ٢/٣٤٤) ويضيف :«وقد قررت الحكومة الأخذ بها ـ القوانين ـ بعد دراستها وإجراء بعض التعديلات اللازمة عليها» صبري (١٤٠٣ / ١٩٨٣ : ٢/٣٤٤)، وفعلاً تم تشكيل لجنة للنظر في هذه القوانين ودراستها وتعديلها ،واستهدفت اللجنة بالتعديل بخاصة موضوع دم القتيل والأموال المسروقة أو المسلوبة وقررت ان «الدم في الخمسة والمال في السمية» صبري (١٤٠٣ / ١٩٨٣ : ٢/٣٤٤) وهذا يعني ان خمسة القاتل ـ وهم الذين يلتقي معهم نسباً في الجد السادس ـ يتحملون دم القتيل في حال هروبه واختفائه، وهذا القرار يحفظ دم القتيل ويسهل على الحكومة احتواء القضية ويجعل ذوي القاتل يساهمون في تقديمه إلى العدالة، ويرتدع الآخرون على الاقدام على القتل، ومن ثم فإن القاتل لا يعمد إلى الفرار لعلمه انه محاط به، وانه يعرض بريئاً من ذويه للعقوبة.

أما «السمية» وهم الفرع من القبيلة التي ينتمي إليها الفرد وهم مسؤولون ـ بهذا القرار ـ أمام الحكومة عن رد المال المسروق من قبل احد افراد «السمية».

أما القسم فإنهم لا يقسمون بغير الله، ولكنهم عند أداء اليمين يذكرون من أسماء الله وصفاته ما يبهرهم من هذه الأسماء والصفات ويكون له وقع مؤثر في النفوس، ومن يحق عليه القسم «كانوا يدخلونه في دائرة رسمت بطرف أحدى العصي على الأرض ويؤدي اليمين حسب الأصول المرعية، وينقسم اليمين إلى قسمين: أحدهما للأمور العادية مثل الأموال المسروقة أو المنكرة، والثاني للأمور المهمة مثل الزنا والقتل ومثلهما من الكبائر» صبري (١٤٠٣ / ١٩٨٣ : ٢ / ٣٦٦، ٣٦٥) ويمين مفردة غير مخففة ويمين مغلظة ومنها قولهم: «والله العظيم وبالله الكريم، أو والله الذي لا إله إلا هو خالق البرية، العالم بكل خفية، رافع السموات العلية، قاطع المال والذرية، ومفرق الخمس قضابة الجنبية» صبري (١٤٠٣ / ١٩٨٣ : ٢ / ٣٦٦).

ومن هنا نجد ان النظم والقوانين القبلية وإن كانت من وضع البادية فإنها متأثرة بالشريعة الإسلامية، ومصاغة في أسلوب يوافق طبيعة مجتمعهم ويحقق له نوعاً من الحماية الاجتماعية.

وفي الصفحات التالية نستعرض طرفاً من هذه النظم والقوانين التي تعالج القضايا التالية.

١ - السلب:

ويعني المال الذي يؤخذ بالقوة سلباً كان أو عنوة.

ويحدث الأول أخذاً في حين غفلة صاحبه وعدم تحصينه وتحريزه، وينصرف السالبون به إلى مأمنهم فإن ادركتهم النجدة واستطاعت استرداده فذلك دفاع عن حق يعود إلى أهله، وان لم تدرك النجدة الغزاة أو المعتدين فقد نجوا به واصبح حقاً منهوباً يتصرفون فيه كيف يشاءون، ولن يعود إلى اهله إلا إذا جد طلب سلمي لاسترداده وذلك عن طريق الشفعة، وتكون بواسطة صلة بين القبيلة

الغازية والقبيلة المعتدى عليها، مثل صلة الرحم أو المصاهرة أو المؤاخاة أو الجوار ونحو ذلك، ويتم ذلك حين يتقدم المعتدى عليهم إلى ذي صلة بالغزاة، فيطلبون منه الوساطة لاسترداد المنهوب، فلا يجد الغزاة إلا الخضوع لطلب ذي الصلة بهم، فيرد المال المسلوب كاملاً، أو تنهى القضية بما يرضي الطرفين، وتقل الوساطات في مثل هذه الأمور لأن القبائل تفضل ان تسترد مالها بالقوة مثلما أخذ بالقوة، وعندها قد تكون الضحية فئة لا يمتون بصلة إلى الغزاة السابقين غير صلة الانتماء إلى القبيلة وذلك مقبول ويعتبر سداداً.

أما إذا كان المال المسلوب انتزع من فئة قليلة لم تستطع المقاومة أو الدفاع كالحراس والرعاة فإن الغزاة يصطحبون الرعاة والحراس معهم حتى بلوغ مأمن الغزاة خشية ان يستنفر هؤلاء النجدة فتجد في طلب الغزاة وتستعيد المال المسلوب.

وإذا ما كتب النجاح لغزاة بالمال فمن حق هؤلاء الرعاة والحراس ان يُرَدُّوا إلى ديارهم، وحدودها سماع ثغاء ورغاء مواشيهم أو نباح كلابهم، ومن حقهم أيضاً ان يستفيدوا من المال المسلوب مايقدرون على حمله منه، أو ما يقدرون على امساكه باليد من المواشي، ومن حق الرعاة والحراس ألا يساء إليهم أثناء صحبة الغزاة أوعند ردهم إلى ديارهم، وإذا أسيء إلى أحدهم فمن حقه على وليه ان يطلب رد الاعتبار له أو ايقاع الجزاء على المعتدي وبخاصة عندما يكون التعدي يمس الاخلاق، فإن ذلك يعد جرماً كبيراً من حق القبيلة المعتدى على أحد أفرادها ان تطلب من القبيلة التي ينتمي إليها المعتدي ان تحضره ويحاكم ويجرى عليه الجزاء كما ورد في قصة «رجم الخود» التي انتهكت فيها الاعراض، وخلاصة القصة ان عقيداً من احدى القبيلتين استاق ماشية للأخرى واصطحب راعية الماشية لئلا تبكر في انذار قبيلتها فتغذ النجدة السير لاسترداد السلب، وعندما أمن العقيد ادراك النجدة له امر أحد اتباعه بمصاحبة الفتاة إلى ديارها، فامتثل الفتى للأمر، وصحب الفتاة مسيرة ليلة فأغرته الوحدة والشباب باغتصاب الفتاة قبل ان تبلغ مأمنها.

رفع واقع الحادثة إلى كبار القبيلتين، واجتمع الفريقان على جسر ترابي يفصل بين القبيلتين ويسمونه «عَقْم النِّص»أي الحد الفاصل بين القبيلتين، وعلى هذا الجسر ينظر في القضايا المشتركة من خصومات ومن سن قوانين تنظم العلاقة بين القبيلتين المتجاورتين، وفي نفس الوقت تصدر الاحكام بشأن القضايا المطروحة من قبل القبيلتين.

وتناول المجتمعون القضية وانتهوا إلى ادانة الجاني والطلب من قبيلته احضاره وتنفيذ الحكم في الموقع الذي وقعت فيه حادثة الاغتصاب، وتم التنفيذ على مشهد من رجال القبيلتين حيث أتى بالجاني ورجم بالحجارة حتى مات، واصبح المكان معلما يسمى «رجم الخود» وكان يعتقد ان من يمر به ولا يرجمه آثم،ومازال بعض الناس إلى يومنا هذا إذا ما مروا به رجموه، وما هذا إلا لتجسيم الواقعة للعبرة والاتعاظ.

٢ - الشفعة :

واعني بها من يحق لهم الشفعة والوساطة لرد حق مسلوب أو الصفح والتنازل عن حق مطلوب، والذين يكون تدخلهم أحياناً ليس لصالح القبيلة التي ينتمون إليها ولا غضاضة في ذلك ولا لوم من قبيلتهم على هذه الوساطة، بل تعد مفخرة لهم ويسعون إلى تعزيز طلبه لما في ذلك من صور الشهامة والرجولة التي تسجل لقبيلتهم، واهل الشفعة هم :

أ - ذوو المصاهرة وتمتد الصلة إلى الإبن السابع من سلالة الصهر الأول، وما أكثر المصاهرة بين هاتين القبيلتين المتكافئتين المتجاورتين، ومن أمثلة ذلك ما لا يزال الناس يذكرونه وهو قصة «شعلة الحربية» فقد تزوجها رجل من جهينة وانجب منها فكان واقرباؤها يطالبون برد مال أية جماعة أو أفراد من جهينة أو حرب اليهم إذا ما سلبه رجال من إحدى القبيلتين ومن حقهم الاستجابة لطلبهم، وقد حققت المصاهرة تواصلاً وتعاطفاً بين القبيلتين.

ب - الاخاء ويكون عن طريق الرفقة في رحلة او الاشتراك في عمل أو الأكل والشرب من اناء واحد أو مائدة واحدة ولو لمرة واحدة، فإن ذلك يكسب كلا منهما الاخوة حتى ولو لم تكن بينهما معرفة سابقة، وتعطى هذه المؤاخاة الحق لكل منهما في الشفعة لدى قبيلته لصاحبه وقبيلته وغيرهم.

ج - الجوار :

فإذا تجاور جهني وحربي فترة من الزمن طالت أو قصرت فإن كلا منهما يكتسب حق الشفعة لصاحبه قال الشاعر :

الله نشد عن معرفة يوم يا «حمود» ما هي ثمان سنين يا «حمود» جيران

ويدخل في إطار المصاهرة والاخاء والجوار سائر العلاقات الأخرى كالصداقة أو ما يترتب على مكتسبات الشفعة من علاقات اجتماعية أخرى.

٣ - الحماية :

ولها مجال واسع منها حماية الضيف، والدخيل، واللاجىء، وحماية البيت وحماية الوجه، وحماية الضيف وهو إما ان يكون غريباً من غير رجال القبيلة وهو معرض للاعتداء قتلاً أوضرباً أوسلباً واهانة أثناء تجواله في مرابع مضيفه، لذا تقع مسؤولية حمايته على مضيفه، وبطبيعة الحال فإن الحماية تلزم أبناء قبيلة المضيف ما علموا بالضيافة، وهذه الحماية تعد وقاية للضيف وتشرف القبيلة المضيفة، والضيف في حاجة إلى حماية بدنه وماله ومعنوياته، بعيداً عن أقربائه وذوي عصابته، والقبيلة يسعدها ان تنتشر مناقبها وسمعتها الحسنة بين القبائل الأخرى فتكتسب الهيبة والاحترام، والمجتمع في حاجة إلى مثل هذه الحماية لاشاعة الأمن والاستقرار بين ربوعه.

لذا فالضيف في حماية مضيفه ما دام الضيف في كنفه وحتى يخرج من دياره، أو يستضيفه شخص آخر يحل محل المضيف الأول في الحماية، وهكذا حتى يصل الضيف مأمنه، واللاجىء والمستجير من قبيلة أخرى تشمله هذه الحماية، وللقبيلة التي يقيم فيها هذا الضيف ان تحميه من أبنائها ومن الذين يجدون في طلبه للثأر منه في ديارهم، وإذا ما اعتدى عليه أو قتل فيلزم مجيريه أو مضيفيه الثأر له ومن ذلك حادثة مقتل «الأحمدي» في «السويق» من قبل مطارده «العمري»، وليس من حق هذا الضيف ان يهجم أو يثأر لنفسه ما دام مجاراً من أحد رجال القبيلة، وإذا ما اعتدى عليه فله ان يدافع عن نفسه ويدرأ عنها الخطر

ويرد الأمر إلى مجيره لرد حقه إليه، وأما إذا أراد ان ينتزع حقه بيده فله ذلك ولكنه في هذه الحالة يسقط حقه في الحماية فيكون معرضًا لخطر أكبر، ذلك انه وان كان في حماية رجل واحد فهذه الحماية تهم القبيلة كلها، لأن القبيلة تسعى لكسب السمعة الطيبة والمكانة الرفيعة والتي تتحقق عن منعتها ووفاء رجالها وتسابق افرادها إلى فعل المكرمات وحماية الذمار كما أسلفنا، أما الخطر الأكبر الذي يتهدد الجار عندما ينتزع حقه بيده فهو تخلي المجير وهذا الحشد من القبيلة عنه، وهو فرد واحد تتخطفه الابصار للايقاع به، ان هذه الحماية كالخيمة التي تقيه الحر والقر، فإذا ما زالت فإنه يصبح في مهب الريح، وقصة «فهيد البذلي» خير دليل على ذلك.

والاستجارة المعنية هنا هي استجارة اللائذين بالقبيلة أو بأحد رجالها من غير أبنائها، وعلاقتها بالضيافة كون الاستجارة مؤقتة كالضيافة.

وهناك استجارة بذوي المكانة وهي استجارة داخلية بين أفراد المجتمع أو القبيلة وهي استجارة لا تضيع حقا، ولكنها تمنح مهلة لمعالجة المواقف وحل المشكلات المؤدية إلى سبب الاستجارة، فالمستجار منه يكبح جماح ثورته ثم يطالب المستجار به بحقه لدى المستجير وذلك خلال مدة زمنية تحددها طبيعة المشكلة.

والاستجارة ذات أساليب وصور متعددة منها دخول البيت ومنها ذكر اسم المستجار به ولو كان غائباً، ومنها الاستجارة بالوجه «في وجه فلان» والمجير طرف ثالث في المشكلة بل يصبح عنصراً هاماً فيها، ولا يستجار بغير الكفؤ الذي يملك الاحترام والتقدير أو الجاه أو المال الذي يحتوي به المشكلة ويحقق به رضا الطرفين المتخاصمين، ويخشى بأسه ان خفرت حمايته بعدم احترامها، فإنه لا يستجار بمن لا يملك حماية المستجير، وأحياناً تكون الاستجارة بطلب من المجير، فيتحمل ما يترتب على ذلك من حقوق، وعند عجز المجير عن دفع الخطر عن مجيره كأن يتمسك أصحاب الحق بطلب يعجز عن تحقيقه فإنه يخلي جانبه من الحماية ويعلنها، ولكن بعد ان يهيىء الفرصة للمستجير لطرق منجاة أخرى، وهذا

الأمر قليل الحدوث، ذلك ان الاحترام بين القبائل متبادل، وان المعاملة بالمثل أسلوب ينشده كما يخشاه الجميع فالأحداث قد تتكر والحاجة إلى المعاملة بالمثل واردة، والمستجار به يجند المساعي لتذليل الصعوبات التي تقف في طريقه لمعالجة مشكلة المستجير به بما لا يضار ومصلحة الآخرين، ومن لا يقدر الرجال ويخضع لمناهج الرجولة رمى بمغبة سوء تفكيره :

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

وإذا ما استجير بمن لا يملك مقومات الاستجارة تحملت القبيلة ذلك دفاعاً عن صاحبهم وحماية لذمار القبيلة، وإذا تخلى المجير عن المستجير به فتعرض هذا للخطر شهر بالمجير ولحقت المذمة به وبقبيلته، وهو أمر لا تطيقه القبيلة ولا ترضاه، وبخاصة إذا ما تناقله الشعراء واصبح الناس يرددونه في مجالسهم، وفي هذا يفتخر الشاعر بحمايتهم للمستجير قائلاً :

وحياة ملح بعدما ينجح نشوره يا «سليم» من دون اللوازم ما نحير

عار على اللي شبر وجهه ما يعوره وسط القبائل مثل سَلْم ما يسير

فالدفاع عن المستجير واجب لازم، ومشاركة القبيلة في تحمل مسؤوليات الحماية مع المجير المباشر منهم رافد آخر لتعزيز مبدأ الاجارة وحسناته. والاستجارة بدخول البيت لها طرق، فمنها الدخول من المقدمة أو من المؤخرة، وحجا البيت أو حدوده التي إذا بلغها المستجير يكون في حماية صاحب البيت وهي من الأمام عشرون متراً ومن الخلف أربعون متراً فلو قتل المستجير داخل هذه المساحة لزم دمه صاحب البيت.

ويمكن ان يجير شخص ما شخصاً آخر بمجير حاضر أو غائب ويُشْهد على ذلك، وتسمى الاجارة بالقرع وعبارة القرع هي :«مقروع في وجه فلان» ويذكر شخصاً معروفاً، وعندها يتوقف المقروع عن التعدي حتى يؤخذ له الحق أو يقنع بأن لا حق له.

وشاهر السلاح لا يقرع فهو في ثورة وغضب كما يسمونها «ثورة الدم» وذلك رحمة بالذي يتحمل مسؤولية القرع، فقد لا يمتنع المقروع لاندفاعه وهيجانه،

وعندها تصبح القضية مضاعفة، جاني بالاعتداء وجاني بمسؤولية القرع ومجني عليه قد يكون مستحقاً للجناية وقد يكون مظلوماً، ويصبح الجاني مطالباً من جهتين، المجني عليه والمتعدي على اجارته أو قرعه.

٤ - العاني :

والجاني إذا اعتدى على شخص آخر فقتله أو جرحه فلن ينجيه الفرار وليس له منجي غير أحد أولياء المجنى عليه يلوذ به ويعلق عليه العاني، فما هو العاني؟.

أقرب تعريف للعاني انه المسؤولية، مسؤولية معالجة المشكلة، وسمي العاني بهذا الاسم نسبة إلى العناء والمعاناة التي يتكبدها من علق عليه العاني، والجسامة الكبيرة التي يتحملها بتحمل هذه المسؤولية، والعاني لا يعلق إلا على كفؤ وأهل للمسؤولية، ان اشار أطيع، وان قال فعل، وان عصى خشي جانبه، وان حكم عدل ورضى حكمه، فهو جدير بأن تؤمه الركبان وتتحمل العناء والمشقة في سبيل الوصول إليه وهو جدير أيضاً بأن يقدم العناية المرجوة لدراسة القضية ومعالجتها والحيلولة دون اتساعها، ويظل الجاني في حمايته حتى يخلي من مسؤولية جنايته أو يقام عليه العقاب، ومدة سريان العاني ليست مطلقة فتضعف القضية وإنما هي مقيدة بمدة زمنية كفيلة بأن تقدم خلالها المبررات والأدلة والأسباب التي يتم بموجبها اصدار الحكم في القضية ومدة العاني سنة وشهران وستة أيام، ومنهم من يعرف العاني بأنه «إعطاء مهلة مدتها سنة وشهران واحد عشر يوماً وثلث اليوم» صبري (١٤٠٣ / ١٩٨٣ : ٣٤٧ / ٢) ويسمون هذه المهلة قانون العاني ويجوز ان تجدد المدة ولكن بشرط موافقة جميع الاطراف المعنية بالقضية.

٥ - الزابن :

وهو اللاجئ إلى شخص أو إلى ديار الخصم، فإذا قتل حربي حربياً آخر ولجأ إلى ديار جهينة أو بالعكس فعلى الملتجأ إليهم حماية الملتجيء، حتى تنتهي مدة لجوئه بموته أو مغادرة ديارهم، وعند ارتكابه جناية مقصودة في الملجأ تنتفي عنه

الحماية حيث يصبح ـ كما يقولون ـ «باجحا»، والزابن واللاجيء والمستجير قد تعني معنى واحداً.

٦ – تطبيق الاحكام :

تعتبر الأحكام التي تصدر بشأن القضايا المشتركة بين جهينة وحرب ومتفق عليها بين القبيلتين، أو التي تخص القبيلة الواحدة نافذة وإذا امتنع شخص عن تنفيذ ما يصدر بحقه من حكم في قضية سواء كانت بين جهينة وحرب أو بين افراد قبيلة منهما جُنِّيَ عليه، أي حمل عبء جنايته واطلق لصاحب الحق وغيره ان يشهر به ذما حتى يضيق صدره بما حمل من ذم ويعود إلى جادة الصواب ويخضع للقانون أو يعيش مهدداً من خصمه..

٧ – الديات :

لا تتماثل قيمة الديات، فهي تجري وفق مكانة الشخص المقتول ولذلك مبررات مقبولة، فالدية المطلقة هي ما يعادل ثمانمائة ريال، أما دية المقتول في ديار الخصم إذا عرف القاتل فمقدارها ستون ريالاً وليس لوليه الحق في طلب القصاص.

ودية المقتول وهو في حماية رجل آخر قيمة اربع ديات وليس لوليه الحق في طلب القصاص، بشرط ان يحدث القتل أثناء مدة سريان «العاني» أو المدة المضروبة للحكم في القضية.

أما دية القاضي وشيخ القبيلة والضيف ما دام في حمى مضيفه فهي مربعة، والمبرر ان القاضي وشيخ القبيلة هما المسؤولان عن اقامة العدل والإدارة وقد اكتسبا هذه المكانة لسمات وتميز يجعلهما أرفع من ان يقدما على جريمة قتل، وشدد أيضاً في معاقبة من يتعرض لهما لأنهما رمز والرمز إذا استهدف بالاساءة والقتل فإن ذلك يعني التسيب والتجرؤ والاستهتار بالحقوق والأرواح البريئة، أما الضيف فإنه في حماية مضيفه وهذا يجعله آمنا فلا حاجة له بحمل السلاح ليدافع عن نفسه، والاعتداء عليه يعد بادرة تسيء إلى المعاني السامية للضيافة، وإلى ذمار القبيلة التي يقتل في حماها، ولذا فإن الضيف يظل في حماية مضيفه

حتى ينزل ضيفا على آخر أو يبلغ مأمنه وتؤدي الدية المربعة قصاصا بقتل القاتل ودفع قيمة ثلاث ديات، أو دفع أربع ديات.

٨ - القضايا المشتركة :

وهناك من القضايا ما يتطلب اجتماع قضاة القبيلتين للنظر فيها ودراستها واصدار الحكم مثل قضية «الخود» أو «رجم الخود»، وهذه يعقد لها اجتماعات عند الحدود الفاصلة بين القبيلتين ويحضرها قضاة ورجال القبيلتين وتحسم في حينها ويشهد التنفيذ بعض رجال القبيلتين ان كان في ذلك قصاص أو ترسيم حدود ونحو ذلك.

أما القضايا الأخرى فقد اختير لكل نوع منها قاضيان احدهما في الجهنية والآخر في الحربية وذلك على النحو التالي :

أ - القضايا الحائرة أو المجهمات :

وهي القضايا الصعبة ويفصل فيها كل من :

- ابن ماضي الحازمي في الحربية.
- ابن ثابت الحصيني في الجهنية.

ب - قضايا الهجر :

وهي ما يتعلق بالحدود وتجاوزات القبائل للديار رعيا أو زراعة أو سكنا ويفصل فيها كل من :

- ابن مطلق الأحمدي في الحربية.
- الشريف الهجاري في الجهنية.

جـ - قضايا المحشمات :

وهي ما يتعلق بالأخلاق ويفصل فيها :

- القرف من الحوازم في الحربية.
- ابن نهار القاضي في الجهنية.

وبعد ..

فإن هذه مقدمة عن القوانين بين حرب وجهينة، وهو مجال خصب وهام للدراسة والبحث لا سيما وان الملمين بهذه الموضوعات أخذوا في الرحيل كما أخذ منهم النسيان كثيراً من المعلومات التي ظلت مذاكرة المجالس تحفظ كثيراً منها، ولكن المجالس التي تعنى بهذه الموضوعات أخذت في الانحسار وطغت عليها موضوعات واهتمامات عصرية استحوذت على مذاكرات التراث والماضي الطريف.

ولعل هذه القوانين تركز على جانب هام هو السعي لتخفيف وطأة الأحداث الطارئة على المجتمع والمحافظة على الفضيلة من خلال بعض التوجهات التي قد نرى اليوم انها ضئيلة ولكنها ـ في واقع الأمر ـ هامة وذات تأثير دافع للخير ورادع للشر.

انها محاولات في مجتمع بدوي يواجه قسوة الحياة وشظفها وينشد العيش الآمن المستقر تحت هذه الوطأة، ولو فكرنا في سلوك الانسان نحو الخير وإلى الشر لوجدنا لكل عصر منهجه في ذلك ولا يخلو عصر من العصور من تجاوزات بعض افراده نحو الظلم وسعي الآخرين نحو تحقيق شيء من الانصاف والرفق.

هذا واود الاشارة إلى ان المعنيين بهذه القوانين هم الذين يعيشون فيما بين الحرمين الشريفين إلى ما دون تبوك شمالا من قبيلتي جهينة وحرب، وربما أثر طابع الجوار على القبائل الأخرى المجاورة مثل قبيلة بلى فمهما اتفقت الأحوال الاجتماعية فإن للبيئة دور في تحديد حاجة الجماعة، وإذا كانت قبيلة جهينة تشغل مساحة متقاربة فإنه يسهل تحديد حاجاتها بخلاف قبيلة حرب التي تشغل مساحات متباعدة تجعل كل قبيلة فيها تخضع لظروف اجتماعية مختلفة مما يعدد حاجاتها وفقاً للبيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية المرتبطة بقبائل مجاورة أخرى غير جهينة.

وفي الصفحات التالية بعض النماذج والأحداث التي كان لهذه القوانين دور في معالجتها.

اللجوء القبلي

كانت القبائل بمثابة دول لها حدود تفصل كل قبيلة عن الأخرى وتقوم بينها علاقات كالتي تقوم بين الدول اليوم ولكنها علاقات ذات مستوى محدود لا يتجاوز الحيز أو الحجم الذي تتحرك القبيلة في اطاره، فالحدود التي تفصل القبيلة عن الأخرى هي نفس الحدود السياسية المقامة بين الدول اليوم والاعتبارات التي ترعاها الدول فيما بينها ليست إلا تجسيداً وتطويراً للنظام القبلي الذي ساد المجتمعات البشرية من قبل، ولا يختلف عنه إلا في المستوى الحضاري المتطور المؤسس علي الثقافة.

واللجوء عند قبيلتي حرب وجهينة، كثيراً ما يحدث، وذلك عندما يجنح أحد افراد القبيلة ويقتل فرداً منها أو يخرج عليها، ويلجأ إلى القبيلة الأخرى التي يحل ضيفاً عند احد افرادها فيعلن حمايته في ظل نظام عرفي اختارته القبيلتان.. وقصة «فهيد البذلي الجهني» من القصص التي احتلت مسافة زمنية طويلة في ظلال الحماية والمتابعة، ولم يكن «فهيد» مذنباً وانما كان وارث ذنب عن أبيه عن جده، حيث ان جده قتل ابن عم له، ولجأ إلى ديار حرب، فوجد فيها الحماية والعيش، ومات عن ولد حمل الهم حيناً، ثم سلم العلم لابنه «فهيداً»، الذي انتهى إليه الميراث الثقيل، ولطول مكث الرجل في الحي آمنا خيل إليه انه قد يتعرض لتعديات من طائشي فتيان حرب فإن طول مكثه بينهم مخلق لشخصيته، وقد يتعرض لما يشيره، وبقاؤه دهراً مكفوف اليد واللسان مدعاة للتندر والاساءة إليه، ولكن ما العمل ان ارتباطه بحي حرب وديارها أكثر من تطلعه لديار جهينة التي لم تطأها قدمه أوقدم أبيه :

وحبب اوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

وتعمق شعور «فهيد» بالخوف في ديار حرب، وكان الحل الأمثل لاستمرار الحياة ان يحتمي بأحد رجالات حرب من حرب ذاتها وهي التي يحتمي بها من جهينة (قبيلته)، وحماه احد شيوخ الاحامدة (ابو عوف) فاصبح في حمى حرب من حرب وفي حمى حرب من جهينة.

وحدث ان غاب «فهيد» عن منزله ذات يوم، وعند عودته وجد أحد الموالي يبحث في منزله عن شيء يسرقه، وما ان رأى المولى «فهيدا» حتى فر هاربا، ودخل منزل رجل حربي من «المراوحة»، فسلم «المروحي» السارق للجهني الذي بادر السارق بطلقة نارية جرحته وعاد هارباً إلى نفس منزل «المروحي»، وامتنع «المروحي» هذه المرة من تسليم السارق «للجهني»، وعندها تذكر الجهني انه في حمى رجل لا يقبل هضم حقه، فاستنجد به، فأخذت «أبا عوف» العزة فرمى «المروحي» بالبندقية فقطع يده ونجا «المروحي» بنفسه، وعاد «أبو عوف» إلى بيته. وطبقاً للقانون السائد بين حرب وجهينة فإنه ليس من حق «فهيد» ان يثأر لنفسه ممن تعدى عليه طالما انه في حمى رجل من القبيلة يتحمل عنه هذه المسؤولية، ويأخذ له بحقه ممن اعتدى عليه، فالاعتداء على المستجير هو اعتداء على المستجار به، وليس على المستجير وحده، ولكن الغضب ينسي أعقل الرجال حسن التصرف، فأبو عوف أخطأ حين اطلق النار على «المروحي».. إذ ينبغي عليه ان يذهب إلى «المراوحة» ويشرح لهم الأمر ويعلق العاني علي احدهم، حتى يتداول القوم القضية، وتوضح ملابساتها ويحدد الخطأ وصاحبه، وقانون قبيلة حرب في هذه الحالة ينص على ان للجاني أن يذهب عند وقوع الحادث - حتى ولو كان محقاً - إلى احد اقرباء المجني عليه ويعلق عليه العاني، أي يوكل إليه مسؤولية القضية ويطلب حمايته حتى تنجلي قضيته، فيقوم هذا بحماية الجاني من تعد طائش، وانتقام غاضب. و«أبو عوف» عندما اطلق النار على «المروحي» وقطع يده عاد إلى بيته ولم يستفد من نص هذا القانون، وعودة «ابو عوف» إلى بيته لم تكن تجاهلاً أو تهاوناً، ولكن جدية القضية ووضوحها ومكانته كشيخ قبيلة وانه بفعله هذا انما ثأر «لدخيله» ومسح ضيماً عن نفسه وهو ضيم تلحق عاقبته قبيلة حرب كلها بما فيها «المراوحة»، هكذا حدثته نفسه، ولكن هذه الاعتبارات لم تعفه من غضب «المراوحة» فتأزم الموقف وكادت تقوم حرب بين الفريقين، (ميمون والمراوحة) وهما من بني سالم من حرب وطرح «أبو عوف»

استفتاءاً في بيتين من الشعر يدافع عن نفسه فيقول :

مـا قَـوْلكم يا «حـرب» في قَنْ الدُخـيلة — اللي تَجَـمَّل دونهـا جنيٌ عليـه «١»

الاجنبي في الدار يحـمي بالصُـميلة — والا يخَلّي في البَـرَحْ يجني عليـه؟ «٢»

ويرد عليه أبو حماد الحساني رجل من (ميمون) ومن الاحامدة بالذات رجال الشيخ «أبو عوف» قائلاً :

دخـيلكم يا الشـيخ سَوّى له مـعـيرة — والغـالب انه دارت الدّارة عَليْـه «٣»

الاجنبي في الدار لاجـاته مـغـيرة — يلِدْ في الجنحـان ويكَفْفْ يديه

يقول الشاعر ان «الدخيل» أتى عملاً غير مباح له، وليس من حقه ان يأتيه ويتعدى حدوده.. فالمفروض ألا يتعب نفسه فيذود عنها التعديات، فالقبيلة التي هو لاجيء فيها تدافع عن حقوقه وتوفر عليه مغبة التعرض للأخطار، والأحرى به ان يرجع إلى مجيره ويشكو إليه ماحلقه من ضيم لا ان يأخذ حقه بيده.

وهنا ينبه الشاعر إلى نقطة هامة، زاد الجدل وطال حولها واتسعت اطرافها، فبعد ان كانت حربية شملت جهينة، حيث عرضت القضية على قضاة القبيلتين وحكموا فيها بخطأ «فهيد الجهني» لأنه رمى السارق بالبندقية وكان المفروض ان يرفع الأمر إلى «أبو عوف» فهو في حمايته.. وإلا لا معنى للحماية إذا كان يحق للدخيل ان يحمي نفسه.

و«أبو عوف» اصبح أيضاً مخطئاً بتصرفه، فاحيلت القضية إلى قضاة «المراوحة» و«ميمون» وتمت فيها المصالحة.

أما «فهيد الجهني» فإنه بقي آمناً في ديار حرب ولم يخطر بباله ان الحماية قد انتفت عنه، وانه اصبح في خطر من طالبيه (جهينة) وان «حرب» لن تمنعه،.. لأن «فهيداً» تصرف باطلاق النار على السارق دون الرجوع إلى مجيره «أبو

---

١ – قن : قانون. الدخيلة : اللاجيء والمستجير. تجمل : قام بالواجب. جنى : حمل ذنباً.

٢ – الاجنبي : من ليس من الحي والقبيلة. الصميلة : العزم والجد. البرح : الميدان أو المكان غير الآمن. يوجه السؤال لحرب باعتبار القضية حربية.

* سوى : عمل. معيرة : قضية يؤاخذ عليها. الدارة : الدائرة.

عوف»، وجهينة وحرب يقررون في هذه الحالة حسب النظام القائم بينهما انه : إذا بدرت من المستفيد من اللجوء بادرة ليس من حقه ان يقدم عليها، فإن القبيلة التي يتمتع بحمايتها تصبح في حل من حمايته.. ولكن طول مكث «فهيد» بين حرب - لا سيما بعد ان تبين له ان حماية حرب توفر عليه دفع الخطر والتعدي عليه كما حدث في القصة السابقة - أشعره بالأمان والطمأنينة فنسي انه مطلوب، فبادر صديقه مطلق بن قابل الأحمدي فأيقظه من نومه ونبهه بقوله :

يا خَيْف من يأسى ويستأمن بضدُّه ... ما يحسب ان الغيظ ناره ما تموت

البَنْي يِبْني والشُّرِكْ يرمي بسَدُّه ... قولوا معي صادق على قول الثبوت

ان مثل «فهيد» مطلوب في ثأر ابن عم جده، وخارق لنظام اللجوء في ديار حرب، كيف له ان يعيش مرتاح البال؟! إن الحقد الدفين نار دائمة الاشتعال، أما ترى المصيدة توضع في موقع شيق يستهوي الصيد فلا يدرك ان الخطر يكمن وراءها؟ ألستم معي؟ هكذا وجه مطلق النص لصديقه.

وما كان من «فهيد» إلا ان يتصل بكبار قبيلة حرب، ويطلب مساعدتهم في العودة إلى دياره، فإن الموت بينهم خير من الاغتراب، وإلى متى يظل في المنفى؟ وإلى متى يتناقل الاحفاد هذا الميراث الثقيل؟.

وهب القوم معه وذهبوا إلى ديار جهينة وشيوخها ومعهم «فهيد»، فتمت المصالحة ودفنت القضية التي تجاوزت مائة وخمسين عاماً يقظة متقدة، وبعد الصلح أخذ حفيد القتيل «فهيداً» وهيئة الصلح ليريهم شيئاً مهما كان بمثابة العلم الذي تسلمه الفرق العسكرية إذا غادرت لمن يحل مكانها، ودخل بهم غرفة علق في سقفها شيء ما، عندما أمسكه الحفيد تداعى كالرماد الداكن، إنها العباءة التي كان يرتديها جده حينما قتله جد «فهيد»!! علقت هنا حتى يؤخذ بحقها ويثأر من القاتل! واليوم آن لها ان ترتجل فقد مل هذا الميراث وانهى بصلح والصلح خير.. وآن لها ان ترتجل فقد مل هذا الميراث وانهى بصلح والصلح خير.. وآن للفرقة ان تنتهي وللشمل ان يلتئم.

وبالمناسبة فإن «المراوحة» و«ميمون» فرعا بني سالم من حرب متجاوران، ولكل منهما فروع أو فخوذ ومع الجوار ووحدة النسب فإن المشاكل كثيراً ما تقوم بينهما، فتنحاز كل قبيلة منهما إلى من يتبعها لتحارب الأخرى، وتقف الحرب بينهما إذا داهمهما خطر مشترك، فتعقد الألوية من قبل الطرفين، ويتحمل كل منهما مسؤولية الدفاع عن جهة معينة، فالمبدأ السائد الذي يقول : «أنا وأخي على ابن عمي وأنا وأخي وابن عمي على العدو» هو الذي كان يقوم بين القبائل في تلك الفترة.

* * * *

وفي أثناء اقامة «فهيد» في ديار «حرب» حدثت مناوشة في سوق «الواسطة» من «وادي الصفراء» بين جماعة من «المراوحة» وآخرين من «ميمون»، واستمرت المناوشة يومين. وتحزبت فروع «المراوحة» و«ميمون» وتأزم الموقف، وعاش الناس أياماً عصيبة، وكانوا بين مؤجج للفتنة ومهدىء للغضب حتى انتصر الخير على الشر وتدخل المصلحون وطمرت الفتنة :

تهدأ الأمور بأهل الخير ماصلحت	فإن تولت فبالأشرار تنقاد

وكان «فهيد» مقيماً في «الواسطة» ميدان هذه الفتنة إذ ذاك، وهو من الفرسان الذين يحبون ميادين القتال، فأثارته الحشود وحفز الحرب فوصف هذا اليوم الذي لا يعنيه قائلاً :

عزيز يا بارق مصدَّق بالمخايل	الملْح ربَّانه وصَبُّ القَلْت ماه (١)
والحرب مالوا له رجاجيل الصمايل	والذيب في الميدان طَشَّو له عشاه (٢)

١ - عزيز يا بارق : دعاء يقال عند مشاهدة البرق طلباً للزيادة والاعتزاز لينزل المطر. مصدق بالمخايل : تؤيده السحب والمزن يشبه ضوء نار البارود من البنادق بالبرق اللامع كما يشبه دخانه بالسحب الكثيف.
الملح : البارود. ربانه : سحابه غزير الماء. صب القلت : الرصاص يشبه الرصاص بقطرات المطر كبيرة الحجم، والقالب الذي يصب فيه الرصاص يسمى «قلته» تشبيهاً بقلته الماء.
٢ - الصمايل : الجد والعزم.
طشوا : القوا. اشارة إلى بدء الشر والحرب وخطورتها.

فأجابه شاعر من الأحامدة قائلا :

اللي يخيل «فهيد» براق النسايل ... والا ترى براقنا ماهل ماه «١»
لو استعز النو تنقاد الخايل ... يضحي غشيش الرأي يشكي من طناه «٢»

وقال شاعر آخر :

يا «فهيد» اجل لو جاك سيل الحزم مايل ... اللي مساليب الفرنجي في سناه «٣»
الله ما ترعى عيونك من قنايل ... في شرته واللي مخلفها وراه «٤»

والشاعر هنا يشير أيضاً إلى ان هناك من لم يصلهم خبر الحرب، فكيف لو حضروا؟ انهم سكان الجبال، مثل جبال «الأحامدة» و«الفقرة» وجبل «الصبوح» جبل «صبح» وجبال «الحوازم» في «الاب»، ان تلك الجبال بما فيها من صيد، وما يقضيه ابناؤها فيها من هوايات الصيد، ما جعلهم يعشقون الرماية ويتفننون في شؤونها، وهؤلاء لم يأتوا بعد لأن الخبر لم يأتهم، وهم شداد ذوو جلد وصبر ويعدون شبانهم لمثل هذه المعارك، فإن عنايتهم بالبنادق واهتمامهم بها وحبهم للحرب سيريك اهوال القتال في ميدان الحرب وما تحدث من دمار.

وكانت المعركة في «الواسطة» قرية معروفة بوادي الصفراء، ولم ينم المحاربون ليلتهم وإنما قضوها في مشاورات ومكاتبات إلى رجالهم، فقبائل «المراوحة» لم يكونوا على مقربة من ميدان الحرب وكذلك «ميمون» ولكن الرسل توجهت إليهم تستحثهم القدوم.

وبينما كانت مجالس الحرب معقودة كان للسلام مجالس، فإن الرجال العقلا لم يرضوا عن الفتنة لاسيما وانها بين فروع قبيلة واحدة، فسعوا إلى ايقاف الحرب، وتزعم ذلك الشيخ حذيفة بن جزاء الأحمدي وانتهت الحرب واعيدت

١ - براق النسايل : السحب الخفيفة. يشير إلى ان المشاركين في الحرب هم سكان القرى والشعاب القريبة وهم لا يصلون في بأسهم إلى سكان الجبال.

٢ - استعز النو : كبر احتمال نزول المطر. تنقاد الخايل : يتسع المزن. غشيش الرأي : سيء الرأي. طناه : الندم والحرقة والكمد. يشير إلى ان الحرب لو استمرت فستقوى وستدور الدائرة على سيء الرأي وسيشكو الويل والثبور.

٣ - جاك : جاءك. سيل الحزم : سيل الجبل. مساليب الفرنجي : البنادق الطويلة. سناه : اطراف.

٤ - شرته : ميدانه أو مقدمة المتحاربين.

السيوف إلي اغمادها والبنادق إلى أكفالها . ولكن الصلح لم يعجب كل رجال القبيلة لا سيما الذين أتاهم الخبر متأخراً أو قدموا من مناطق بعيدة وتركوا مصالحهم وجاءوا ليثبتوا للناس انهم على قدر المسوولية وليبينوا مهارتهم في الحرب ، فهذا شاعر من ميمون يقول :

الله من قلب نُوى سُوق الحريق	بمسلبات في يدينا ضارية «١»
اليوم رديتوه من نُص الطريق	يا كبارنا وش عندكم من دارية «٢»

فأجابه الشاعر راجح بن حامد الحازمي من المراوحة :

قولوا لمن قلبه نوى سوق الحريق	تلقى نشامى في الحراج مشارية «٣»
بمسلبات يفرجن من كل ضيق	عاداتهن يكون كي الشافية «٤»

يشير الشاعر إلي شجاعة وبأس المراوحة في الميدان وأنهم اكثر تلهفاً للحرب ، وبنادقهم تزيل عنهم الهموم والقلق لأنها شديدة البطش تضرب ضربات قاضية ، ويبرز شاعر «مروحي» آخر فيقول :

والله لولا الجار له حق علينا	والقلب للجيران في الواجب نصوح
لا غير تشوف اللى عنيتم واعتنينا	قدام لمأت المعالي والصبوح «٥»

والشاعر يشير إلي الصلح وقبوله وان الرضا به وفاء بحقوق جيرة القبائل المتطاحنة فلولا روح المحافظة علي ذلك لشهد الميدان استعداد الطرفين المتحاربين وبأسهم قبل ان يحضر الآخرون من سكان الجبال .

ويجيبه شاعر من «ميمون» :

يا اللى تقول الجار له حق علينا	صون البخت لا يهدمه هرج الطفوح «٦»
شبابنا فتيان والمركى يدينا	ما هاضنا عن دارنا كُثر الشنوح «٧»

١ - سوق الحريق : ميدان الحرب . ضارية : ضاربة ومتعددة . ٢ - وش : ماذا . رديتوه : اعدتموه . دارية : دراية .
٣ - نشامى : فتيان حرب مهرة . الحراج : الميدان . مشارية : متلهفة للبأس .
٤ - مسلبات : بنادق طويلة . كي الشافية : يشفى غليل حاملها .
٥ - عنيتم : اعددتم . عتينا : اعددنا . لمات : حضور . المعالي : أهل الجبال . الصبوح : قبيلة صبح .
٦ - البخت : الحظ والنصيب . وهرج الطفوح : الكلام الطائش والغرور .
٧ - المركى : مايرتكز عليه الرامي . الشنوح : التهديد الزائف .

يقول الشاعر : احمد ربك ان جاء السلام والصلح ، فقد تستيقظ الفتنة وتقوم الحرب من جديد فتفقد حظك الحسن. ثم يمجد فتيان القبيلة ويذكر عدم مبالاتهم ببعض الاحداث التي واكبت سير القضية.

وعلى أية حال فقد كان الناس اقرب إلى الخير منهم إلى الشر مهما كانت النزعات، فانتهت القضية بالصلح وحقنت دماء القبيلة.

* * * *



حمى البيت

كان «مسلم الحساني الأحمدي» ذا مال من مواشي وحقول ومناحل، وكان رجلا كريماً مضيافاً، فاتخذ أجيراً يقوم بالرعي والزراعة وشؤون المضافة، وشب الأجير في بحبوحة من العيش الذي لايجده كثير من الأجراء، غير ان خلافاً وقع بين الحساني وأجيره أدى إلى طرد الأجير دون ان يأخذ حقوقه، مما حدا به إلى محاولة أخذ حقوقه بالانتزاع سلباً ونهباً من املاك الحساني، وقد كانت مدة خدمة الأجير لديه كافية بأن يعرف الطريق إليها.

بدأ الأجير يمارس ما اعتزم القيام به، وتنبه الحساني إلى نواياه، وحدث أهله بذلك وكان فيهم صبية صغار لم يتجاوزوا سن المراهقة، كما ان الأجير أحس بخطورة ممارساته، وشعر انه يعرض حياته للخطر، وعندها فكر في تفادي هذه الخطورة واستشار من يثق بهم لتحاشي سطوة الحساني، فأشاروا عليه بالذهاب إلى الحساني مستجيراً فإنه لن يستطيع بعدها ايذاءه.

هب الفتى مسرعاً إلى بيت الحساني، وكان خيمة من الشعر تتوسط ساحة مستوية من الأرض، شهدت في تلك الساعة سباق الأجير وابن الحساني والقدر، وكسب القدر السبق حين ارسل ابن الحساني إلى الأجير رمحاً أصابته في مقتل وخر صريعاً على رواق البيت من الخلف.

اسرع الابن يبشر والده بأنه قتل الأجير، فالتفت الأب قائلاً: لعلك قتلته على اطناب بيت أمك؟

لقد كان ما توقع الأب، قتل الأجير داخل حجا البيت، وهذه فادحة تصيب الحساني قبل الأجير، ذلك ان الأجير قتل في موقع يحمل الحساني مسؤولية القتل مضاعفة، فهو قتل غير مبرر، وقتل مستجير به وفي حرم بيته وحرم البيت عندهم مسافة اربعين متراً من الخلف وعشرين متراً من الأمام. وزيادة المسافة الخلفية لاعطاء فرصة أكبر لتحقيق هدف الاحتماء، ومن العار دخول المنزل من الخلف لغير مستجير يسلم أمره لصاحب البيت قابلاً ما يصدر منه من أحكام،

وهذه الطريقة تجعل المستجار به يقف إلى جنب المستجير ويحقق طلبه وإلا لحقته ملامة المجتمع له، ومن يقتل من المستجيرين داخل هذه المساحة يلزم صاحبها بدم القتيل وعليه أن يبادر بأداء حق الحماية.

دفن القتيل وطالب ذووه «الحساني» بدمه، وكان لزاماً عليه قتل ابنه فقتله.

* * * *

وبينما كان «الحساني» يسير في سوق «الواسطة» من قرى وادي الصفراء، وإذا برجل يعيّر الحساني بقضية قتل ابنه، فلما سمع مقالة الرجل اغتاظ وصعد على مرتفع من الأرض في السوق ونادى في الناس : اسألكم بالله عن براءة رجل قتل ابنه في دم رجل قتل في حمى بيته؟.

ضج الناس مرددين : نعم ابرأ ذمته، وهنا يتدخل رجل كان يركب حماراً أسود قائلاً : هل قتلت القاتل؟

قال الحساني : لا.

قال الرجل : إذاً قضيتك سوداء مثل سواد حماري هذا وانصرف.

نعم لقد كان القاتل أثيرا عند أبيه فقتل اخاه بديلاً عنه، وبعد سماع مقالة هذا الرجل عاد إلى حيه وقتل ابنه الآخر (القاتل).



التعريف عند اللقاء

التعريف بين الذين يلتقون في الطريق ضرورة اقتضتها ظروف ذلك الزمن القديم، وتأتي أهميتها لتفادي الأحداث، ولتوطين الأمن بين العابرين والمستوطنين أو المتلاقين، ويتكون التعريف من عبارات محدودة كالاسم والقبيلة وجهة القدوم أو القصد واخبار المكان القادم منه العابر واحوال المكان الذي يضم المقيم، وقد ينوه عن الاسعار والأمطار ونحو ذلك من المعلومات التي تذيب الغربة، وتزيل الوحشة، وإذا كان بين المتقابلين معرفة فتقتصر المحادثة على الأخبار، ومن لا يلتزم بهذا المنهج قد يعرض نفسه للخطر.

وكان الأسلوب المتبع أو الحوار الذي يدور بين المتقابلين يتم كالتالي:

البدء بالسلام والرد عليه والمصافحة فالمعانقة ثم المساءلة عن الأخبار ويتقدم السائل قائلاً: من الأخ؟ فيجيب: فلان بن فلان الفلاني قادم من... ومتوجه إلى... وسلامتك. فيجيبه بدوره مكرراً عبارة التعريف ويردف: هات هات علومك. فيجيب: «خص وانا اقص» أي حدد سؤالك، فيسأل وهذا يجيب ويتبادلان الأسئلة والأجوبة، حتى تذهب الوحشة ويتم الاطمئنان والفراسة تحدد لكل منهما واقع حال الآخر.

ومن ذلك ان رجلاً من «بني سالم» مر بناحية من نواحي الفقرة، فوجد راعياً يهش على غنمه، ومضى الرجل في سبيله دون ان يلتفت إلي الراعي، مما حدا بالراعي إلي ان يستوقف الرجل، ويوجه إليه بعض التساؤلات التي تعود الناس في هذه الناحية ان يتبادلوها عندما يلتقون، فيعرف كل منهما الآخر، وهذا ما لم يفعله الرجل في البداية وبعد ايقافه، فما كان من الراعي إلا ان يجذبه إليه ويضربه ويسلبه سلاحه ويخلي سبيله.

توجه الرجل إلي (ابن مطلق) أحد شيوخ الأحامدة يشكو إليه الراعي، فاستدعى الشيخ كل رعاة الأحامدة في تلك المنطقة، ليتعرف الرجل علي

خصمه، ولكنه لم يجده من بينهم، وأخيراً استدعى رعاة قبيلة «الوفيان» فوجد الرجل صاحبه بينهم. فأحال «ابن مطلق» الخصمين إلى «القرف» قاضي الحربية وهو من الحوازم، وأبلغهما موعد المثول أمام القاضي.

لم يكن الراعي من الأحامدة وأنما هو من «الوفيان» من بني سالم، وما ان اقترب الموعد حتى أشير على «الوافي» ان يعين وكيلاً عنه أو محامياً يترافع عنه في المحاكمة، ولكن «الوافي» امتنع مبرراً ذلك بأن فيه الكفاية.

توجه «الوافي» إلي القاضي في الموعد المضروب لحضوره وخصمه، فألفى المحكمة بل دار «القرف» مكتظة بالمتخاصمين ووفودهم، وشاهد خصمه في ثلة من ذويه، واكتظ المجلس بالرجال، وكان «الوافي» منزوياً في طرف المجلس لايدل مظهره علي نجح دفاعه، فإلى جانب وحدته في القدوم كان يرتدي اسمالاً بالية، ولكن «تحت العباءة رجل».

لم يعرف الرجل خصمه فتساءل : هل جاء «الوافي» يا «القرف»؟ وقبل ان يجيب القرف نهض «الوافي» وقال : الوافي ارسل مريسيل عنه.

قال القرف : عساه انت؟ قال الوافي : نعم. قال القرف : خير.

تقدم الحضور إلى مائدة الغداء، ثم عقدت الجلسة، وتقدم الرجل قائلاً : «ادّعى عندك ياقرف، اني حربي ماش في الحربية، واعتدي علي الوافي وضربني وسلب سلاحي، أقول إني ما زليت وبالله اهتديت».

قال الوافي : «ياقرف أجيب والله المشيب، في ديرتي اللي انشايه فيها مخبية، ويندقي مرمية، الثمر فيها بنود والنحل فيها جنود اقول ان ما يتعرضها هايم الأصل».

قال القرف للرجل : «هل نبّيت عن نفسك» أي هل عرفت بنفسك؟

قال : لا

قال القرف : خذ انذارك ليس لك غيره عندي.

أخذ الرجل انذاره وهو دعواه أو الحكم فيها حيث سجلت القضية لصالح «الوافي». فالتعريف بالنفس في تلك الأيام الخوالي منجاة للرجل ودفع للشرور.

قانون الفقرة

«الفقرة» منطقة جبلية من أعلا قمم جبال السروات إذ يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٢٠٠٠م تقريباً وهي تقع بين «المدينة المنورة» و«ينبع» ويسكنها الاحامدة «من قبيلة حرب»، و«الفقرة» قمم عليها مسطحات زراعية، عرفت في الماضي بـ «الأشعر»، وانشأ الأجداد علي هذه المسطحات حقولاً زراعية تعتمد في ريها على المطر، يزرع فيها القمح وأشهر انواعه «الزرعية» و«السندية»، ولجودة التربة وعدم استهلاكها في الزراعة، ولتعرضها للشمس وحرثها السنوي فإنها تجود بانتاج اعلا انواع القمح جودة، كما يغرس في «الفقرة» النخل الذي يعمر كثيراً ويثمر مرتين فأكثر سنوياً، وعلى المنحدرات والصخور تنتشر خلايا النحل التي تنتج أجود أنواع العسل وذلك لوفرة الزهور البرية وتنوعها، أما الحقول فإنها تنتظم كانتظام الفقرات في الانسان، وفي مواسم المطر يتبع نظام تصريف للماء الزائد عن حاجة الزراعة بشق قنوات تتوسط الحقول تتجمع فيها المياه في طريقها إلي التصريف عبر «مصارف» تنفذ إلي سلسلة الحقول المنتظمة. وبما ان القمح يجود في الأجزاء الطينية من الحقول فإنهم يزرعون الشعير في الأجزاء التي يمتزج فيها الطين بالبطحاء والرمل وتكون في مقدمة الحقول.

وعلى جنبات هذه الحقول انشئت منازل ذات نظام فريد، حيث توجد غرف ظاهرية ينفذ من داخلا إلى غرف شقت في الجبل تسمى «مردومة» وهي بمثابة مستودع للثمار والحبوب تظل درجة حرارته منخفضة طوال العام فلا يتلف محتواه، حتى ان مدخل «المردومة» هذه ضيق جداً ويصعب فتح بابها لأنه يفتح بطريقة سرية لا يعرفها غير من عرفوا الرمز الخاص بالمفتاح، وهو على نظام «الضبة والمفتاح» وكلاهما من الخشب. وحين تفرغ «المردومة» من محتواها يقوم صاحبها بجلب أنواع من النباتات الحارقة كالفلفل فتلقى في «المردومة» فترة طويلة حتى تفقد رائحتها النفاذة، وذلك لطرد الحشرات التي قد تتسرب إلي «المردومة» مثل العقارب والصراصير والفيران والأفاعي، ثم يجرى تنظيف «المردومة» من النبات والحشرات الميتة تمهيداً للتخزين.

ولأن درجة الحرارة تنخفض صيفاً وتزداد انخفاضاً شتاء فإن الناس لا يرتادون «الفقرة» إلا في فصل الربيع للزراعة وفصل الصيف للهروب من حرارة الجو في الأودية ولحصاد الحبوب، أما في فصل الخريف فيتم جني الثمار من النخيل.

أما المزارعون فإنهم يأتون إلى «الفقرة» في مواسم تلقيح النخل وحراثة الأرض ونحوها ولا يبقون بها كثيراً لشدة البرودة.

ولخصوبة هذه البقعة حماها أهلها منذ القدم عن الرعي، ووضعوا لها نظام حماية فريد، والتزموا بتطبيقه التزاماً صارماً لما فيه من حماية للحياة الفطرية التي تنعكس آثار المحافظة عليها لتحقق للناس منافع عديدة، واعد لهذا النظام وثيقة موقعة من رؤساء القبائل، ولها أمين يبرزها عند الحاجة إلى الرجوع لأحد بنودها.

ومن بنود هذه الوثيقة فقرة تبين الفترة الزمنية التي تكون فيها الحماية، إذ ان مبررات الحماية تنتفي في بعض فصول السنة لعدم الحاجة إليها ومحتوى هذا البند يشير إلى ان حمى الفقرة يبدأ من زراعتها وينتهي بحصادها، ويعني ذلك ان فترة الحمى تبدأ من القاء المحراث أي انتهاد موسم بذر الحبوب، وتنتهي عند الحصاد، أي عندما تدق السنابل لعزل الحبوب عن التبن.

وعندما يلقى المحراث يغادر المزارعون «الفقرة» ولا يعودون إليها قبل موسم الحصاد، وتستثنى عودة الطوارىء كحدوث أمطار جارفة تستدعي حضور المزارعين لاصلاح الاضرار، أو حاجة النخل إلى اللقاح والزرع إلي العناية، ومن وجدت في مزرعته دابة من غنم أو مواشي غير مربوطة أثناء فترة الحمى فإنه يعرضها للذبح من قبل أي مزارع آخر، مهما كان صاحبها حاضراً، وسواء كانت في حقله أو في سواه، وليس له الحق في المطالبة بعوض.

ولما كانت الحقول عبارة عن مدرجات تنتظم بين سفحي جبلين فمن القوانين ايضاً ان «الحقل الواحد يحمى سبعة حقول أعلاه وسبعة أخرى أسفل منه» وهذا النص احترازي حيث ان بعض الحقول تبكر في النضج فيبكر في حصادها،

وبعضها الآخر يتأخر نضجه فيؤخر حصاده، وتحقيقاً لحماية الحقول المتأخر موعد حصادها وجد هذا النص.

وفي عام ١٣٠١هـ الذي يسميه الأحامدة «زمان مصبّح» ذلك ان مطراً شديداً أصاب «الفقرة» صباحاً، دمر سيله العارم كثيراً من الدور والحقول، ونظمت فيه قصائد ومقطوعات شعرية كثيرة، منها الأبيات الحربية التالية :

يا ليت هُو يالدار يوم انه بدالك — وهو حَريب الجد يُنْطَحْ بالحديد «١»
نفوز لك باللى حضر لك من رجالك — ونرسل مصيّح للقريّب والبعيد «٢»
لكن جاك اللى مصدق من خيالك — شال الجسور وشال سُبّق الجريد «٣»

و«الفقرة»، هذه الارض المرتفعة مكان اعتزاز للاحامدة، ليس لخصوبتها وجوها الجميل ومناظرها الطبيعية فحسب، وانما لمناعتها وحصانتها، والشاعر هنا يتمنى ان لو كان السيل العارم المدمر محارباً يمكن مقارعته بالسلاح وبمن حضر من الرجال واستدعاء الآخرين، ولكنه قادم لا يقدر على رده بشر.

* * * *

أما عن المنعة والحصانة، فإن ارتفاعها ٢٠٠٠م عن سطح البحر ووعورة طرق الصعود إليها وجسارة رجالها جعل وصول الغرباء إليها مستحيلاً، مما دعا الدولة العثمانية ان تبني قلعة في «المسيجيد» علي بعد ثلاثين ميلاً من الفقرة لتهديد «الأحامدة»، كان ذلك حوالي عام ١٢٥٤هـ فما كان من شاعرهم إلا ان يقلل من أهمية هذه القلعة ويفاخر بمنعة الفقرة قائلاً :

قولوا لعبد المطلب ولد الحسين — ماهاضنا جَمْعُه ولا جمع وراه «٤»
انتم قَلعكُم طين تَبْنيه اليدين — وحنا قَلعنا ضِلْع بانيه الاله

ويجاور «الفقرة» من الغرب مجموعة من الجبال الشاهقة لعل «العناقين» اعلاها وفيه يقول كثير عزة :

---

١ – حريب الجد : عدو الاجداد ومحاربهم. ٢ – مصيح : منادي للنجدة.
٣ – سبق الجريد : جريد النخل المتسابق في الارتفاع نتيجة الخصوبة.
٤ – هاضنا : أخافنا. جمع وراه : العثمانيون. عبد المطلب : أحد اشراف مكة المكرمة.

قـوارض حـضنى بطن «ينبع» غـدوة   قـواصـد شـرقي «العناقين» عـيـرها

وفي هذه السلسلة من الجبال تقوم بعض الحقول ذات النخل التي يصعب الوصول إليها لوعورة الجبال وكثرة الخشاش والهوام والسباع، وكانت المنافسة على أشدها بين فرعي بني سالم من حرب «ميمون» و«المراوحة» وبخاصة «الاحامدة» و«الحوازم»، وكانت «ثامرة» من امنع الحقول في هذه الجبال، فبلغ من تحدي «الحوازم» ان قال شاعرهم :

والله مـا تبـرى جـروحي واتهنا   حـتى اتعـلا «ثامـرة» واشب نار

وأجابة شاعر «الاحامدة» قائلا :

صـعـبـة مـراقي «ثامـرة» ياللى تمنى   من دونها صـبـيـان يسقـونك مـرار

كان هذا في الماضي أما اليوم فقد أصبحت الفقرة مصيفا لكل من قصدها من أبناء البلاد وغيرهم وقام أهلها ببناء الاستراحات والدور الصيفية واصبحت السيارات تتسلق الجبال مثلما كانت الوعول تتسلقها من قبل حيث مدت الطرق المعبدة والمسفلتة واضاء كل مصطاف منتحاه بالكهرباء.

* * * *

وبتلك النواحي الشاعرية مرَّ منذ أكثر من قرن الشاعر درويش الأحمدي بواد معشب، فإذا النسيم ينقل إليه صوتاً شجياً يردد البيت التالي :

أمّـا طَرَقْت القـدَمْ من يمّكم والأ تعـدّيت

والأ تلاحـقت بأهل الزين يا القلب الغـرامي

فأثار ذلك الشاعر فقال :

ونّيـت ونّـة عـلي ونّـة عـلى ونـة وهـلّـيت

ونات ظبي رمـاه الظُفْـر بالصَّبْ الحـيـام

واكثـرت انا بالونين من المفارق واستلجّيت

عليك يا ابو خديد اسيَف يضوى في الظلام

لا وابي الأ مـريح البـال وانا اللى تعنّيت

عـسى بعـيـر نحـاني عنك يبلي بالهـيـام

الباب الثالث

من أخبار الشعراء

لن يجد القارىء في هذا الباب تراجم للشعراء الذين وردت أخبارهم فيه، وإنما سيقف على بعض الشوارد من أخبار هؤلاء الشعراء، التي رواها «ابن قابل»، وربما وردت أخبار بعضهم في الباب الأول والثاني لمناسبة موضوعها.



ابن سنيان والزريد

يجتمع الاحمدي والسريحي في ميمون من بني سالم من حرب، وديارهما فيما بين المدينة المنورة وينبع، وكان راشد بن سنيان الأحمدي شاعراً ذائع الصيت ومثله الشاعر الزريد وكانت بينهما مساجلات شعرية بالمراسلة ولم يجتمعا قط.

وذات مرة رأى «الزريد» ان يبيع أرضاً فيها نخل ونحل ويشتري بثمنها ابلاً يستفيد منها بتأجيرها في النقل وفي مواسم الحج، وتم له ذلك فاشترى أربعة من الابل وتوجه بها إلى ينبع منشداً :

بِعْتَ الجَمَاد اللي وفُوقُه كثيرة ... به سَبْع نقْمات وان اسنَنْ شَدَّن «١»

بَارْبعْ سواحل رتْبَنْ في القطيرة ... يقْفنْ بالخيرات وياما بها جَنْ «٢»

وعندما وصل إلى «ينبع» حصل على عرض من الحكومة العثمانية يتمثل في نقل معدات من مكان إلى آخر، وفرح «الزريد» لهذا العرض الحكومي، إلا ان خلافاً حدث بينه وبين الجند بسبب ثقل الاحمال ادى إلى ضربه وارغامه على النقل، وبلغت هذه القصة «ابن سنيان» فقال :

أخْيَر منها عشْقتي في عميرة ... لا مال فَيْ العصر جَمْخُورَهْن دن «٣»

ومراقَدْ اللي طُول باعي جميْره ... ونهرد صينيات ما قَطْ لمسَّنَ «٤»

ما دام ابوها كل رأى يديره ... واخوانها زَبْن المهمات لا جن

احسن من اللي رتبن في القطيرة ... ملطوم بالكرباج لو مالها قَنْ «٥»

* * * *

١ - الجماد : الأرض. وفوقه : صروقه ومشاكله وقال وفوقه تفاؤلاً. اسنن : اجدبن. شدن : انتقلن ورحلن ويعني النحل الذي لا يالف ارضاً ليس بها زهور.

٢ - سواحل : ابل. القطيرة : الابل في سيرها مقطورة (بعضها يشد بحبل إلى الآخر). يقفن : يذهبن. جن : عدن كناية عن نقلها الارزاق وعودتها السريعة بأخرى.

٣ - اخير : احسن وافضل. عميرة : خلية نحل معمورة. في : ظلال. جمخورهن : نوع من النحل تسمع لحونه عند المساء. دن : من الدندنة وهو صوت الجمخور.

٤ - مراقد : مضاجع. باع : المسافة بين اطراف اصابع اليد واليد الأخرى ممدودتين كلا في اتجاهها. جميره : ظفيرته.

٥ - قن : قانون يوجب الضرب واللطم.

ثم أحب «ابن سنيان» لقاء صديقه «الزريد» والتعرف عليه فتوجه من «شعثاء»، احدى قرى «ينبع النخل» إلى وادى «إلي» حيث يقيم «الزريد» الصديقان في منتصف الطريق دون ان يعرف أحدهما الآخر، وبعد السلام جرى بينهما الحوار التالي:

ابن سنيان: تسألني قادم من «شعثاء.

وقاصد «الزريد» للزيارة.

الزريد – أما أنا فمن «مدسوس» ومتوجه لزيارة «الزريد».

فقال: هل نستريح في ظل هذه الشجرة، ونتبادل الأخبار؟ فوافق «ابن سنيان»، ومالا إلى ظلال شجرة وارفة واستعان «الزريد» بعصاه عند الجلوس وقال:

من لا عنى له حزّة الشيب مركوع ... مطوعاً له ليّنات مقاسيه «١»
أحلا من الحالي على لذعة الجوع ... أمرّ من الحنظل على من يعاديه

قال «ابن سنيان» مكملاً:

عطيّة المولى من اللى لها نسوع ... لا دام ملحك من شفا الحيد جانيه «٢»
والا ترى بعض المجاني كما القوع ... مثل الخلا ما يوحي اللى يناديه «٣»

قال «الزريد»: انت ابن سنيان؟

قال ابن سنيان: انت الزريد؟

وتعارفا وتوجها إلى منزل الزريد لتحقيق الزيارة.

وبالمناسبة فإن «الزريد» هو الذي يقول متغزلاً:

واقلبي اللى في مكاني نسيته ... بين الغدير ومن ورا الضلع ابو في
عوّدت له من حزّتي ما لقيته ... واقلبي اللى ضاع مني وانا حي
كلّه سبايب ظبي طفته واريته ... واقف على المورد ويشرب من المي
ياليت حلّ النهب فيهن يا ليته ... أشبلها واروح بها نية الي
احطها في بيت تويٍ بنيته ... وبمسلبات الروم نلوي لهم لي

---

١ – عنى: أعد. حزة: أيام. الشيب: الكبر. مركوع: عصا يتوكأ عليها وتسنده (كناية عن الولد). مطوعاً: مذللاً وميسراً له مرحلة اوهن العمر.

٢ – نسوع: ضفاير. ملحك: كناية عن الزوجة. الحيد: الجبل. الشفا: القمة.

٣ – القوع: القاع الذي تأسن فيه المياه فلا ينبت. يوحي: يسمع.

وهو الذي يقول :

لا واسعَيْد المزن سيره سريع ... لا واسعَيْد المزن ما اسرع مطاياه
ضحى خرج من ديار نجيع ... وعصير يسقى دار جالى ثناياه
ابو خديد مشل بارق هزيع ... ابو مبيسم والحلا في شفاياه

وابن سنيان هو الذي يقول في النحل :

انا عشقتي في دارنا خود في الخلا ... في القُنَّة اللى نايفة عن قذالها
تقية عن الغربي غبية عن الصبا ... سهيل اليماني لا طلع ما بدالها «١»
مراقب لها من دارنا المرقب العلا ... الاخوين اللى حايلة عن جبالها
لها عندنا حشمة وميزة من الغلا ... عن البدوة اللى فنها في حلالها

ويقول أيضاً :

ثلاث بعالي عذقة قد عشقتهن ... هن متعبة ومشاجية وعذاب «٢»
ثلاث في الأوصاف ما كان مثلهن ... إذا دندن النو السعيد وصاب «٣»
يعطن في الحومات إلى خشم عدمر ... إلى عقلة خضرا في كل جناب «٤»
والله لا وقفهن عن البيع والشرا ... واستطر عليهن حجة وكتاب «٥»
أنا خايف اللى شال اهلنا يشيلهن ... وياتي لهن والي قليل حساب «٦»



١ - تقية : متوارية خلف وقاية عن رياح الغرب. غبية : خفية متوارية عن رياح الشرق.

٢ - عذقة : أرض مملوكة متميزة في نوعها تستخدم للزراعة والنحالة.
متعبة، مشاجية، عذاب : أسماء لخلايا نحل واختير لها هذه الأسماء لصعوبة الوصول إليها وشراسة نحلها لمن لا يجيد التعامل معه.

٣ - دندن : أرعد. النو : المطر. صاب : هطل.

٤ - يعطن : ذهابا للبحث عن الأزهار. الحومات : الجولات. خشم : طرف. عدمر : اسم جبل في ديار بني محمد من قبيلة حرب، وهذا كناية عن نشاط هذا النحل وجودة عسله. عقلة : شجرة المرخ فهي دائمة الخضرة غزيرة الرحيق. جناب : جانب ومهمة.

٥ - أوقفهن : أجعلهن وقفا منعاً لهن من البيع. أستطر : أسطر. حجة : صك ووثيقة شرعية. كتاب : عهد.

٦ - خايف : أخشى وأخاف ان الموت الذي نال أهلنا ينالهن. والي : مالك أوعامل.

مـرشـد بـن راشـد الأحـمـدي

عاش الشاعر مرشد بن راشد بن عويمر الأحمدي بين أواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الهجري كما يظهر من الأبيات التي سنوردها فيما بعد، ويبدو من هذه الأبيات انه شاعر رقيق واجتماعي ظريف، يصطاد المواقف الاجتماعية ويجسدها في أبيات طريفة، يطفىء بها لذعات الأيام وشدة الأحداث، ومن ذلك انه تزوج من امرأة متقدمة في السن، وعندما اقبل ذات يوم، واقترب من بيته سمع أحاديث نساء وضحكا داخل البيت، فانصت مليا فإذا واحدة منهن تسأل زوجه عن حظها ونصيبها وكيف هو زوجها، فقالت : زين لكنع صعفاقة، فقال :

يا عَذْب صون البَخْتْ ياشين ما حنّا صعافيق	جعْل الصعافيق ينقل سرْبها طش الشنان «١»
والضيق لولاه يا مجمولْ رزّنا شَيْ ما طِيق	الضيق لولاه يا مجمول بيُحنا المحاني «٢»
ولولاه كان النشامى ما تعاطَوْا بالمرازيق	ولا اغْتَروا في امهات حَبْيل والصب الحياني «٣»

وكان للشاعر صهر آخر يدعى «مرزوق»، عقد معه موعداً فأخلف فقال الشاعر :

ياناس من هو نهار اليوم شاف الظَفْر «مرزوق»	الناشي اللي على الميعاد ما حصَّل خويَّه «٤»
ما أدْرِيْ هَوه ما شَقي والا مسنْدِيم اهل فَوْق	والا هَوّه من طروق الوقت ماضي له قضية «٥»
والا هوه والجمل من مَفْرَح «ام قويز» مسروق	ويقول هذي سبايب منزلي في العامرية «٦»

١ - البخت : الحظ. صعافيق : جمع صعفوق والصعفاقة العجل المتسرع من الرجال. طش : رمى.

٢ - مجمول : جميل. رزنا : حاولنا عمل. طيق : قدر واستطيع على فعله.
بيحنا : أبحنا. المحاني : المحامي الأثيرة إلى النفس.

٣ - النشامى : الرجال اولو القوة والاقدام والمبادرة لفعل الأعمال النبيلة.
تعاطوا : تبادلوا. المرازيق : نوع من البنادق. امهات حبيل : البناق ذات الفتيل.
الصب : الرصاص في الذخيرة. الحياني : المميت في الحال أو الحين. اغتروا : افتخروا واعتمدوا.

٤ - الظفر : الظافر والمظفر بكسب الامداح. خويه : صاحبه ورفيقه.

٥ - مسند : صاعد من الصعود إلي الأماكن المرتفعة الأكثر ارتفاعاً. طروق : أحداث.

٦ - ام قويز : ثنية أو ريع إنخفاض في متن الجبل. العامرية : شعب ومكان. سبايب : أسباب.

ولئن اتهم الشاعر صهره بعدم الاهتمام مرة فإنه التمس له العديد من الأعذار، فحينا يزكيه عن اخلاف المواعيد، وحينا يحتمل طلوعه إلى أعلا الوادي لأداء واجب، وحينا يتوقع حدوث مشكلة، أو انه تعرض وجمله للنهب من صعاليك تكرر منهم الاعتداء على الذين يمرون بثنية «أم قويز» الواقعة بين منازل الشاعر ومنازل صهره في «العامرية».

* * * *

وتوجه الشاعر مرة إلى «ينبع» لقضاء بعض أيام الصيف هناك وشراء مؤونة الشتاء من التمر، وأكثرهم يشتري التمر في نخله، وقبل موسم الجني، أي عندما يكون بلحاً بسرا أو زهواً أو رطباً، وحتى إذا ما صار تمراً عهد إلى من يجمعه ويحشوه في سلال من سعف النخل، أو في شنان من جلد الماعز مما كان يستخدم قرباً أو يحشوه في صفائح معدنية.

على أية حال، عاد الشاعر إلى حيه بعد رحلة لم تكن طويلة، وتفقد الأغنام فلم يجد الجدي الابرق الذي طالما حنت نفس الشاعر إلى لحمه، وعندما سأل زوجته عن الجدي، اجابته : لقد أكله الذئب.

والشاعر يعلم ان الذئب هذا لم يكن غير زوج ابنته «مسعود بن سعيد» الذي خلف الشاعر إلى الحي فذبح الجدي تكريما له، لا سيما وانه محظي لدى ام زوجته، زوجة الشاعر الذي قال معزياً نفسه في الجدي :

واتيسي اللى حضرت وراح بعدي عند مسعود	واللى غدا بين مسعودين ما فيه العقيلة «١»
ما حام طيره ولا ظَنّي دَرَى به دابي الدود	«حمدان» يا ابو «محمد» دلّني كيف الوسيلة «٢»
والله ما بَدلَواْ لي باربعة لا قَشَر العُود	واعْدِي عليهم كما تَعْدى على القوم القبيلة «٣»

وقام «حمدان» بتسوية الأمر والاقناع بتسمية أربعة من التيوس لصالح الشاعر.

---

١ - حضرت : توجهة إلى الحضر. غدا : ذهب. العقيلة : الحصول عليه. ٢ - حمدان : جارهم. الحيلة : الحيلة.
٣ - أقشر العود : أكشف العدوان واستعيد حقوقي بالقوة.

وفي فصل الربيع حيث تهطل الأمطار، ويعتدل الجو، وتعود الحياة إلى نضارتها، يقوم المزارعون بتفقد املاكهم واصلاحها واعدادها لهذا الموسم النضير، وكان الأخوة وأبناؤهم يبقون على وحدة املاكهم ويتعاونون على رعايتها، وذلك تعبيراً عن الترابط والتضامن الأسري الذي تحرص الأسر على سيادته، ولقد حدث ذات مرة في هذا الفصل ان عهد الشاعر «راشد الحساني» وهو عميد اسرة كبيرة تتألف من أبناء عمومة واخوة واحفاد، فعهد إلى اثنين من شباب الأسرة هما «فهد» و«محمد» للقيام بتفقد المناحل لاصلاحها والاطمئنان على وجود نحل بها، حيث ان كثيراً من خلايا النحل تفقد نحلها في موسم الصيف بسبب الجفاف.

وغادر الفتيان الحي مبكرين، وتفقدا المناحل ووجدا في احداها «الحشية» «١» نحلا ظنوه «كيذبان» «٢»، فاشعلوا نارا للتدخين عليه وطرده من الخلية، وعندما غادرها تبين لهما انه نحل فندما على فعلتهما.

ولما كانت النحالة هواية ومهنة لدى سكان المناطق الجبلية فانهم يدربون أبناءهم على مزاولتها ويعاب على من لا يتقن ذلك، لذا عاد الشابان يتجرعان مرارة الخطأ ويهيئان نفسيهما لسماع اللوم والتأنيب من عميد الأسرة، ولكنه استمع إلى حديثهما متعاطفاً مع صغر سن «محمد» وقلة خبرة «فهد» وربما حمل نفسه مسؤولية عدم تدريبهما فتغاضا عن الخطأ. ولكنه طلب منهما عدم اشاعة الخبر وبخاصة الشاعر «مرشد بن عويمر الأحمدي» فإنه لو بلغه الخبر فإنه لن يدع هذه الحادثة تمر دون ان يتعرض لها في شعره.

وما هي إلا أيام ويتسرب الخبر إلي الشاعر وينشيء القصيدة التالية:

---

١ - الحشية: اسم الخلية. وربما ن موقعها في «حشاة» وهو عرق في الجبل يستدلون به على المياه الجوفية، حيث يتتبعون مساره حتى يصل مسيل الوادي وهناك يحفرون آبارهم، ولون الحشاة هذه جيري وطبيعتها هشة، وربما ناتج عن ضعف في القشرة الأرضية للجبل فتصاعد منه بخار الماء فبرز هذا العرق مختلفاً عن سائر أجزاء الجبل.

٢ - الكيذبان: حشرة تشبه النحل ولكنها اصغر منه حجما وأدكن لونا.

ظلّيتْ اكنْ الصبر ظليت اكنه عشرة ايام ... واقرِّع القلب يا حسان تقريع الظوامي «١»

من مرْدَحة في الغبا مسْباق في عسرات الايام ... صيبات الأمطار قبل النُفض من زين المحامي «٢»

جَوْها محمد وابن عمه كما جيّة زوْيان ... قبّاض الارواح ملك الموت فرْاق الليام «٣»

جاها فهد يرْتمعْ في برج ما هو برْج الاسلام ... وتقول وقْدْ على النار من عود البشام «٤»

ابو رجا للعرب يمّه وبيّه غير إمام ... في الناس يعمل إمام وبي على غير الامام «٥»

عام الثلاثة عشر يا اهل الكتب خطوا بالاقلام ... خطوا بالاقلام ما سوى الفقيه من العلام «٦»

ياليتهم ما يعدوُن العدد في اولاد حسان ... يحرم عليهم مع الاسلاف قولْة ذا حساني

* * * *

ويذكر ان الشاعر في صباه تزوج من فتاة جميلة وحيية إلا أنها صلفة، والصلف من طباع البدويات، وكانت تقوم بشؤون الشاعر والمنزل خير قيام، غير انها لاتشارك زوجها فراش الزوجية، وكانت إذا ما دنا الليل وأقبل الشاعر عائداً من مجلس الحي وجد فراشاً معداً وشاهد امرأة تغادر المكان لتمضي الليل بين الأغنام.

لم يكن الرجل متعجلاً، فهو يعرف ان ذلك مرده إلى الحياء والخجل، وان الألفة والأيام القادمة كفيلة بتحقيق السكن والاطمئنان.

استمرت هذه الحال شهوراً والرجل يبتدع الحيل لمعالجة هذه الحالة إلا ان كل جهوده لم تحقق خطوة نحو النجاح، ولم يلاحظ ذوو الزوجين ما يستدعي

---

١ - ظليت : مكثت. أكن : أخفي. اقرع : امنع وأذود. الظوامي : من الابل والمواشي تمنع عن موارد الماء. وذلك انه في أيام القيظ تورد المواشي إلى الماء زرافات تحاشياً للازدحام والاختلاط.

٢ - مردحه : خلية نحل. الغبا : المكان المستور من الرياح والشمس والمطر والناس. مسباق : تسبق المناحل الأخرى جذباً للنحل وانتاجاً للعسل. قيناتها : نحلها. انطار : نوادر. النفض : مادة توضع في الخلية لها رائحة تجذب النحل العابر فإن كانت خالية من النحل لجأ إليها واقام بها. المحامي : مواقع في الجبال تحمي من الرعي فينمو نباتها وتكثر أزهارها.

٣ - زويان : ملك الموت سمي كذلك لأنه لا يرى وهو يقبض الأرواح.

٤ - يرتّمع : يسرع في المشي خطو عشواء. برج : حالة.

٥ - يمه : إمام فهو إمام الحي في الصلاة.

٦ - الثلاثة عشر : ١٢١٣هـ العلام : العمل المعلوم.

التساؤل أو التدخل فكل الأمور تسير على ما يرام ما عدا مشكلة الفراش وهي من الأمور الخاصة التي لا يعلم بها غير الزوجين.

ومن محاولات الشاعر لاذابة جسر الجليد الذي يفصله عن زوجه، انه استضاف رجلاً، وأثناء اعداد القرى انتزع كلية من الخروف والقاها في النار، وخرج يقدم علفاً لناقة الضيف، وعندما عاد تظاهر بفقدان الكلية، وكانت الزوجة توقد النار وتقوم باعداد العشاء، فاتهمها بأكل الكلية علها ان تدافع عن نفسها أو تتلكم، فهو لم يسمع صوتها منذ ان اقترن بها حتى ساعته، ولكن الفتاة صامدة في صمتها، متوارية وراء خمارها، فقال :

واكلوتي حطَيْتِهـا في النار   واعْطَيْت زام وجيت باغيها «١»
أعْطَيْت لي يم الضُرمْ مغوار   خمْنى حسين اللَّوْن طاويها «٢»

ولم تنبس الفتاة ببنت شفة، فاستخرج الكلية واكلها وانصرف إلى شؤونه.

وظل يحاول الفتاة سنة ولم يفلح، وذات ليلة عاد إلى البيت مغضباً من أبيه، وعند اقترابه من البيت. رأى امرأة تهم بالخروج كعادتها كل ليلة فاستوقفها وقال

ياجوخة علّق عراها بالازرار   ألْفين فيها سَلْم ما هي خسارة «٣»
حريرها ما قط اريْتَه في الاقطار   كمان من سَلْم الذهب فيه اشارة «٤»
أبغيك لا ماجيت حاير ومحتار   تَجْلَين عن قلبي لهود الحرارة «٥»

لانت الفتاة واستجابت لطلبه، ونسى غضبه وباشر فرحته، إلا ان حالة نفسية عصفت به، وحالت دون اكمال فرحته بهذا الرضا والاستسلام لرغبته. فقرر السفر إلى «ينبع» لعرض مشكلته على رجل يدعى «ابن خمسان» يعالج مثل هذه الحالة النفسية بالتلاوة والرقي.

---

١ - زام : مشوار. باغيها : أريدها.
٢ - الضرم : نبات تعلف منه الابل. يم : صوب. مغوار : مشوار سريع. خمنى : من التخمين والظن. حسين الوجه : الفتاة الجميلة (زوجة). طاويها : آخذها.
٣ - جوخة : نوع من القماش الغالي.
٤ - اريته : رأيته. كمان : أيضاً. سلم الذهب : خيوط حريرية وذهبية.
٥ - أبغيك : اريدك. لاما : إذا ما. تجلين : تذهبين. لهود : حرقة.

* لم ينم الشاعر ليلته فما ان اشرقت شمس اليوم التالي حتى بلغ «ابن خمسان» ورقاه واعطاه رقية لزوجه، وما ان غابت شمس ذلك اليوم حتى عاد إلى حيه يحمل الهدايا ابتهاجاً بصلاح الأمر، وأمضى الزوجان ليلتهما في سعادة غامرة صورها الشاعر في أبيات منها :

لَيْه كتيِّب فوق صدر الحبيِّب	ملجْ بي والبارح اللى لقيته «١»
ياليلة في العمر والكل طيب	ياليلة بتنا معه في مبيته

ومرت أيام لاتفارق السعادة كلا منهما حتى أذن موسم الحج، فتوجه الشاعر إلى مكة حاجاً ومتوسماً، ومر الموسم بطيئاً، ذلك ان فؤاده معلق بزوجه، فهي لا تغيب عن ذهنه، وعندما افاض الناس إلى مكة تطلع الرجل ورفاقه إلى تأجير ابلهم إلى «جدة» أو «المدينة المنورة» ولكن حصولهم على ذلك طال فقال الشاعر :

كلّ لبس لبسه وطَبقّ حرامه	ياسوق «جَرْوَل» ندْرجْ فيك لاوَيْن «٢»
يارب كمِّل حجَّنا بالسلامة	وتْلِم بـ«محمد مع «سلَيْم» و«حسين»

والواقع انه لا يعني اخوته الثلاثة محمد وسليم وحسان وإنما يعني هواه «زوجه»

* * * *

وما هي إلا أيام ويعود الشاعر إلى حبه، يحمله الشوق إليه كما يحمل الهدايا إلى زوجه، ولكت سعادته لم تتم فقد أخبر عند وصوله الحسي ان زوجه مرضت وماتت، ترى ! هل أصابتها علة؟ أم انه الشوق إليه؟

وذهب إلي قبرها باكياً، وتكرر ذهابه إلى القبر واقامته بجواره ينتحب ويردد الاشعار ، ويأتي إليه اخوته يؤنبونه، ويذكرونه بأن ذلك لا جوز شرعاً، ولا يليق به، فما يزيده ذلك إلا لوعة ونحيباً، ومن مراثيه قوله :

---

١ – ملج : مكثر من التردد على ذاكرتي.

٢ – ندرج : نتجول. لاوين : إلى متى.



«حسان» يا ريد الغزال الحييه   باريد من جعده على المَنْ منسوف «١»
تلومني ياخوي وتاخذ عليّه   تلومني ياخوي ما كنْك تشوف «٢»
أمسبت مثل اللى مضيّع خويّة   وامسى عليّه الليل في ديرة الخوف

* * * *

وقال أيضاً :

واونتي قدّام لا تذرّف العين   قدام فيْ العصر يَغْشى مسيله «٣»
العام مثل اليوم كنّا وليفين   واليوم كل طَشّته في دبيله
وقلنا لبقعا : بالعطا كيف تسخين   هذا بعد منْ العطا يا بخيله «٤»
قالت : نسَمْ روحي عليكم هُبوبين   هذيك فيها الزرع وهذي محيله «٥»

* * * *

وقال أيضاً :

قال الغليّم حث بالقلب طاريه   ممسّي عليّه الليل كنّه حزين «٦»
لاهي وما عنده ملهّي يلهّيه   يْطرنْ عليه مضويات الجبين «٧»
وبادي على غيب لنا مغتري فيه   عشقات فيه من النّحل له رنين «٨»
اللى من الجدان واللى باياديه   عشقات ليه في الغبا مردحين «٩»
ولابد من يوم انتحى عنه ما اجيه   يخلي مثل ما اخلا من الاولين
ويا العين هلّي كاير الدمع هلّيه   هليه علّك للبكا تقدرين «١٠»
وادرىْ على اللى ما ندرْ من مكاليه   وخلّك على حكمه من الصابرين «١١»
وياليت ما مكتوب لي عصر اقريه   واشوف في المِعزاب كم يحتريني «١٢»

---

١ - ريد : محل امل ورغبة ومراد. الحيية : من الحياء. جعده : ضفائره. المن : ملتقى الكتفين مع الرقبة. منسوف : متهدل.
٢ - ازري : تنتقد.   ٣ - في : ظل. مسيل : مجرى السيل.   ٤ - بقعا : الدنيا.
٥ - نسم : عطاء أي مثل الرياح التي تحمل المطر أحيانا والدمار أحياناً أخرى.
٦ - الغليم : الغلام. حث : طرأ وعاث. ٧ - لاهي : داله وسالي. يطرن : يخطون. مضويات الجبين : وذوات الجبين : المشرق.
٨ - بادي : مطل. غيب : مكان في الجبل لا تشرق عليه الشمس كثيراً (الغيب والضحيان). مغتري : مفتخر به ومؤمل فيه خير لصلاحة لتربية النحل. رنين : صوت النحل. عشقات : هوايات وهي حب النحالة.
٩ - الجدان : الجدود الاوائل. باياديه : من عمل يدي الشاعر. الغبا : المكان المختفي عن الأنظار. مردحين : بانين خلايا النحل من ردائح الحجارة.
١٠ - كاير الدمع : الدمع الذي لم يسل بعد.   ١١ - ادرى : حافظي. ندر : سال. مكاليه : غدد لجمعه.
١٢ - مكتوب : من عمر. المعزاب : الحياة الدنيا يشبهها الشاعر بالعزبة ولعزبة الاقامة المؤقتة. يحتريني : ينتظرني ويعني معرفة كم يبقى على قيد الحياة.

عبد الله الظاهري

يعد الشيخ عبد الله بن عبيد الظاهري من الرجال المعروفين بالشجاعة والكرم وعزة النفس والشهامة، إلى جانب انه شاعر مجيد، وبينه وبين (الراوية) صداقة عميقة الجذور، فقد كان الظاهري صديقاً لوالد (الراوية)، ويجمع بينهم الجوار إبان أيام الصيف، أما الديار فليست متباعدة و«الأحمدي» و«الظاهري» من بني سالم من حرب.

ولقد عاش «الظاهري» صبا رغيداً وشباباً ناضراً، حيث ان الحياة كانت مواتية بالرخاء والعطاء، غير انه في أواخر أيام حياته عضه الزمن بنابه، وألقت الحياة بكلكلها عليه، وهي حالة لم تكن مقصورة عليه أو على مجتمع دون آخر، وإنما كانت هذه الحياة القاسية من آثار الحرب العالمية وارتفاع الأمطار، والعارفون طبيعة الحياة يدركون انها دائبة التحول والتغير، وان الكيس من خاض غمارها بالسلاح الذي تواجه به الاجيال تقلبات الحياة، وأنى للظاهري ان يجد هذا السلام في ذلك الزمن الجسور الذي بسط نفوذه على مجتمع فسيح لم يعد غير الصبر يتدرع به الصابرون.

وأول ما واجه الظاهري من قسوة الحياة تضعضع احواله المادية بسبب ضعف الموارد الزراعية والرعوية، ولهذا وطأة ثقيلة على رجل جواد مضياف، وثاني ما واجهه التغير الاجتماعي وجسارته، واختلاف سلوك الجيل الجديد عما كان عليه جيل «الظاهري»، وأخيراً استسلامه لواقع الحياة، وكل هذه الاحداث محتملة الوقوع فتلك سنة الحياة، والمواجهة بين القديم والجديد حتمية الحدوث انه صراع الأجيال.

في ظل هذه الظروف عاش «الظاهري»، ولتجنب مغباتها كان لا يغشى المجالس التي تضم جلاساً من غير جيله تفادياً لما قد يحدث فيها مما لا يرتاح إليه، وتحاشياً لما تجره احاديثها من آراء متنافرة قد تؤدي إلى ما يضيق به صدره ويسبب له الاحراج.

وكان يأنس إلى مجلس صديقه قاسي بن قابل الأحمدي لما بينهما من صداقة وجوار، وقد حدث ذات ليلة ان حضر إلى مجلسه فلم يجد غير ابنه (الراوية) الذي قرب إليه الرطب وباشر اعداد القهوة، ولم يمهل «الظاهري» ما يضيق به صدره من معاناة ان ينتظر قدوم الصديق للاستئناس برأيه في أبيات أنشأها فقال:

والله ياعُمري نهار اليوم عفْتَك ... ما دام وكْر الصقر وقْع فيه بوم
أراك يا الواجب ولا كنّي عرفتك ... من ذلْ ما تَنْصاك يالحق اللزوم «١»

واقترح (الراوية) عليه تعديل جملة «وقع فيه بوم» إلى «متمنيه بوم» فأقره الشاعر على ذلك، ثم ان الراوية) أجابه قائلاً:

والله يا الحدّاي ماينلام مثلك ... الله يلوم اللى على مثلك يلوم «٢»
كُبْ الجزع والصبر لا يخطيه عقلك ... الخير ما داوم ولا الشُطّة تدوم «٣»

والمناسبة ان رجلاً من أهل الحاضرة تقدم لخطبة ابنه الظاهري، فاعتبر ذلك تجرؤاً عليه واهانة له، وانتهازاً لتضعضع احواله الاقتصادية، فتألم لهذا الحدث وانشأ تلك الأبيات.

وكان أهل البادية لايعدون اهل الحاضرة كفواً لهم، وهي نظرة متبادلة ولكن الحاضرة أقل حدة واكثر مرونة، و«الظاهري» ليس بدويا بالمعنى الدقيق لمصطلح بدوي، فهو من أهل الهجر الذين لا يرحلون منها لغير المصايف ومواطن الكلأ وهي لا تبعد عن هجرهم أكثر من عشرين ميلاً.

على أية حال، لم يكتب لهذه الخطبة نجاح، وها هي أيام الصيف تنقضي ويعود «الظاهري» إلي دياره ومجلسه الذي ندر ان يخلو من ضيف أو اجتماع يضم الاصدقاء وأبناء القبيلة، ولكن الحياة هناك لم يعد لها ذلك البريق المعهود، حيث بدأ الرجال يتسللون تباعاً نحو المدينة، وبدأت المجالس تنحسر نحو موقد القهوة، ولم يعد يشهد المجلس أكثر من نجين أو ثلاثة، فأنشأ الظاهري قائلاً:

---

١ - الحق اللزوم: الواجب. ٢ - الحداي: الشاعر نسبة لهذا اللون من الشعر والحداء وهو غير حداء الابل.
٣ - كب: اترك. الشطة: الشدة.

لا واوجـــودي عـلى جـــيـلي وجـــد الظوامى تهـــار الورد
وابـغـــاك يا ذياب تمضى لى أشـــوف لى جـــيل كله ولد

فاجابه الشاعر محمد بن احمد الحمادي :

جـــيلك فنى وانفنى جـــيلى والصـــبـر له أجـــر مـــا ينحـــد
أوصـــيك كـــثـر التـــهــاليل لو قـــالوا الناس يقـــرا ورد

* * * *

وأنشأ ذات مرة يقول :

حـاربني الهـاجـوس خـلاّني لحـالي أروح للمـــجلس ولا القى لي جليس
كنّي غـــريب الدار مـــقطوع الأهالي مـا اسـعّر الطيب ولا اعـرف النفـيس

هكذا يتضجر «الظاهري» من جسارة الزمن وتغيره، انها حالة لم يألفها الظاهري فقرر اللحاق بالركب.

* * * *

انتقل الشاعر إلى مكة المكرمة فوجد السابقين إليها قد انتظموا في العمل ما بين عامل وحارس ومراقب أو كاتب، وهو لا يقوى مهنة العامل ولا يحسن الكتابة فكانت الحراسة أنسب الأعمال إليه، وهكذا عين حارساً على «قراج» الوايتات» ومع ان هذه الوظيفة ليست شاقة وليست مهينة، وانما اختيرت له تقديراً لظروفه، ولكنه تألم ان يصبح شيخ القبيلة حارساً فقال :

اللى مضى يا الشيخ في ظهور النجايب واليـوم حـارس في قـراج الوايتـات
مـا احـد يهـرجني يقـول اليـوم شـايب فكّرت وليـا العمـر باقي له حيـاة

وقد اجابه (الراوية) قائلاً :

أيام يا الحـداي في حكمـهـا عـجـايب الصـبـر فـيـهـا من كـبـار الواجبـات
لا تذكـــر الماضي ولا تشكي النوايب رفّق على روحك وودّع يوم فـــات

وانتقل الظاهري إلى رحمة ربه عام ١٣٨٦هـ

* * * *

قاسم بن مرشد الاحمدي

شاعر مجيد وهو ابن الشاعر مرشد بن راشد الحساني، عاش في القرن الرابع عشر الهجري وتوفي عام ١٣٨٦هـ وتربطه و(الرواية) علاقة حميمة فإلى جانب المعاصرة والمنشأ والقبيلة تجمع بينهما الصداقة والشعر فقد جرت بينهما مراسلات ومناظرات شعرية كثيرة.

ومن المواقف التي جرت بينهما ان الراوية قدم من مكة وتوجه إلى منزل أبناء عمه، متخطياً منزل الشاعر الذي يقع في أول الحي، لم يكن (الراوية) متجاهلاً العلاقة التي تقوم بينهما، ولكنها مشاغل الحياة، وحزنه على والده وعميه الذين قضوا أجلهم في ذلك العام، وكان الأحرى بالراوية ان يطرق باب صديقه مسلماً ثم ينصرف إلى هدفه، ولكنه لم يذكر ذلك قبل تجاوزه المنزل، وعند التفاتته إلى حيث منزل «قاسم» رآه واقفاً يتابع خطواته، واصل (الراوية) مسيره، وعند العودة عرج على صديقه الذي ظل يترصد عودته مشعلاً «فتيل» العتاب قائلاً :

أبو سعد ليه يوم انه تعدّى اليوم مامر	ما قال ارد السلام، لقولة اهلاً ينظرون «١»
ما ادري هوه ماشقى والا معى جر الوجب جر	والا هوه من طررق الوقت طارقته شطون؟ «٢»

تعانق الرجلان ودخلا الدار وتناولا القهوة وتبادلا الاحاديث، ثم غادر (الراوية) الحي، وبعد أيام تلقى «قاسم» رسالة من (الراوية) تتضمن الرد التالي :

خط المثل يا قلم واكتب لمن خطه مسطر	من فرع قولى لحونه من حسينات اللحون
أبو مرشدٍ» لعله خاطره ما شاف منكر	أقره سلامي عداد الورش في روس الغصون
قل له : أريتم عليه في نهار القلب ما افكر	ما به شقا من شقا بقعا وبه كثر الغبون «٣»
أحيان مع مثلكم نضحك ونهرج ونتفكر	ونقول : ذي درب ممشية وحنا اللاحقون
واحيان مالي عقل كني خبل أمشي مطخطر	ماكن ليه اذن توحي ولا تنظر عيوني «٤»

١ - اها تندر واستنكار. ٢ - هوه : هو. شقى : اهتم. جر : لم يهتم. شطون : مشاغل. طروق : طرق.

وشهود بين القلوب اقول فيما بيننا اخبر ... ما يوجب بيننا يا الظفر في بعض الظنون «١»
واسال من يجري الارزاق وسط البحر والبر ... يعطيني الصبر وانتم جعلكم ما تنفدوني

* * * *

يقول (الراوية)، مشهد لا يغيب عن ذهني كلما رأيت أواني القهوة، انه ذلك اليوم الذي كنت و«قاسم» نحاول اشعال النار لاعداد القهوة.

فقد جمعنا سفر إلي «المدينة المنورة» وعندما بلغنا «الترعة» في «المضيق» من «وادي الصفراء» رأينا أخذ قسط من الراحة، وتركنا ذلولينا ترعيان في الوادي وبادرنا إلى اعداد القهوة العربية التي جرت العادة ألا يخلو منها رجل مسافر كريم، ولما كانت الليلة الماضية ممطرة فإن ما جمعناه من حطب لهذا الغرض مازال مبللاً بالمطر عصى الاشتعال، فأخذ كل منا يحرك ردن ثوبه لتحريك الهواء واشعال النار وقال قاسم :

شـروطهـا لو كـان تفْـة غليظة ... إذا نقص من شـرطهـا شي عناك

ويقصد بذلك ان اواني القهوة ينقصها وجود «مروحة» فقال (الراوية) :

شـروطهـا في البيت مثل الفريضة ... وإذا مـشـيت الطُرق أدنى مـاجـزاك

* * * *

وحدثت مشاحنة وخلاف بين «قاسم» وابناء عمومته، فارسل إلى (الراوية) قصيدة طويلة «٢» يصور فيها المشكلة ويبحث عن حل، ومن أبيات هذه القصيدة قوله :

اللى مضى بيننا مبنى له اوراق مغطاه ... ماحد عرف ويش مابه من دقاق ومن رزان
واليوم ترضى اننا مثل القليب اللى شرب ماه ... من بعد ماهو غزير اصبح قراره للعيان

واجابه (الراوية) بقصيدة طويلة «٣» منها قوله :

الفقد بين الرفاقة نحر ما هو بالمناواة ... والحق يرضى ولو حده كما حد السنان «٤»
ومثلكم للرفاقة كن لازم فيه مذراة ... الدمح يلزمك وانته من رجاجيل فطان «٥»

---

١ - يوجب : يحب. ٢ - من «شعر ابن قابل» ص ٣٧ الطبعة الأولى.
٣ - من «شعر ابن قابل» ص ٣٩ الطبعة الأولى. ٤ - الفقد : الحق المفقود. نحر مباشرة. المناواة : المراوغة.
٥ - كن : ملجأ. مذراة : ملجأ وذرا. الدمح : الصفح.

وبينما كان (الراوية) في مكتبه في مقر الشركة العربية للسيارات، وإذا بالشاعر «قاسم» يدخل عليه المكتب، كان مجيئه مفاجأة للراوية، وبعد تناول القهوة وتبادل الاحاديث فز «قاسم» مودعاً، وألح عليه (الراوية) ان يبقى معه يوماً آخر فاعتذر.

خرج (الراوية) مع صديقه مودعاً ومستفسراً عن سبب مجيئه واستعجاله في الانصراف.

قال : انت السبب في مجيئي.

قال الراوية : كيف.

قال : قولك :

الفقد بين الرفاقة نحر ما هو بالمناواة   والحق يرضى ولوحده كما حد السناني

لقد اتيت إلى مكة المكرمة البارحة واجتمعت وابناء عمي وأنهينا الخلاف، وها أنا عائد إلى الديرة فودع كل منهما الآخر.

* * * *

ومن أخبار الشاعر بشير السناني من جهينة ان اجتمع كبار الشعراء وقسموا جسد الجمل فيما بينهم وكان نصيبه الراس، فلقب براس البعير لعلو شأنه في الشعر والحكمة ومما قال الأبيات التالية :

يا صالح انا من اول العام حلاَّم   وليا عَبَرْت الحلم عبره يصيب «١»

أشوف انا في مَرتّع القَفْر طليان   واشوف يبراهن مع الحيد ذيب «٢»

مير انهضوهن عن مراتع كحيلان   والأ ترى الطيِّب بهن يستصيب «٣»

* * * *

١ - حلام : مشغول الخاطر. عبرت : فسرت.

٢ - مرتع : محال. القفر : الخلاء. طليان : ذكور الضان. يبراهن : يسير إلى جانبهن، وكل هذه الكلمات رموز واضحة.

٣ - مير : لكن. انهضوهن : ابعدوهن وعزوهن. كحيلان : الذيب. يستصيب : تصيبه العدوى.

حميدان الاحمدي

عاش الشاعر حميدان بن حمد بن جابر الأحمدي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وتعرض لخلاف مع بني عمومته جلا شاعريته، وطغى على أشعاره الأخرى، ويبدو انه صعب المراس، شديد حدة الغضب، صلب الموقف، كأنما أخلص عواطفه للخصومة والحكمة والعفة، فأين رقة الشعراء في الغزل؟، وعلى أية حال نحن هنا نتناول جانباً من حياته وهو ما ارتبط بشكوى الزمان، وقد تناول ذلك في القصائد التالية :

١

يقول «الجريدي» والجريدي «حميدان»   لما تورّى جاب زين القروح «١»

مثل العسل من زاهر النّور نشطان   والا بشادي بدر قمراً مسوح «٢»

ما بي طَرَبْ في وقوتنا مثل عسمان   أقفت مثل طراد صيد الديوح «٣»

أمسى عليه الليل مفلس وعيزان   والجول ذاير من بعيد الفسوح «٤»

ومن ما يحس القلب أمسيت يبسان   يبّسة صميل اللى في وقت اللفوح «٥»

طالع عليه سهيل مُقوي وظميان   دوب النسم يذري ولا سمع يوحي «٦»

* * * *

ومن افتكر في ايامنا ذي تعبان   قمت افتكر فيها وعذبت روحي

فيها القرابة عودوا ضد عدوان   كل للآخر سم داب متوح «٧»

تحاسدوا والحسد من كسر الاقنان   ولا طباق يصير عدا ميوح «٨»

---

١ - تورى : أراد. جاب : أتى. القروح : الشعر والمعاني.
٢ - النور : النوار والازهار. بدر قمرا مسرح : البدر في ليلة سماؤها صافية.
٣ - وقوتنا : اوقاتنا وزماننا. عسمان : السراب والضباب.
الديوح : الاماكن المصدة عن الناس والرياح، كثيفة الشجر تسكن إليها الظبا والطيور.
٤ - عزان : عاجز متعب. الجول : سرب الظبا. ذاير : ارتاب. الفسوح : المسافات والارض الفسيحة.
٥ - يبسان : من اليبس. صميل : قربة صغيرة. اللفوح : الهجير.
٦ - مقوى : لم يطعم العشاء. دوب : لم يبق لديه من حركة الجسم غير النفس.
٧ - داب : ثعبان. متوح : كثير السم. عودوا : أصبحوا.
٨ - الاقنان : القوانين. طباق : حفيرة ذات اطباق ماؤها موسمي. عد : بئر غزيرة الماء في كل المواسم. ميوح : مرتبط بالغزارة والدلاء التي تمتاح الماء.

وتفـريق الأرَيا داخل البـدْ نقـصـان ذا وقت داس وصار مـا به ربوح «١»
والهـايْشَـة تبني عـشـايش وخيطان ونقـول حنا اهل المكن والربوح «٢»
لاجْل انْ مـا جـاها من النُّو ربان ولاندوب وبدها للفضوح «٣»
علمي على اللي مايعـرفـون الاقنان ودي لهم دايم بجَفْو الصبوح «٤»
لاجل الردى مـا ثاب لو رزّ نيـشـان مـاينشرح صدره ولا له سبوح «٥»

* * * *

ويا الله يامنشى سحـابا وأمـزان عـالم عليم بكتب كل الفسوح
تلطف بنا يا والي الخلق من كان ولا تـراعـي بـالكـلاب الشلوح
واختم واصلي عـد وَرْشَات الاغصان واعـداد سُرّاح الدبَش والمروح

* * * *

٢

يقـول الجـريدي قـول من حـثُـه العنا ويبني من الامثال فـوق الرقـايب «٦»
حَلْيَـات مـثل الذَّوْب من زاهر الحـمى والا كـمـا در البكار العجايب
من ايامنا وافـعـالهـا تبـرد الخفا وانا امسيت منها مفرق الراس شايب
منها يشيب القلب والوجـه والصفا غدا تحت مَنْدَقْها وقيد اللهايب «٧»
مما تشرف العين في الظلم والطغى غدا الحسد جَرّ البغض بين الحبايب
وترى الحسد واللي يعنُون في الخطا يجيب المَحَلْ يرفع وحيف السحايب «٨»
واهل وقتنا ضربوا على شَظْيَة العصا وشَظْيَ العصا بين القرابات خايب «٩»

١ - الأريا : الآراء. البد : الفرع من العشيرة. داس : سيطر.
٢ - الهايشة : التي تغشى الاماكن والناس من الحشرات السامة والسباع المفترسة وتستعار هذه الصفة لمن تنطبق عليه من الناس الجشعين. المكن : المكانة. الربوح : الأرباح والفوز.
٣ - النو : المطر. ربان : سحاب المطر. ٤ - جفو الصبوح : الخيبة.
٥ - ثاب : نفع. رز : رفع. نيشان : علامة. سبوح : مدى الفعل والارادة.
٦ - الرقايب : الجبال والاماكن المرتفعة.
٧ - الصفا : العافية والسرور. وقيد : نار. اللهايب : اللهب من نار وكمد وحرارة جو.
٨ - يعنون : يستمرون. وحيف : صوت المطر بمصاحبة الرياح.
٩ - ضربوا اعتادوا. شظية : الشظايا، وكسر العصا من اطرافها أو وسطها، أو شظيها فيكون شرخها طولياً، واستعار الشاعر هذا المعنى للدلالة على الضعف الذي يحدث من اختلاف رأي الجماعة فيودى إلى فرقتها.

يحيب الخدمْ في القلب يكويك بالطنا ... ويعيب لو انك برى العوايب «١»
ويبين سوق اللاش يكْلا على الخنا ... ويعطي مزاريقه على كل غايب «٢»
وانا اوصيك مني يا «محمد» وُصا الضَّنا ... عسى الرجا فيكم وثيق القضايب «٣»
انا اوصيك ضم الجود يا كاسب الثنا ... ترى قبلنا يقلُون خاطيه صايب «٤»
اجل كيف فقد الصَّوْب مع راعي الوفا ... لا صار كَمُل في جميع النوايب
امانة معك تحفظ وصاتي مع النبا ... عسى من يكن الجود يعطى النهايب «٥»
وانا اوصيك في المعروف كمُل به السخا ... تراها زاريع بدّة الموت غايب «٦»
ومن هو بهشْ في الليل يستاهل الردى ... كما جول حَشْواً به رماة العطايب «٧»
بعد ما رعى في القفْر في طارف الفلا ... نُقَصْ حسْبته خُليْ شتاتا شعايب «٨»
وانا اوْصيك في سْلاحك فهو غاية المنى ... ترى اللاش ما ينفعك عند الضرايب
ولا تنقل إلا اللى يعينك على العدا ... ويشفيك إذا حصلت كبار المصايب
ومعاديك ذلُه ركَبُه وريَةَ الغضا ... ولا ترحمه أسْقُه من السم ذايب «٩»
وانا اوصيك بنت اللاش ما تخلف العنا ... من قبل تحذرها الرجال اللبايب
ولو ترُفت بالزين والدل والحلا ... ولدها يجي عفْشاً قليل الشايب «١٠»
يبْرُد كما ما يبرد الوقت بالدفا ... على ايامة المرْزم إذا قيل غايب «١١»
ولا تاخذ الا بنت شيهان يافتى ... ترى الجمر ما ترميه غير الصلايب
ربى الصقر ما يرْدَى وياكل على النقا ... يطش اللحم لانه كشف في الخضايب
والجار صونه مثل عينك عن القذا ... كما منْدَقْو طيب الحرير الرطايب
وعوانيك لا ترضى عليهن بالخنا ... ترى العز شوفه عند راي الصعايب «١٢»

---

١ - الخدم : البغض. ٢ - اللاش : الرديء (لاشيء). يكلأ : ينمو. الخنا : الداء. مزاريقه : هجماته.
٣ - الضنا : الابن والنسل. ٤ - يقلون : يقولون.
٥ - الثنا : الصيت والذكر الطيب. يكن : يمنع.
٦ - زرائع : زراعة المعروف. بدة : مادام. ٧ - بهش : بحث عن الملذات المحرمة. الردي : الموت.
٨ - فقد : من الفقد. خلى : ترك. ٩ - ورية : لهب.
١٠ - ترفت : من الترف. الحلا : الجمال. عفش : لا فائدة منه.
١١ - المرزم : من النجوم. ١٢ - الخنا : الذل.

وانا اوصيك عـز المال تسلم من الصـغـا ... يورد زنود قـــاصـــرات هوايب (١)
وباقي وصـــايا واجـــدة تكسب الهنا ... ولا حـرت تبّعْ للصـقـور الحـزايب (٢)
واخـــتم بذكـــر الله واصلي على النبي ... اعـــداد مـــا تذرى رياح الهـــبـــايب

٣

يقـــول ابن جـــابر بنى غـــاية المثل ... تُوَرّى قـرايح من ضـمـيره يجـيـبـهـا
حليّـات مـثل الذوب من هاجـر العـسل ... يداوي المسـمـوم ويبْـرى صـويبـهـا (٣)
ولا لي طرب في ايامنا امـشي على المهل ... مـيـر ان اسلّى خـاطري والتـهي بهـا
كـثْـرت رفـاياها وركّب بهـا المحل ... تشـادى كـمـا شـاة تزاول لذيبـهـا (٤)
تجـاوز على مـجنّبْ ولا طبّت السـهل ... على قلبـهـا رفّـاص شـوفـة مـريبـهـا
توجّـد على السكنا ولا حـولهـا الأهل ... وهو مـعـانقـهـا وبده يجـيـبـهـا (٥)

* * * *

من حي مـايمشي على طيب العـمـل ... تشـقـلبْ له ايامـه على مـانوى بهـا
وليـا ورد لـه حق واســقـاه بالنـهل ... هجى بالظمـا من عـقب صـافي قليـبهـا
عـصـافـيـر قـامت تتـبع اشْـاب بالفلل ... كـمـا الدود لا تسْهر ويحْرس دبيبـهـا (٦)
وبعض العـرب يشْـدا كـمـا شَـدّة السُـحَل ... تفـوقـرْ جملها والعدل مـا يثـيبـهـا (٧)
وطشـوا عـوانيـهم كـمـا رمْـيَـة الخلل ... ومن بعدها الاسقاط تشنى نسيبها (٨)
مـايحـسـبـون ان المشـانا من العلل ... كـمـا شـامت اللحـيـة وحـالق قـريـبـهـا

* * * *

١ - الصغا : العزلة بسبب الفقر والعجز عن والجود والعطاء.
٢ - تبع : اتبع. الحزالب : الحازمة والصارمة.
٣ - هاجر : مركز.
٤ - تزاول : من الارتياب والخوف.
٥ - بده : لابد وبوده.
٦ - لا تشهر : توفي، يجرس : يزعج.
٧ - السحل : من اشياء الرحل.
٨ - طشوا : تخلوا. تشنى : تذم.

٤

قال الجريدي هاض ما في ضمايره   على وسق قنه فوق عالي رقيبها «١»
ولا الدمع من عينه تهامل قطايره   جرح نونها لما تزايل خبيبها «٢»
من ايام أخلف نجمها عن ظهايره   قمرها كسف والليل ما ينسرى بها
وهذا تقفى به وهذا تطايره   كفى سوها تبغى تكمل غريبها
وياليتني في وقت من قبل سايره   ولاني عقب ايامنا ويش لي بها

* * * *

واونتي ونات مومي جبايره   ولا لافها البيطار لاوذ طبيبها «٣»
ولا ينشفي في وقت بانت جرايره   يلاحق من النيران ويكثر لهيبها «٤»
وداست به الجرة وكثرت محايره   وكل يقول الروح ما ينغدى بها «٥»
ولا احد تورى انه يتبع عشايره   ولو تقلط الاشناب ما احد رضى بها «٦»
أول سببها البوق ما طار طايره   ولا قط عزوة بوق جا ما يشيبها
واللي مكذبني يتنظر نظايره   لا جات زينه باق منها حسيبها
ولو طاب لك ظلك ولا فيه غايره   بعض حي يكسرها ولو مع حبيبها «٧»
بعد ما وصل راس المعزة قرايره   نطر ضدها صار الخازى لعيبها «٨»
يطق الشعب من لا درى وين دايره   همامیس لا تبدى ولا ينبدى بها
ليا كثر طش الرأي كثرت حوايره   قصر دلوها ما يستقى من قليبها
بدادة ثمر صفق الذوارى تحاوره   وترى النار كاشف ضوها من شبيبها

١ - هاض : عبر عما في خاطره. وسق : فوق. قنة : قمة.
٢ - النون : انسان العين. خبيها : همالها.
٣ - مومى : مهتز. لافها : عالجها. البيطار : الحذق الماهر. لاوذ : حاول. طبيبها : علاجها.
٤ - جرايره : مغباته وما يجلبه إلى الانسان.
٥ - الجرة : الاثر. محايره : مشاكله. ينغدي : يفتدى.
٦ - تقلط تتقدم. الاشناب : اهل الراي.
٧ - غايرة : الشمس النافذة من الثقوب والفتحات الصغيرة. يكسرها، : يرتكب الخطا.
٨ - قرايره : قراره. نطر : طرأ.

ولا باقي إلا الجـــــود بانت نوايره	يحطون كـرمات تشبع رقيبها
ومن قـدم الحسنات زانت بصايره	ذخيره اذا ما الروح جاها حسيبها
وموفي فروض الله تحسن مصايره	ومن كان يقرا ختمته يقتدى بها (١)
ومن يزرع المعروف تذكر بدايره	ومن يزرع الزينات يلقى مشيبها
ولا قطْ لاش الدَرْك تجزا ذخايره	يجذب حبال الري يامرتوى بها
وكل على ساسه تظهر ظهايره	مواطن قدامه من رداها وطيبها
وانا اختم بذكر اللي علينا مطايره	واصلي على روح النبي هو حبيبها
اعداد ماصب المطر من مماطره	وعد الذوارى يوم يذرح هبيبها

* * * *

وحدث ان قدم الشاعر ضيفاً على حي من «العوامر»، من قبيلة الشاعر، وكان ذلك في شهر رمضان فاكرموا وفادته عند الافطار، أما وجبة السحور فقد تسابق الربع وتنادي كل منهم بأن الضيف سيتناول طعام السحور لديه، وانفض المجلس بعد سمر طويل، وبقي الضيف في المجلس ينتظر المضيف ولكن لم يأت أحد، حتى إذا ما نادى المؤذن بآذان الفجر وتجمع الناس لأداء الصلاة وجدوا ضيفهم لم يتناول غير الماء سحورا.

لقد ظن كل منهم ان الضيف تناول الطعام مع الآخرين، وهكذا يغادر الشاعر الحي متجرعاً مرارة الجوع متوجها إلى حيث يقيم ولكنه لم ينس ان يسجل هذا الموقف الطريف، وبأسلوب طريف في الأبيات التالية :

الا يا سايلي تبغى علومي	مشيت ومشيتي ماشي خيور (٢)
وصلت إلى «العوامر» في «صلالي»	الا يانعم، في وقت الدهور (٣)
وجابوا منسفا جود الكرام	وهرجة كيف، في ماكر صقور (٤)
	قرى يحكَلْ على وقت السحور (٥)

١ - ختمته : المصحف. ٢ - علومي : أخباري. خيور : خيار وجمع خير.
٣ - الدهور : الجوع. ٤ - هرجة كيف : حديث رفيع المستوى.
٥ - يحكل : يعد.

وكل قـــال لك عندي عـــزومـــة   مـشيت الصبح مـا ذقت السحور «١»
وأنا أفلست ولا عـــاد المتـــاكل   وطيـــحـــة يوم وردت القــــدور «٢»
وطيحة في «السنيدا» دون «عاصر»   الوم النـاس تتـــــعس بالدهور
وياجـــوع الندم من جـــوع يومي   وبالعـــادة على المـــشى صـــبور
وانـا كـــملت يوم الله جـــمل

* * * *

شـــاعـــرة

ومن أخبار الشاعرات ان رجلا جهنيا مسنا تزوج من امرأة شابة فضيق عليها الرقابة غيرة وامتثالاً لعادات القبيلة، وحدث ان مر جماعة من البدو يدعون «البيضان» فأقاموا مجاورين لهذا البيت من جهينة، ولاحظت الشابة انطلاق نساء هذا الحي في أمور حياتهن دون مضايقة أو شدة في الرقابة من أوليائهن مع محافظتهن على النزاهة والحياء والشرف وأعجبت بما في رجالهن من شجاعة فقالت :

عين تبي لامـــاك تبلى بلا شـــوف «٣»
ياشـايب الجـهنان مـا انتـه حليلي   كم ديرة يرعـــونهـــا دونهـــا خـــوف
شـوقي مع «البيـضـان» زين الدخيل * * * *



١ - المتاكل : الاتكال.
٢ - وردت : وصلت وبلغت. عاصر : شعب.
٣ - لاماك : مصاحبتك.

درويش الأحمدي

عندما كبر الشاعر درويش الحساني الاحمدي، وضعف بصره مر بفتاة تقطف زهور النباتات البرية، وتجمع الاعشاب لأغنامها، وكان في شبابه شاعراً غزلياً وفتى محظيا فقال :

عنيتني يا مثل ظبي سفيسيف   يا مقطف النوير روس النوامي «١»

ليتك قميري يا حسين التواصيف   وانا الصقر شيهان ذاك القطامي «٢»

اجيك خاوي ما تقول العرب شيف   واروح بك يم الغبا يا غرامي «٣»

اروح بك راس «العناقين» في هيف   في راس ذاك الحيد مالك مرامي «٤»

عسرة على أهل المناديب والسيف   والضمن الي في حزام الغلام «٥»

إنته تغرهد في العلا في هفاهيف   وانا القطام اجيب صيدا دسام «٦»

وتسعف لنا الأيام نغدي مواليف   وهروجنا يا العمق زين الكلام «٧»

ما هو كذا كتفني الشيب تكتيف   ما عاد باقي غير بيت الظلام

وثوب قضيف فوقه اللحد تصفيف   وهيول منها دفها والردام «٨»

* * * *

ودرويش هذا هو الذي يقول في شبابه متغزلاً :

قال المعنى تهيض عصر مما شافت العين   غرا تسوس الخطي بالتيه معجبها صباها

يا غرسة الفل يا وردة نشت وسط البساتين   تسقى بالأوخار مكفي قدرها ما كيل ماها «٩»

---

١ - عنيتني : أتعبتني. سفيسيف : رشيق. النوير : النوار مصغر. النوامي : اطراف الفروع النامية.

٢ - قميري : قمري نوع من الطيور البرية.

٣ - الغبا : الاماكن المتوارية عن انظار الناس ويندر ارتيادها.

٤ - العناقين : قمة عالية من جبال لاحامدة ذكره كثير عزة في شعره. هيف : مكان ظليل. الحيد : الجبل.

٥ - المناديب : البنادق لانتداب صاحبها إلى مسافة بعيدة. الضمن : القرود والمسدسات.

٦ - تغرهد : تغرد. العلا : اعالي الصخور والاشجار. هفاهيف : اماكن الظل من الصخور. القطام : الصقر.

٧ - تسعف : تمهل. العمق : الفتاة الجميلة. الحاذقة التي تتقن شؤونها وأعمالها.

٨ - هيول : التراب المهال على اللحد في القبر. الردام : الحصى.

٩ - الاوخار : المياه الغزيرة. مكفي قدرها : كناية عن غزارتها وعدم خضوعها للتقسيم بين المزارعين وفق حصص معينة بواسطة القدر وهو بديل للساعة ويعرفه أهل الخيوف، ويستغنى عن استخدامه في مواسم الأمطار والسيول الغزيرة فيكفأ لعدم الحاجة إليه. كيل : صرف بقدر.

من دونها الغُلْمة اللى سمُّها مقسوم ثنتين   هو سم ساعة وسم اللمس وسموم سواها «١»

عانينها في الأرزَّة والقرون ومِذْخَرٍ زين   حَفْزَة بلا معك يا جمر الغضا محثاث داها «٢»

متحفزة في بطون القابس اللى تقضى الدين   اللي تجيب القضا والعين ما وصلت مداها «٣»

هذا هو اللي عداني عنك يا مرعوش بالزين   يا ظبي يا خَدْلجي وسط الحمى ما احد تلاها «٤»

يا ابو زميِّم ذهب زين النبا زَرْق النهيْدين   يا ابو جدايل بلا مقْنع ليا هدَت كساها «٥»

* * * *



١ - الغلمة : الفتيان البواسل. سم ساعة : يميت بعد ساعة من تناوله. سم اللمس : يميت من الملامسة.

٢ - عانينها : من العناية. الزروف : ذخيرة. القرون : من أوعية البارود. المذخر : قلادة تحمل الطارف والقرون أوعية البارود بلا : بلاء محثات : منشأ سرعة البلاء.

٣ - القابس : البندقية السريعة تحقيق الهدف.

٤ - عداني : صرفني بعيداً. مرعوش : الرعش رقة الجمال. خدلجي : الذي يعيش حياة مترفة. تلاها : تبعها كناية عن العفاف والخوف.

٥ - زميم : زمام مصغر من الذهب. النبا : الاستقبال والترحيب كناية عن عدم الوحشية والجلافة. زرق النهدين : ناهدة وكلمة زرق هنا دلالة (العود عند زرقته) كناية عن حداثة النمر ونموده وانطلاقه. جدايل : ضفائر تكسو البدن لطولها وكثافتها.

الشاعر الجابري

يذكر ان الشريف الحسين بن علي (شريف مكة) أمر بضرب رجل من بني جابر، فتألم الرجل من الحادثة واستكثرها فذهب إلى رجال قبيلته يطلب منهم النجدة، فلم يجيبوه إلى طلبه فهم دون محاربة دولة أو معاداتها، فلم يقتنع فقال :

راقلبي اللي نقَل لُه هم أكبر منك يا «ضاف»   واكبر من «الشَعْبة اليمنى» رشْجوى و «النقابة» «١»
قالوا : علامكْ تونْ وقلت : بيُه ضيْم الاشراف   أقْفَواْ على واجبي والناس قلْواْ لي المهابة
واربعي اللي بنى جابر كما سَحّاح الاكتاف   خلّوني الله يخليهم معادي للذيابة

* * * *

يابكْرتي ما عنيْتك للبكار الحمر ميلاف   عانيك يابكرتي للواجب ان ربي بلى به «٢»
مايترك الواجب إلا واحد من ذيّل الاطراف   ابوه رَخْمَة، وهو سِفْلة، وأخواله خيابة

* * * *

لم يجد جماعة الشاعر مبرراً لمعاداة الحاكم ومناصبته العداء ولن تكون هناك وسيلة مباشرة للانتقام، ولكن الابيات نقلت إلى الشريف ورق لها فاستدعى الجابري ومازحه وكافأه فانصرف.

ويصف الشاعر جسامة همومه المتجاوزة سلسلة جبلية في الجانب الغربي من وادي فاطمة فيما بين «بحره» و«الحميمة» وتواني القبيلة عن مؤازرة الشاعر، ثم يعول على ناقته للنجاء من البقاء على الضيم.

* * * *

---

١ - ضاف : جبل في وادي فاطمة يبسط ظله عصراً على قرية الحميمة وصروعه أو ما جاورها وإلى يمين ضاف جبل مكسر يقول الشاعر :

يا «مكسر» نصاك الريم ترف القدم   سارحاً بالغنم من يم ضلعان «ضاف»
هو دخيلك من الرمضا وشوك السلم   والظما لا يجي راع الثمان الرهاف

الشعبة اليمنى، وشجوى، والنقابة : جبال مجاورة ليست بعيدة من ضاف

٢ - عنيتك : اعتنيت بك راعددتك.

ولكن الشاعر لا ينصف هذه البكرة أو الناقة، فقد استخدمها مرة في النقل وهذا لايليق بالذلول ان تستخدم في نقل المتاع، وقد اثبتت اصالتها حين رفضت الانصياع لهذا الأمر، فلقد ارسلها ذات مرة إلى جدة مع ابن له، فوضعها في منظومة الابل الأخرى واثقلها بالحمول، حتى إذا ما بلغ منتصف الطريق عائداً إلي قريته، وإذا بها ترفض المجاملة فتتوقف عن السير، فينقل الابن حمولتها إلى الابل الأخرى ويتركها، وعندما ابلغ أباه خبرها توجه الأب إليها واحضرها، وطوال مسيره وهو يناجيها مواسياً لها حينا وحيناً آخر يسائلها قائلاً :

يابكرتي بانشـــدك وانت تعـــرفين ... قـول الصـحـيح وقـول فيــه المزوح
أحسن «غـيـا» والا «امـهـات الرياحين» ... والا «الحميمة» و«الخشف» و«السيوح» «١»

ويجيب على لسان البكرة قائلاً :

تســالني وانتم عــربكم مــحــيلين ... يرعــون بالزلبــات بارق يلوح «٢»
وترسل ولدك يحطني في البــعــارين ... ويجــرني جــر الهــريد النطوح «٣»

ويجيب :

يا فــاطري غــديك مــا عــاد تلدين ... اذا طلبـتك مـا لقـيت الصـبـوح «٤»
الفم يشــادي مــدرواة الصــواوين ... في يد مــغلون كل يوم قــدوح «٥»

* * * *

١ - غيا، امهات الرياحين، الحميمة، الخشف، السيوح : أماكن في وادي فاطمة أو ما جاوره إلى أم السلم فعسفان.
٢ - محيلين : منتقلين وراء العشب الافضل. يرعون : يتبعون. الزلبات : اماكن للرعي الجيد.
٣ - البعارين : ابل النقل. الهريد : الجدي.
٤ - الفاطر : الذلول. غديك : يمكن وربما. تلدين : تنجبين. لبقتك : بحثت لديك. الصبوح : الحليب أو اللبن.
٥ - مدرواة : آلة من الحديد أو الزناد يقدح في الصوان فيشعل الغليون.
الصواوين : جمع صوان حجر أملس يصدر شرارا عند احتكاكه بالزناد.
مغلون : شارب الدخان بواسطة الغليون.
قدرح : قداح.

علي بن غنمي الأحمدي

ومن تخلى عنه قومه علي بن غنمي الأحمدي، فقد كان شجاعاً ولكنه أيضاً كان أهوج متسرعاً يبطش بخصمه عند أوهن الأسباب، والقتل أقرب البطش إليه، فحذره قومه عن التعدي، ولكنه لم يرتدع، فتخلوا عنه، والتخلي عن أحد أفراد القبيلة ليس سهلاً انه اهدار دمه وعدم حمايته فرهبة القبيلة تدافع عن افرادها فيخشاها من تسول له نفسه ان يعتدي على فرد من أفرادها، لذلك تألم ابن غنمي والتفت يمنة ويسرة فوجد نفسه وحيداً، وعندما أراد ان يضرب وجهه بكفيه ندماً وأسفاً وجد في يمناه بندقيته فامسك عن الندم قائلاً يخاطب بندقيته :

يا بندقي مالي من الخمسة كنيف	أمسيت انا في ليامهم ما لي هوى (١)
ما نتبع المقفى ولا نبغى الحليف	مازول انا واياك في الدنيا سوى (٢)
من ناشنا نشناه بالصب النظيف	ومصملخاً يقزيه مثلوث الدوا (٣)

نعم لقد رغب عن قومه حين تخلوا عنه ولن يعود إليهم ولن يحالف غيرهم طالما ان البندقية معه. ومن يعتد عليهما اعتدي عليه.

ثم يؤكد نزوحه وتخليه عن مرابعه وقومه قائلاً :

عذرت في الديره وفي ليام الرفاقة	مالي صديق ارجيه في دار الجدود (٤)
إلا مرومل فيه للعايل نكادة	ومصملخاً يشفيك يا القلب الحقود (٥)

وقبل ان يرحل أرسل بيتين من الشعر لصديقه عمرو الزناتي يستشيره في الأمر قائلاً :

يا عمرو انا بنشدك ياصقر العيال	لجلك من اللي للوازم فيه شي (٦)

١ - الخمسة : جماعته الادنون الذين يلتقي معهم نسباً في الجد السادس.
كنيف : عوين.
٢ - المقفى : المنصرف لغير عودة. مازول : مادام.
٣ - ناشنا : من المناوشة أي اعتدى علينا.
الصب النظيف : الرصاص يصب في قوالب ويخلط بالذخيرة في البندقية.
٤ - ارجيه : ارجوه وأؤمل فيه. ٥ - مرومل : بندقية رومية
٦ - العيال : النشامى والفتيان بمعنى واحد. لجلك : لاجل انك. اللوازم : الملمات.

لا دام ضـدّوني بواطيـر الرجـال — وش الذي يفـتح إذا صكّوا علي؟ «١»

ويجيبه عمرو الزناتي :

فـولوا لمن ينشـد بواطيـر الرجـال — يافف بسـاير حـرب للي مـهـتجي «٢»

ويركـز على ربعـه إذا جـاه الضـلال — وعند الحدْم يشفيـه خوط القابسي «٣»

يوصيه بالا يتخطى نظام القبيلة وان يحافظ على علاقته بقبيلته فإذا لم يجد ذلك فالبندقية .

ويحتار الشاعر في أمره إذ ضاقت الأرض عليه بما رحبت فيقول :

واقلبي اللي يُدرج مـثل المحـال — اللي عليـه الورد هالوا بالدلي «٤»

مـا دام ربعي قـصـبـوا عني الحـبـال — بيْش اجْبـد الفرْزه اذا ما جات لي؟ «٥»

وهو محتار كيف يأخذ حقه وليس له معين ، وهنا يجيبه الشاعر صالح بن مايق قائلاً :

قلبك دليلك حين خـيّلت الخـيـال — يمطر عـلى راسك بشـلأل الدلي

مـا يمـتنِحْ وجـهـا يصلي للشـمـال — اللي على القـبلة حـيـاضـه تمتلي

يقول له : طالما انك عرفت أين ينزل المطر فما عليك إلا ان تنجع إليه أي انك إذا عرفت الخير فقلبك هو الذي يدلك على الاستفادة منه . لكن يجب ان تفهم ان المخالف للطبيعة لن ينال خيراً فارجع لقومك وارتدع واسلك بينهم مسلكاً شريفاً تسلم من الحيرة والاخطار .

* * * *

وإذا كان ابن غنمي طائشاً ولكنه عندما يهدأ يعود إليه رشده فقد حدثت

---

١ - ضدوني : اضطروني وصاروا لي ضداً . بواطير : أهل السطوة . وش : ماذا .

٢ - ياقف : يقف محكماً .ساير حرب : قانون قبيلة حرب أي يحكم قانون القبيلة ويقبل حكمه .

٣ - بركز : يعتمد . ربعه : قومه . الضلال : الخطأ . الحدم : ذروة الحرب والقتال . القابس : البندقية .

٤ - المحال : بكرة توضع في السانية لتسهيل سحب الماء من البئر بالغرب أو الدلو . يدرج : يدور .

٥ - قصبوا : قطعوا . بيش : بماذا . أجبد : اسحب . الفرزة : الدور فعندما يكثر الوراد يصعب انزال دلاء كثيرة في البئر فيوزعون الوقت بين الوراد والجزء يسمى فرزة حيث يفرز للوراد ليسقوا إذا حان دورهم .

مشادة كلامية بينه وبين رجل آخر كاد الانفعال ان يؤدي إلا مالا تحمد عقباه، وبادر المصلحون وحالوا بين الاثنين المتناحرين، وابعد كل منهما عن الآخر.

وكان من حسن حظ «علي» ان يصطحبه إلي مجلسهما مطلق وقاسي ابنا قابل الأحمدي، ليهدئا من ثورته، وكان كثير المشاكل، سريع الانفعال، لا يستطيع كظم الغيظ، وقد أقام طوال يومه يزفر ويتنهد ممتنعاً عن الزاد، حتى إذا ما مضى من الليل نصفه أخذ مطلق الربابة وانشد :

من لا يدير الهم في ديوان راسه — ويصير عارف من صديقه من عداه «١»
محرى من اهل القيس يومى في عماسه — في عاهل ما احد عرف وش سد ماه «٢»

عندها تنفس ابن غنمي الصعداء واخذ الربابة، وظل يردد هذين البيتين حتى زال عنه الغضب وطلب القهوة والطعام.

* * * *

وابن غنمي الذي مثل العنف والقسوة يحمل قلباً رقيقاً أثرى الابداع برقيق شعره الذي يقول متغزلاً :

قال البشيري نهار انه بدا روس البرانيس — يبني جديد المثل ويقول : من ديوان راسي «٣»
يا عيال لا واد سعيد اللى مريح من الهواجيس — ما هو كما قلبي اللى فز من بين الكراسي «٤»
انا حسب اني طويتك باالهوى طي القراطيس — أثرك ما تنطوي للي يقيسك مر قاسي «٥»
روحي صهدها الهوى مثل القهاوي في المحاميس — عليك يا اللى نهار اليوم فيه كنت ناسي «٦»
خودى كما الفضة اللى ما تقدتها الملابيس — والصائغ اللى صنعها ما دغشها بالنحاس «٧»

---

١ - يدير : يفكر ويدرس. ديوان راسه : فكره.
٢ - محرى : متوقع. أهل القيس : أهل الفكر الذين يقيسون الأمور ويدبرونها. عماسه : ضلاله وعماه. عاهل : يم وماء لا يعرف قراره.
٣ - البشيري : فخذ ينتمي إليه الشاعر من قبيلة الاحامدة. بدا : طل. البرانيس : جبال في ديار الاحامدة. جديد المثل : الشعر الجديد.
٤ - عيال : فتيان. واسعيد : واسعد من السعادة. مريح : مرتاح. فز : طار. الكراسي : الضلوع.
٥ - اثرك : إذا بك. ٦ - صهدها : كواها ولظاها. تأسي : تردى.
٧ - خود : رمز للفتاة. الفضة : الحلى المصاغة من الفضة. تقدتها : ليستها للتجربة ومعرفة المقاس. دغشها : خلطها

أقْفَى على عـملتي وهـي سَلَف قُرضـة من الكيس ... يا ناس خُطُّوا على اللى عن دروب الحق ماس «١»

تَبْـغَاني افُـوتهـا واحْنا من الموسم مفـاليس ... لا شي محـارف نَحْرفْها ولا عندي رواسي «٢»

والله لولا الحيا واخاف من بعض التعاكيس ... لانْهبك لا نْهبْك انا لو كان من دونك حسَّاس «٣»

حيث انْ ودَّك غَشا قلبي كـما ليل الطلاميس ... والله لو طالت الايام مـاني عنك ناس «٤»

ووالله ما انساك لو حطِّيت من دونك حراريس ... لكن خايف من السِّمْعي ومن كُثْر الحساس

* * * *

وهو الذي أيضاً يقول :

العـفـو لله لا منِّي بَدَيْت الحَـيْـد قلت آه ... أجْرونَّات مثل اللى مـريض من الكُسـوح «٥»

كلُّه هوى الجادل اللى في الملا ما خلْت حلياه ... أبو مبَيْسم كمـا الخاتم وصوَاغُه نصوح «٦»

قلت : اصبري ياعيوني من بكى ماثَابُه بُكاه ... ظلِّيت أبكِّي واهل الدمع حتى اضْنيتُ روحي «٧»

قالت لي العين : يا عصر جرى لي كيف أنساه ... وش انْت خابر على حدّ المراح من السروح «٨»

وقد عارضه شاعر آخر يدعى مريشيد أبو مطيفة الذي قال :

سوق الذهب يا علي بعْدين تشرب شرب منْهاه ... شَرْبة من الما القراح تسدّ عن شرب القبوح «٩»

راعي اللُّزم يا علي في الطَّرْق هذا كيف تنساه ... اذْهن عوانيه لا ترميك بالسُّم الذبوح «١٠»

ما يَبْكي الأ طريح العَيْب يوم ابليس أغْواه ... عند الخدم يوم حَثْوا فيه صبْيان المدوح «١١»

اللى ضربْ بالهنادي والسيوف اللى منَقَّاه ... هوُّه صوابه قُطْب ضجران ما يَدْني الجروح «١٢»

انه يدعوه للزواج وترك الخوض في التشبيب الذي يورده الحرام، فإن البنات

١ – ماس : مال وانحرف.

٢ – تبغاني : تريدني. أفوتها : اتركها. محارف : أعمال. نحرفها : نتصرف فيها. رواس : راس مال ثابت.

٣ – حساس : ضجة وجلبة. ٤ – غشا : غشاوة. الطلاميس : الظلام الحالك.

٥ – لامني : إذا انا. بديت : وقفت مطلا. الحيد : الجبل. اجرونات : أتنهد وأئن. الكسوح : الأمراض.

٦ – الجادل : الفتاة الجميلة. الملا : الناس. نصوح : ماهر.

٧ – ثابه : نفعه. ٨ – عصر : مايلي الظهر من الأوقات. وش : ماذا. المراح : المكان الذي تبيت فيه الأغنام. السروح : الرعاة.

٩ – سوق : ادفع. بعدين : بعدها. منهاه : تطفيء الظمأ. القراح : العذب. تسد : تعوض وتمنع.

١٠ – اللزم : الواجب. الطرق : المجال. اذهن : احذر. عوانيه : حماته.

١١ – الخدم : الشدة من احتدام الأمر. صبيان : فتيان. حثوا : ادركوه واوقعوا به.

١٢ – الهنادي : السيوف الهندية. صوابه : اصاباته. قطب : التأم. ضجران : من الضجر. يدني : يداني ويطيق.

اللاتي يشبب بهن لهن أهل يغضبون وقد ينتقمون لهم فالناس لا يقبلون التغزل ببناتهم مهما كان غزلاً عفيفاً.

ولكن علي يؤكد للشاعر نزاهته وبعده عن المحرمات والمشينات قائلاً:

جانا كلاما من الشايب وحنّا ما عرفناه · اللي مضى له مغطّى ما تبيّن له قروح

لابا «مريْشيد» مشروب القباحة ما اتّماه · يا شين مع قايلتْهن ما هرجنا بالمزوح «١»

ميْر انتحى عن كلامك ذا وعنا القاف تنحاه · والا انطحونا ترانا لك نوينا بالنطوح «٢»

* * * *

ومن غزلياته:

البارح انا وردت الما ودونه جات صولات

عيّا على الماء وكيله وانصرفت وبت ظامي

شكيْت حالي على سيدي وانا احْسب فيه رحْمات

أثرْ رفيقي مريح ولا جرى له «من غرامي» «٣»

الصّبح قالوا سلام وقلت ما ابْغى انا سلامات

ياليت انا اسْلَمْ بروحي دون ردّان السلام

وقالوا عليك الامان وقلت ما بالخوف امانات

من طبْ دار المخافة «ما تهنّا بالمنام» «٤»

وقوله أيضاً وقد ورد ماء وجد عنده فتاة جميلة:

يا «سليم» ابي انشدك عن عُود على ماكم لقيناه · العُود يا «سليم» ذا شاربْته فيه اللّدانة

عَديْتُ له بالعَجل باغي الوفا لاهل الوافاه · لدّيت له بالعجل ولاه ما هو في مكانه

ياعُود ما انتهْ من الكادي ولا انْته خُوط حنّاه · ولا انته من الياسمين ولا انت عود الخيزرانة

ان كان ما انته قُضبْ سكر ترانا ما عرفناه · حق الله اني ذهين ولي دراية في الذهانة

---

١ - قايلتهن: التي لا تبعد الشبهة عن نفسها أو سهلة المنال. هرجنا: تبادلنا الأحاديث.

٢ - مير: لكن. انتحى: تخل. القاف: الشعر. انطحونا: حاربونا.

٣ - وقيل: «جرى له ما جرى لي».

٤ - وقيل: «كيف يطريه الامان».

ثم أضاف :

قالوا لي العُود طيِّب قلت انا اللي باتعصّاه
واقسمت ما احُطْ في يِمناي عودا من لُوَاش

يا عود انا يوم ارْبِتَكْ ما احسب انك عُود طَرْقَاه
أثرك يا عود مزْهيتك تجاديد القماش

والله يجازيك يا قلبا على البطّال ما اقساه
والنفس ما تَنْغصب لاما تجافت عن معاش

* * * *

حنين

ومن أخبار الشاعر الأردني «عبيدان القحص» انه كان صاحب العلم في إحدى الفرق العسكرية للحسين بن علي، وكانت فرقته مرابطة في قرية «ام ذيان» من وادي الصفراء، وهو من قبيلة بني صخر في الأردن، وتذكر أهله ذات ليلة فقال :

وا ونّتي ونّيتها يا «ابن عبدان»
من ونّتي زادت همومي عليّه

ليّه غزيّل مسكنه يم «عمّان»
يوم اذكره تغرق دموعي يديّه

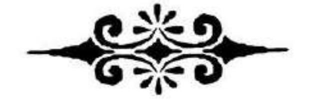
و«ابن عبدان» الذي خاطب الشاعر هو طباخ المعسكر، وعندما بلغ خبر الأبيات الشاعر قاسي بن قابل - والد الراوية - أجابه بالأبيات التالية :

هيض عليّه ليلتي في «ام ذيان»
من ونة المهموم راع الشكيّة

يذكر غزيّل مسكنه يم «عمان»
ظبي وصوفه من وصوف الظبيّة

هذاك في شانه وحنا لنا شان
أطلب من المولى تجينا فضيّة

ولابد من ساعة فَرَجْ يا «عبيدان»
يرتاح بالك بعد حزْتك ذيّة



عميـر بن سليمـان الصبحى

ومن الشعراء الذين تنحوا عن قبيلتهم وتخلى عنهم قومهم الشاعر عمير بن سليمان الصبحي من حرب وقد حدث سوء تفاهم بينه وبين ربعه فقال وقد غادر الحي :

عـذَّرَت في الديرة اللى طَلْعَهـا ثَلَّة بـلابار ... وسُهَيْل طالع عليها صابها بالحُرفشيَّة (١)

ايام فـيـها الـدبادب والحـروشيَّـات والفـار ... وحـمارها والجمل والعنز في الميزة سويَّة (٢)

وهو يعني هنا ان أمور القبـيلة فاسـدة ولا يوجد من يحسن تصريفها أموارها فيمنع الباطل ويحق الحق، ويشبهها بالثمرة التي يصادف طلعها طلوع نجم سهيل الذي لا تصلح معه ثمار حيث تصاب الثمار بالتحات حتى لو لقحت، وهي حجة المعارض لدى الشاعر، وليس ضروريا ان يكون الحق في جانب الشاعر، ولكنه صراع الأجيال ورفض الجيل السابق لحياة الجيل التالي :

ثم يردف قائلاً :

بعض البـصـايـر يعلم الله كـمـا اهْلها ... تشـادي طُعـوس مـالها مَـرْقـاه (٣)

ومن لا تبـصَّـر في المسـايل من اصْلها ... رمَـتـه الافـاعي في غُـزْز يطمـاه (٤)

وهو هنا ينتقد سياسة رجال القبيلة وقلة حكمتهم وتعريضهم القبيلة للخطر، وكما اسلفت انها سنة الحياة المتجددة فكراً واسلوب حياة.

لقد رحل الشاعر عن الحي حين استعصى أمر مشكلته وحلها، وفي الطريق إلى المنتحى نزل ضيفاً على حي من بني سالم، ينزلون «ذفران» قرية بين «ينبع» ووادي الصفراء، وهي أقرب إليه من ينبع، واكرم القوم وفادته، وما ان غادر الحي حتى قال هذه القصيدة :

---

١ - عذرت : تخليت. ثلة : قنو النخلة حينما يتفتق عن غلافه ويزهر.
بار : لقاح. الحرفشية : فساد البلح في أوائل تكوينه بل عندما يصبح بسرا.
سهيل : النجم المعروف ناحية اليمن.
٢ - الدبادب والحروشيات : حشرات تظهر مع نوء سهيل. الميزة : القيمة.
٣ - البصاير : الحلول. تشادى : مثل. طعوس : كثبان رملية مرتفعة. مرقاه : طريق للصعود.
٤ - غزر : مياه عميقة. يطماه : يغرقه.

الليلة امسى خاطري يا «سليمان» مكثر من الهاجوس من وجد مابه

قلت الذي قلته وونيت في الآن شفت الدهر منظام منصك بابه «١»

أنا عمير المنتسب من سليمان با صلي رفصلي من قديم انتسابه

في سد غلمة كاملة حد وسنان داب الخشر سمه على راس نابه «٢»

نبوع لمن يذرع بذرفات الايمان والزود رده بالمحنش رقابه «٣»

اللي مضى ليه معارف وخلان الكل من دوني يدلق حرابه «٤»

واليوم كني مرفق الذيب سرحان جنوا عليه والبسوني ثيابه «٥»

حتى الرحيمة سرحوها مع الضان وايضا البناخي زادها من حرابه «٦»

ولاني معاير قاع حطوه نيشان اما انقرح والا انكسر يوم صابه «٧»

واخذت ما قدر عليه بضمان اودعت خير ما تغلق ضبابه «٨»

البيض من عندي إلى نزل «ذفران» كل النبا عندي بفتل شنابه «٩»

اللاش ما ينفع رفيقه ولو زان يرجع على قرميته من كتابه «١٠»

يصور الشاعر قلقه وحيرته، ثم يشيد بقومه الشجعان مكتملي العتاد شديدي البأس يعطون في سخاء ولا يقبلون التعدي ومن يعتد عليهم فلن يردوا عليه بغير السلاح، ثم يصف ماضيه واصدقاءه الذين يدافعون عنه ويقضي معهم اجمل الأوقات ثم اصبح مذنباً طريداً منبوذاً البس ثوب ذيب يوسف، وخفر جانبه

١ - ونيت : أنيت. منظام : من الضيم أو منظام : منتظم في احداثه.

٢ - سد : حمى. داب الخشر : الأفعى التي تعيش في الأرض الجبلية الناعمة. سمه على رأس نابه : سريع المفعول شديد الأذى. غلمة : فتيان.

٣ - نبوع : الباع هو المسافة الواقعة بين طرفي اليدين ممدودتين في اتجاهين متضادين. والذراع : من المرفق إلى نهاية الاصابع. ذرفات الايمان : الايدي الرشيقية وخفيفة الحركة. الزود : التعدي. المحنش : البندقية التي لفت رقبتها بجلد الحنش أو الثعبان.

٤ - يدلق : يسن ويحد.

٥ - كني : كأني. ٦ - الرحيمة : أم الزوجة. البناخي : ذو القربى كابن الأخ والأخت. حرابه : حنابه ومالديه.

٧ - لاني : لا أنا. معاير : مؤاخذ ورامي. نيشان : هدف للرماية. انقرح : زال.

٨ - ضمان : شهود كفالة. ضبابه : الضبه رتاج الباب.

٩ - البيض : المدح والثناء. النبا : الشهامة والجود.

١٠ - اللاش : من اللاشيء ومعناها الخامل. قرميته : عادته.

حيث لم ترع حرمة ارحامه التي يعتد باكرامها ويستعاب من اهانتها وحتى (البناخي) اقرب الناس إليه اساءلها . ولن يجاري قومه في قضية مثل ما قال الشاعر : «ولئن رميت يصيبني سهمي» وانما يتوكل على الله وقد برأ نفسه بدفاعه أمام القبيلة، ويختم القصيدة بمدح أهل الحي الذين استضافوه ويذم الذين يتخلون عن واجبهم.

ويمضي الشاعر في غربته يبث شجوه، ويبعث شكواه إلى ذوي القدر والمعرفة من قومه عبر قصائد منها :

يا الله يا حلال عقد الحصود … تحل عقد الحبل لاصار محصود «١»
وتجود يوم ان العرب ما تجود … لاما طلبتك عندك الخير موجود
واحد حدر واخر تلقى السنود … والرزق قسمته لواعين ورقود «٢»
واللي تعدى ما يقص الحدود … تلقاه عن عد القراحين محدود «٣»
والغلمة اللى ما لها من يقود … يشظي عصاها السلم والسلم معبود «٤»
أصفر مع ابو طير شغل اليهود … يطق ساس الجدر ولياه مهدود «٥»
والغلمة اللى كانفتها الفهود … ما تنوطي ودروبها سد بالود
وجمر الغضا ما ينحرث بالعنود … ناره تحرق من توطاه بعنود
وعساك باعام سلف ما تعود … لو لم جمع بريه والتتر وبدود «٦»
عقب على قلبي كثير اللهود … امسيت ادور الطب مع كل مولود «٧»
وزمانـنا هذا قليل الفيود … مغرور حتى اللى نشا فيه مغرور «٨»

١ - عقد الحصود : تنعقد ربطة الحبل ويصعب فكها فيقال حبل محصود كناية عن مشكلته المعقدة.
٢ - حدر : هبط إلى اسفل . وسند : صعد إلى أعلى . عن اختلاف الناس في سلوكهم.
٣ - يقص الحدود : لا يتعدى حدوده . عدا القراحين : البئر عذبة الماء.
٤ - يشظى : يقسم العصا إلى شظايا ضعيفة يشير إلى تفكك القبيلة.
٥ - اصفر مع ابو طير : ذخيرة البندقية . يطق : يصيب . ساس : اساس البناء . ولياه : اذايه.
٦ - بريه : ابرهة الحبشي . التتر : هولاكو التتار.
٧ - عقب : ترك وسبب . اللهود : الحرقة والأسى.
٨ - الفيود : الفوائد . مقرود : سيء الحظ.

ينصى جوابي من يعرف الفقود ... الطيب اللي طاب معناه بوكود «١»
عدّ نهيل ان جلحدْن الورود ... والعد ما يقصر عن الورد مورود «٢»
قل له : يقول عمير : دمع الخدود ... خرب حجور العين بالحيل مجحود
وقرانها لايم ليالي السعود ... والبيض لبْسن دندكيّه من السود «٣»
لا قامت القالة تلمّ الجرود ... تسمع لها عجّة وصفات وجرود «٤»
وطيبها هو سوها بالركود ... حتى الرحيمة حُطّ في خشمها عود «٥»
وانوار تطْفأ والنّواير شهود ... النور غُطّ وعتّق الزور بشهود «٦»

* * * *

وانشدك عن عذرا حييّة خنُود ... والثوب تمشي به على غير محْرُود «٧»
شدّت وشدّوا من وراها جنود ... تجري ويجري في خماميصها الدود «٨»
قعودها يا حيّ ذاك القعود ... مدة حياته تابع الحي مفرود «٩»
ان شافها طشّ السلّب والفرود ... يصبر على الحنظل ليا كان مضدود «١٠»
هذا كلامي وما معه من ردود ... والعلم للي يفهم الهرج بسنود
واختم بمن ذكره يكبد الحسود ... شفيعنا اللي قام في يوم مشهود

* * * *

في القصيدة عرض لمشكلة الشاعر فهو يستلهم الحل من الله ثم يصف اختلاف الناس في سعيهم في طلب الرزق الذي اعطاه الله لكل واحد منهم

---

١ - ينصى : يقصد مباشرة. الفقود : الواجبات.
٢ - العد : البئر. تهيل : جم الماء. جلحدن : كثر الوراد.
٣ - دندكية : ملابس سوداء.
٤ - القالة : القضية. الجرود : الرجال المسلحون. عجة : جلبة.
٥ - سوها : السبب السيء.
٦ - النواير : الشهود. غط : طمس. عتق : أيد.
٧ - خنود : خجول. ٨ - خماميص : مثاني.
٩ - القعود : الجمل في منتصف عمره. مفرود : معزول.
١٠ - مضدود : مرغم.

حسب سعيه، ومن يتجاوز الحدود التي رسمها الله لعباده فانه مصروف عن الشرب من رحيق الجنة. ثم يقول ان الناس لا يصلحون فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا، فإنهم عرضة للتفكك والتشتيت. ثم يشير إلي بطش السلاح والدمار الذي يسببه قلة من البشر. أما القبيلة التي يحميها فرسانها الشجعان فإن حدودها لا ترام، ويشبه حصانتها بتلك الارض المحاطة بسد بالود الوارد ذكرها في الأثر، ويشبه أرضها بأنها تحرق الأعداء كأنما فرشت بجمر الفضا.

ويعود الشاعر متضجراً من العام الذي ولدت فيه مشكلته فقد عقب للشاعر أسى وقلقاً وألماً.

والخطوة التالية يعرض قضيته على عراف القبائل الذين لا يحبون ان تشيع الفرقة بين افراد القبائل بما اوتوا من حكمة وفهم لمعالجة قضايا القبائل المعقدة.. ويشبههم بالبئر غزيرة الماء لا يرد واردها مهما كان منحاه. ثم يصور المشكلة وما تركته من حقد وفرقة وانتقام.

ويشبه القضية بامرأة خفرة تسترها ثيابها ومن حولها حراس يتابعونها أينما اتجهت. وهي في سعيها تود ان تلقي عن كاهلها الوزر الذي يحاول الحراس اخفاءه ولكن سرعة انتشار الوزر فيها يماثل سرعة هروبها ولن يمكث ان يظهر الحق ويزهق الباطل، وهذا الزعيم الذي تصدر للقضية وليس من أهلها لم يكن ذا شأن من قبل ولكنه الزمن.

وقضية الشاعر هذه تتلخص فيما يلي :

عاش الشاعر في زمن افتقد إلى الأمن، وسيطرت العصبية القبلية على بنية ومجريات الحياة فيه، والشاعر هو شيخ «المرازيق» من قبيلة صبح الحربية، شاعر بليغ، وزعيم، وصاحب موقف، ولكنه سريع الانفعال لا يتحكم في اعصابه وهذه من العيوب التي ينبغي ألا تكون في القائد، نعم لقد عاصر الشاعر فترة انفراط زمام الأمن ما بين أواخر القرن الثالث عشر الهجري ومنتصف القرن

الرابع عشر، وتعرضه خلال هذه الفترة - رغم موقعه من القبيلة - لعدة مواقف عصيبة، لعل اشدها ما دفعه إلى الاغتراب، والعيش مهدداً قلقاً يتوقع حدوث المحذور بين فينة وأخرى.

بدأت الحادثة الأولى عندما قُتل ولده ابراهيم، وربما انتهت هذه القضية بما أرضاه، ولكن الحادثة الثانية هي التي أقضت مضجعه وعانى منها المرار. فلقد كان في مجلسه هادئاً وحيداً، وإذا بأحد المستجيرين به يدخل عليه المجلس فيفسد خلوته، ويثير غضبه بأن رجلاً خفر ذمة الشاعر بالاعتداء على هذا المستجير، فانفعل الشاعر وأمر أحد مواليه بالذهاب إلى «الرجل» وضربه جزاء تعديه، ولكن الشاعر خشي ان يرتكب هذا المولى حماقة فيقتل الرجل أو يصيب غيره، فقرر الذهاب وتأديب «الرجل» فاسرع وادرك المولى، وتوجه إلى السوق حيث «الرجل» في حانوته، فضربه ضربة اودت بحياته، واسقط في يد الشاعر الذي لم يكن يريد غير التأديب.

ولما كان الشاعر كثير النزاع والاستفزاز بسبب انفعالاته التي جلبت إلى القبيلة مشاكل عدة مع افرادها ومع القبائل الأخرى، وان هذه الحادثة جسيمة ولا مبرر لوقوعها، وانه لمس تخلي القبيلة عنه مما يفسح المجال لأولياء القتيل ان يثأروا له، ولشكه في ان يجد احداً يحميه ريثما تعالج القضية فقد قرر النزوح، فمر في طريق نزوحه بحي من الحوازم، ولكنه شعر بالمتابعة، فهو في ارض حربية ومطالب من أحد أحيائها، لذا انتقل إلى ديار جهينة فهي أكثر أمناً لأن من يقصدها من غير ابنائها يظهر خبره سريعاً، في الوقت الذي يجد «عمير» نفسه حماية من جهينة التي لن تقبل ان يعتدي على ضيف فيها، ولو حدث ذلك ربما تحملوا المسؤولية،وذلك وفق ملابسات الحادثة.

وعندما مل المقام في ديار «جهينة» لبعده عن أهله وحيه والحياة المستقرة تذكر رجلاً من قبيلته وهو الشيخ «عبيد الله الصبحي» (أبو غليوي)، يجمع بينهما الانتماء إلى القبيلة وصداقة خاصة، فارسل إليه رسالة وقصيدة يصف فيها الناقة

(الذلول) ورسوله إليه، ثم يطمئنه على حاله في الغربة، ولكنه لم يستطع ان يخفي معاناته وآلامه فيها فيقول :

يا الله يا اللى مالنا غير رجواك   يا دافع السيئات عنا تكافى
انت الرقيب انت الذي جلت اسماك   تسمع دبيب النمل ما عنك خافى
اللى طلب من غير مدك وعطواك   يقطع بحد معرجنات رهاف «١»

* * * *

ومن بعد ذا يا راكب فوق ملواك   حر حسين المقدمة والمقافي «٢»
جبنا شدادك يوم حنا شريناك   مقصر الغزلان فج الظلاف «٣»
ما بي غبا لا ابدي وصوفك وحلياك   واقول ما قالوه بين وخافى
مير ان خوفي من سبايب تمثناك   يقطن عليك مقطعين الطرافى «٤»
تمت تواصيفك وما كان يعناك   والخاتمة ممشاك بعد الكفاف
فوقك غليم يوصل القول منهاك   ولنيا نطق قوله على الصدق يافى
منصاك «عبيد الله» وهو غاية مناك   تلقاه في الماجوب دايم حرافى
اعطه جوابي في يمينه   وقول : كيف الحال كيف العوافى
واسلم وسلم لي على جملة اخواك   جيراننا يوم السعة والقضاف «٥»
وقل له : تسرك حال من مرسله جاك   ياطا المخافة والعبش ما يخاف «٦»
وقت النها يزورني مثل شرواك   والليل لي ماقع عن الناس خافى «٧»
معلومك اللى بين دولات الافلاك   يصبر على ميلاتها والخلاف «٨»

* * * *

١ - معرجنات : سيوف ذات مقابض ذهبية تشبه شكل ولون عراجين عذوق النخل.

٢ - ملواك : ذلول رشيقة (ناقة أو جمل).

٣ - مقصر الغزلان : كناية عن تفوقه في السباق. فج الظلاف : اظلافه متباعده فتشتد سرعته.

٤ - تمثناك : تصيبك من الطامعين فيك إذا علموا بديع اوصافك التي اخفيتها.

٥ - السعة : سعة الرزق وغدقه. القضاف : الضيق في الأحوال المالية.

٦ - ياطا : يطأ. العبش : خشاش الأرض من النبات.

٧ - شرواك : مثلك.   ٨ ميلاتها : تقلبات الزمان واختلافه.

وفي عام ١٣٣٤ نزل شريف مكة المكرمة الحسين بن علي في بلدة «الفريش» قرب المدينة المنورة واستقبل كبار قبيلة حرب، وتناول مجلسه قصائد الشعراء وقصص القبيلة ومن بينها قصة واشعار «عمير» فبادر الشريف بانهاء القضية وعاد الشاعر إلي دياره.

* * * *



عبد الواحد بن عاطف الصبحي

ومن الشعراء الزعماء الذين تعرضوا لجور القبيلة أو ذوي القربى عبد الواحد ابن عاطف الصبحي، فهو من مشاهير قبيلة صبح الحربية، ومن بيوتات الزعامة فيها، امتحن في حياته بقضايا أقضت مضجعه ودفعته إلى الاغتراب مرتين من أجل استعادة حقوقه، وعاد من الغربتين ليقتل قاتل أبيه مرة وقاتل عمه مرة أخرى، لكن القضية التي آلمته كثيراً هو حرمانه من حقه في تركة والده باعتبار ان أمه جارية، مما دعاه إلى الاغتراب مرة ثالثة وقديما قيل :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على النفس من وقع الحسام المهند

وقد جسد ابن عاطف معاناته في قصيدة طويلة سارت بها الركبان وتناقلها الرواة لما فيها من صور المعاناة والمكابدة، وما تضمنته من تجسيد للواقع الاجتماعي في عصر الشاعر إلى مشاعر الاخوة والاعتداد بالنفس والامعان في عزتها ما أكسبه أيضاً تعاطف الناس معه وتألمهم من معاناته.

وهذه القصيدة ليست يتيمة فللشاعر قصائد أخرى ومقطوعات تذوب رقة وعذوبة. ولكنها القصيدة التي عرفتنا بالشاعر والتي ربما كانت سبباً ألا يطويه النسيان، وأما أحداث أسباب اغترابه فإنها معقدة وليس في ايرادها منفعة. أما القصيدة فهي :

يقول العناوي قول من حَشُّه العَنَا ... من احْوال منها مَفْرق الرأس شايب «١»

أنا ما بَنَيْت القِيل من زايد الطرب ... ولا اقول قول الا بعزم الغصايب «٢»

وعيني خَرَبْها طرفها من تصيبها ... وهلَّت بدمع كنُّه الدم سارب

---

١ – العناوي : المعاني والمعنى. حثه استحثه واشجاه. العنا : التعب والمعاناة.

٢ – بنيت : ألفت وانشأت. القيل : الشعر.

وعلى نَومَة المخلين جريت ونَة
ونَة كسير اللي زنوده عطايب
وانا امسيت مثل الغصن في عالي الشفا
ليا ما تصافقته صروف الهبايب
من احوال ملعبة اهل الزمان بلعبها
كما جرح عجزوا فيه كل الطبايب «١»
لو طابت اطرافه تلغثم على الخنا
وظل كنين الجرح في الجوف ذايب «٢»

* * * *

أنا كل ما جبت المداوي لعلتي
تطبب وقال انا طبيب الطبايب «٣»
وهو يدارجها ويتبع غويلها
بسم الهلاك اللي مضت له جرايب «٤»
وانا كان اداوي علتي من بصيرتي
ولا بي غبا عن مبريات الصوايب
لكن ناقص المعنى ولا يكمل الدواء
وطالع كما نجم زحلين الرقايب
يلومني الانذال الله يلومهم
يقولون منزاحك عن الدار هايب
يخيلون مشحاهم وما في عقولهم
ولو خيلوا برقاً بعيد السحايب «٥»

---

١ - الطبايب : التطبب والعلاج.
٢ - الخنا : الصديد والغش. تلغثم : لم يلتئم.
٣ - الطبايب : الأطباء. ٤ - يدارجها : يحاول ويسايس. غويلها : عميقها وبعدها.
٥ - مشحاهم : مداهم ومنتهى استطاعتهم.

أنا اخيل مجهولات مايعلمونها
يخيلونها صُمّ القلوب اللبايب
وانا من صبر صبري وجَالدْ تجالدي
على القَلْ والقالة وحفر اللُغايب «١»
أقَرْقْ هجوس القلب في كل وادي
هذي منوّخها وهذي عزايب
ولا انهن أقفنْ ومدّن نشورهن
لفَنْ واردات وحاضبات المشارب
اشول الزّحَمْ لا تكسر الحوض بالدّحَمْ
عطاشا كواسر يلهفنّ الشرايب

* * * *

ويا مسلمين الله أنا لي رفاقه
شالواْ لي البغضا على غير صايب
إن جات زَيْنَة قالوا الزّين فعْلنا
وان جات شَيْنة قالوا انت السبايب
وان جات عازتهم ولا اني رفيقهم
وان جات عازتنا تعاطَواْ شعايب
يعتّونا بالبوْق وحنا نعتّهم
والكل منا يا القبيلَيْن جانب «٢»
يبْدُون عَيْب الناس ويتْقُون عيبهم
ولا حي في الدنيا صريّ العوايب

* * * *

١ - اللغائب : الألغام والدسائس التي تحاك له.
٢ - يعتوننا : يصموننا ويصفوننا.

تصبّرت في دار المهُونة على الجفا

وقلّلت منها يوم شفت العجايب

كثْرتْ مصايبهم وقلّت نفوعهم

وكثروا اهل النمّات بين القرايب «١»

لا صار عيب الدار فيها من اهلها

عيب الرفاقة من كبار المصايب

* * * *

وان عشت لابدّي براي ومشورة

فكاك عقد معيوجين الطلايب «٢»

ولي بين حرف السين والفا ذخيرة

لها شربه احلا من سليل الذوايب

شربنا حلاها بعد هامجْ مرارها

كسبنا كسايبها نهار الكسايب

* * * *

ويا موصلاً شكْواي اخُوي ابن والدي

ترى خاطري عندك ولو كنت غايب

أراعيك ما اصْبر عنك لو فرْد ساعة

وذكْرك يفسّح لي جميع الكرايب

عسى الله بعد الياس لا يقطع الرجا

عسى الرجا فيكم حباله قضايب

انا قبلكم ناوي بمنزاح ديره

مساهيجها ترْدي جياد النجايب «٣»

١ – النمات : النمائم جمع نميمة. ٢ – معيوجين : من الاعوجاج. الطلائب : القضايا والمشكلات.
٣ – مساهيجها : متاهاتها.

أنا اوصيك دارك لا تهنَّا بنومها

الاَيْقعْ بمزعزعات الهبايب «١»

ومال كما عداً نهيلاً لوارده

يوَرِّدْ حبالك في جميع النوايب

أو ربْع مثل السيف في كف ناقله

يميلون ميلاتك بخاطي وصايب

وان كان لا هذي ولا ذي ولا الذي

توسَّلْ على طَلْق الذراعين شايب «٢»

يعينك على البَيْدا وتبْعد عن العداء

يجُوب الخلا جَوْب الفريد المرايب «٣»

ودير الفلك واسْتَطْلع الوقت بالسَّعَد

وخلِّه ليامًا انه ببِرْجُه يطايب

واختم كلامي بالصلاة على النبي

عددْ ما طلع نجم وما قيل غايب

وما هبَّت الغَرْبى وما هبَّت الصُّبا

وما هبَّت رياح الشَّمل والأزايب

* * * *

ومن الذين تعرضوا لجور القبيلة والجماعة فتى من «الاحامدة» فقد والديه واصبح تحت وصاية أعمامه، وكان الاستبداد من الصور التي كانت تسود الحياة الاجتماعية في الماضي وكثيراً ما يظهر هذا الاستبداد في المواريث، حيث يستأثر عميد الأسرة بالتصرف والهيمنة الفردية على من هم أقل سناً أو النسوة في

---

١ - يقع : إذا كان، إذا وقع لك وامتلكت. مزعزعات : البارود والبنادق الضاربة.
٢ - طلق الذراعين : سريع العدو من الخيل والابل.
٣ - الفريد : الحوار المفرود والمبعد عن أمه من الابل. المرايب : المرتاب أو الخائف

الأسرة ويستبد ويسلبهم حقوقهم ويظل المحرومون من اعطائهم حقوقهم يعانون من هذا الجور الاجتماعي ويرزحون تحت هذا التسلط تحت طائلة القصارة واحترام العميد، أو انهم يضطرون للانتقام، ومن ذلك ما روي عن هذا الفتى الذي طالب أعمامه باعطائه نصيبه من تركة أبيه، فتجاهلوا طلبه، وربما تلفظوا بما يثير حفيظته، وكان هذا الشاب أعزباً، وأمثاله يقضون ليلهم في مجلس الرجال بعد ان يأوى الآخرون إلى دورهم.

وفي احدى الليالي الصيفية في وهدة من وهاد «الفقرة» بقي الفتى وحيداً في المجلس فأخذ الربابة وتغنى بهذين البيتين الحربيين :

يا الدار بعتك بيع من لا له هوى	في جيرة الله يا ديار المستحين
ما نشتري دهم الفرنجي بالغلا	إلا لمن قلبه علينا ما يلين

لم يكن الشاب الوحيد الذي لم ينم تلك الليلة، فقد ايقظ صوت الربابة امرأة في الحي، ورابها شعر الفتى واوجست خيفة، فبادرت إلى زوجها لتخبره عن مشاعرها ولكنه كان نائماً فانتظرت قيامه لأداء صلاة الفجر، وبعد ان أدى الصلاة قالت له : أدرك الفتى انه يريد قتل أحد أعمامه.

تفقد الرجل المجلس فلم يجد الفتى فاقتفى أثره ولكنه لم يدركه، وقبل ان يصل الرجل إلى أعمام الفتى لينذرهم سبق السيف العذل، فدوت طلقة بندقية الفتى لتوقظ ذلك الصباح الندي، ويغذ الرجل خطوه نحو الصوت فلم يجد الفتى ووجد عمه الأكبر جثة هامدة.

لقد فر الفتى بعدها ولم يعثر له على أثر، وبعد حقبة طويلة من الزمن تناقل الناس خبر لجوء فتى من الأحامدة إلى قبيلة «بلي» وان الأحامدة الموجودين في قبيلة «بلي» اليوم ربما كانوا من سلالة هذا الفتى الذي لا يعرف متى غادر دياره.

* * * *



محمد بن عاتق السلمي

ومن الذين كبر أملهم في ابن عمه وتطلع إلى النجدة منه، وفاخر بمواقف رجال قبيلته رجل يدعى «محمد بن عاتق العكلي السلمي» من قرية «مهايع» وهو من فرع يقال له «قريش» ويبدو ان جذوره من «قريش» كما يظهر من شعره، ولكن جدوده أقاموا بين سليم حتى اندمجوا فيهم فاصبحوا فرعاً من سليم، وهذا الرجل سجن في رقبة، ثم حكم عليه بدفع الدية ولضيق ذات اليد لم يستطع السداد فظل في السجن حتى نظم الأبيات التالية :

يقول «ابن عاتق» انا من قَرَيْش اللى عصاتي
أوّل عصاة العرب وايضاً دليل المهتدين
هذي ثمانين عام اليوم من مدّة حياتي
ماش زمانين من طَرْد العرب متريحين
هذي يسدّونها ربعي وذي مَنْوخات
نَوْج ندوّر عزيب ونَوْجْ حنا مدوّرين «١»
«قَرَيْش» مثل المراكب في البحور المغرقات
الموج حايم عليهم من يسار ومن يمين
تنصى «عطية الله العكلي» وورّدْ له رصاتي
وقل له : عَلاَمَكْ علامك ما تسد المرهنين «٢»
قدّام يلْحَقْ ولد عمك ويلحقك الفُوات
المال ما حطّه الله غير دون الاقربين «٣»
سُوَاة «عوّاض بن قايد» زَبُون المجمهات
اللى يُفكّ الرِّقاب الحُمْر بالكيس الرزين «٤»

١ - نوج : يوم لنا ويوم علينا. ٢ - تنصى : مباشرة. علامك : علام انت وماذا بك، ولماذا.
٣ - يلحق : يموت ويلحق بالسابقين. الفوات : فوات فرصة الفوز بالنجدة وعمل الواجب.
٤ - سواة : مثل، زبون : صاحب. المجهمات : القضايا الصعبة. يفك : ينقذ.

وقد بادر «عطية» بدفع الدية وانقاذ ابن عمه.

ويقول ايضاً :

يقول «ابن عاتق العكلي» هجوسي من هجوسي

لا واحسُوسي حسوسي يا مجَرُبة الحسوس

أحِس راسي يجَوّدني وتوجعني ضروسي

وحاكم عليه صداع الراس تقليع الضروس

وذلك انه قتل ابن اخيه، فقام اخو الذبيح بقتل ابن الشاعر، فتضاعفت المشكلة في تفكيره، وهكذا تكون الحياة جحيماً عندما تهون الارواح جهلا وحماقة وحمية جاهلية، وعندما تسود الفوضى، ويضعف الوازع الدينى، وتغيب العدالة.

* * * *



عواد بن مرشد الأحمدي

يعد الشاعر عواد بن مرشد بن عويمر الصميدي من فتيان الاحامدة المعروفين بالشجاعة والاقدام، وكثير ما دفعه اقدامه إلى المغامرة والتوغل في ديار الأعداء بهدف السلب والنهب، وفي احدى مغامراته في ديار جهينة أشرف ذات يوم ورفاقه على واد من أودية «ذوريت» فإذا قطعان الماشية تتناثر على سفوح الجبل ومنعطفات الوادي.

أخذ الشاعر ورفاقه يتربصون بأحد تلك القطعان متخذين من النباتات وقاية تحجب عنهم الانظار، وبينما هم يتأهبون للانقضاض على أقرب القطعان إليهم إذ يتناهى إلى آذانهم نداءات التحذير «غريسة.. غريسة» تنبعث هذه النداءات من مرتفعات الوادي محذرة «غريسة» من الغزاة الذين يتربصون بقطيعها للاستيلاء عليه والانطلاق به نحو ديارهم التي لا تبعد عن هذا الموقع أكثر من مسيرة يومين.

وتم للغزاة ما أرادوا فاستاقوا الأغنام واصطحبوا الراعية التي لم تفطن مبكراً إلى نداءات التحذير، حتى أحاط بها الغزاة وأسروها، وهم أيضاً لم يتنبهوا إلى ان الرعاة الآخرين سينذرون الحي فتجد النجدة في طلب الغزاة.

كانت الفتاة مستسلمة واثقة وحيِيَّة، لم تقاوم فهي تعلم انها آمنة من تعدي الغزاة عليها، لما ينال المتعدي منهم من العقاب الصارم الذي يشهده الحيان من جهينة وحرب، والذي لن يكون دون الموت رجماً بالحجارة، وتعلم أيضاً ان الغزاة لم يصطحبوها لغير هدف تأخير انذار الحي بالحادثة وانهم متى بلغوا مأمنهم أعادوا الفتاة إلى ديارها سالمة.

وخلاف ما تعود الغزاة من اسراع للنجاة بالسلب كان الشاعر وهو عقيدهم وزعيمهم متباطئاً كأنما يساوره ندم على الحادثة، وسرعان ما يحادث رفاقه في التخلي عن هذا السلب، ومبرره في ذلك انه أعجب بالفتاة فامتلكت فؤاده وأراد خطبتها من أهلها، ولا يتفق ان يسلبها القطيع ثم يتقدم لخطبتها، ولكن رفاقه

سخروا من مطلبه، فخضع لرغبتهم، وواصلوا سيرهم، حتى إذا ما اقتربوا من ديارهم استيقظ الفجر على جلبة النجدة تدركهم، وشهد شروق الشمس تبادل اطلاق النار بين الجانبين، ولكن ذلك لم يطل لسببين (الأول) غزاة اسر زعيمهم الحب وسلبه ارادة الدفاع عن السلب ومقاتلة النجدة. (الثاني) نجدة قليلة العدد لن يستطيعوا استعادة السلب بالقوة، وتأزم الموقف ولكن الفتاة قدمت مبادرة بأن تنازلت عن الأغنام التي تخصها واستبقت الأغنام التي لذويها وجيرانها وأبت ان تقبل تنازل الغزاة عن كل الأغنام وكان من حق الفتاة ان تستبقي من القطيع المسلوب ما تقدر على امساكه بيديها، هكذا كان العرف.

وهكذا ينفض اللقاء فينصرف الغزاة بما وهبت الفتاة لهم وتعود النجدة بالفتاة وما بقي من القطيع، ولكن الشاعر لم يطو الحادثة في ملف النسيان وانما أنشأ قصيدة يصور فيها الحادثة ومشاعره تجاه الفتاة ومنها الأبيات التالية:

شَغَلْ قلبي اللي ما سكَنْ قُرْب دارنا ... ولا اهلَه مشَواْ فيها ولا يعرفونها

غزال سكن «ذَوْريت» في ديرة العدا ... وروحه عن الزلّات قادر يصونها «١»

لزِمْتُه، ولزِماني لزَوْله على النَّقَا ... بصبْيان ودَي فرقْته ياخذونها «٢»

كثر خوفها منا ولا نسيتْ الحيا ... تضفَي على الروح المشومة ردونها «٣»

وقالت: دخيلة كان ينْجيني الحما ... عن البوْق والذَّرعان لا تكتفونها

وقلت: انا ما اطْلقْك بافايق الظبي ... اخاف ربْعك غلْمتي يلحقونها «٤»

وسَرينا وهم ساروا يحدُون في السرى ... شريق الضحى قامت تكاشف جُرونها «٥»

ترزِم على «ذوريت» في المرقب العلا ... من «مَرخ» يسمع في معالي فنونها «٦»

١ - ذوريت: جبل كبير من جبال رضوى وتلحق به اودية وشعاب.
٢ - لزمته: امسكت به. النقا: الطهر والعفاف. صبيان: شباب وفتيان.
٣ - المشومة: المضناة   ٤ - غلمتي: فتياني ورفاقي.
٥ - سرينا: السير ليلاً. تكاشف: تشتعل كالبرق. جرونها: جمع جرن وهو نتوء في مؤخرة البندقية ذات الفتيل يتصل بداخلها عبر ثقب صغير ويوضع في الجرن بارود ناعم حتى إذا ما اتصلت به شعلة الفتيل فجر من خلا الثقب ذخيرة البندقية ويسمي بعضهم الجرن عينا.
٦ - ترزم: تدوي. مرخ: وادي بين جبل رضوى والبحر قال الحطيئة:

ماذا تقول لا فراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ومنا غـدا المرمـول في عـالي السـمـا	يشـادي لربّان مـغطّى مـزونهـا «١»
ونادوا بجـاه الله عن الظلم والطّغى	وحنا تقنّعنا وعـفنا فنونهـا «٢»
نجـازي هل المحمـول بالزين والثّنا	عسى طلبتي لا جاتهم يقبلونها «٣»
سـميّة مليح الغـرس في عـالي الشـفا	يريدون فيـهـا السّلم وانا زبونهـا «٤»
تمنيـتـهـا بالحل ونقّـدم الغـلا	وضلعانهم غزواننا ما يجونها «٥»

* * * *

وعـاد الشـاعـر إلى التـجـول في ديار جـهـينـة وبالتـحـديد في قـمـة جـبل يدعى «حميطة» تجاه جبل «ذوريت» في ديار جهينة وإذا به يحاط برجال منهم، فما كان منه وقد داهمه الخطر إلا ان يصيح «مرزوق»، وإذا بهم يتريثون في الاقتراب منه ويحرفون سلاحهم الموجه إليه جانباً، ظناً منهم بأنه من جهينة، فكلمة «مرزوق» رمز اعتزاز وانتماء لقبيلة جهينة. أو هو «شفرة» يتعارفون بها عند الملمات، وكانت «حيلة» من الشاعر الذي أخذ يرقص ويطلق النار في الهواء موهما الجماعة بأنه يظنهم من قبيلة حرب حتى تمكن من الفرار وهم يحاولون ان يدخلوا إليه الطمأنينة بأنه يجمعهم وإياه كلمة «مرزوق» ولكنه آثر الفرار خشية انكشاف امره.. وما ان كتبت له النجاة حتى تغنى بقصيدة من أبياتها قوله :

يا «عيد» بادي براس «حميطة» من ع «ذوريت»
أخيل مسكانكم والبعد ناحيكم عليه «٦»
ما عندي الا الطيور التي تخاوي فوقها الريش
والا هبوب الرياح اللى تجي مع كل نيّة

---

١ -غدا : صار. يشادي : مثل. ربان : سحاب ابيض. مزون : سحاب.
٢ - تقنعنا : من القناعة. عفنا : كرهنا الشيء ترفعاً. فنونها : الكسب المغتصب.
٣ - المحمول الجميل. طلبتي : خطبتي.
٤ - سمية : المشاركة في الاسم (غريسة، غرس). الشفاء : قمة الجبل. السلم : النقد. زبون : راغب.
٥ - ضلعان : جبال. غزوان : غزاة.
٦ - حميطة : جبل. ذوريت : جبل.

أثنِي على «السيف» و«البندق» وزينات التطاريف

خويّتي في الخلا يوم العدا صالوا عليه «١»

أدْرَجْـتـهـا في يميني ثم لَجُـيْت الغطاريف

العمر ناسيه واطلب خالقي يفْزَعْ عليه «٢»

ثم اعـتـزِي بالذي في داركم وانا بذوريت

من غير لازم، إذا شفت العدا تَطْرِى عليه «٣»

* * * *

١ - التطاريف : أو المطارف وهي أنابيب دون الشبر تنتظم في قلاة تسمى «المذخر أو المضخر» يتقلدها الرماة ومفردها مطرفة تملأ باروداً بمقدار الطلقة الواحدة وفي قاع المطرفة توضع رصاصة واحدة ليكون في مقدمة حشوة البندقية ان كانت الطلقات للقتال أو الصيد أما إذا كانت للاحتفال فلا يوضع في المطرفة سوى البارود، وتستخدم المطارف لسرعة الطلقات المتتالية، واحدى هذه المطارف يسمى القرن فهو يشبه القرن يوضع بها بارود ناعم لتغذية جرن البندقية، ويسمى بعضهم الجرن عينا.

٢ - ادرجتها : حركتها وقلبتها. لجيت : رفعت الصوت. ٣ - الذي في داركم : يعني اخته.

محمد بن حمود الحيدري

هو أحد شعراء «ينبع» ولقد عاش عقيماً وبذل ما يستحيل على غيره بذله بحثاً عن الذرية، فالتمس ذلك في الوصفات الشعبية لدى أطباء القرى، وذهب إلى المدن لعل لدى اطبائها نصحاً وعلاجاً، ولما أعياه السؤال عمد إلى النعناع يدقه ويعجنه ثم يضعه على ظهره فلعل ذلك يزيل العقم، ولكن النعناع سبب له تورماً وجروحاً اقعدته حيناً ثم شفي ولما يزل عقيماً حتى مات عام ١٣٨٩ .

وهو شاعر مقل لاسيما في القصائد، وله مكانة كبيرة بين شعراء الكسرة في المنطقة. وفيما يلي قصيدته المشهورة التي جسد فيها معاناته، وطرح فيها تجربته والقيم الاجتماعية التي يوصي بالمحافظة عليها.

يوم المقـــدَّر والمقــاســـيم خلَّنْ ... قلبي تورَّى مـا حـسب للتـوالي «١»

أراد ربـي ثـم الايـدَّيـن حـطَّـن ... رقـيب فَـرْعى ينتظر كـيف حـالي «٢»

حطَّيْت في نفـسي دُوَا خـار لَجْلنْ ... جـروح جَـتْني واسـهـرتني ليـالي «٣»

أفـسَّـر المعنى عن الناس لا تظُن ... أخـاف من تقليب هرج السـفـالي «٤»

يارب تشـفـيني ويا خـالقي حِن ... مـالي سـواك ارجـيـه يارب مـالي

طال الأسى فـيِّـه والأمـوال ضـاعن ... والمال عند الروح بالحـيْل غـالي «٥»

ناشي بليَّـا مـال مَـرْفُـوت لو ان ... يقطع مع الحـدِّين حـده سـلالي «٦»

لا راح يخطب في الخـراعـيب عـيَّن ... من اجل مـاله مـال، ومَـراح خـالي «٧»

يا ناس لولا شَـرحْ فـيـهن يكَبِّن ... يجـاز ولا خَـمَّنْت عنهن يسـالي «٨»

لكنهن يا مـا شـيـاهين جـابنْ ... ياتي الفـتى مـابين أبٍ وخـالي «٩»

١ - المقاسيم : المقادير أو الأقدار. تورى : تصرف برأيه. ٢ - فرعى : فوقي.
٣ - لجلن : لأجل إن. جتني : جاءتني. ٤ - تقليب : تحوير.
٥ - بالحيل : للغاية.
٦ - ناشي : شاب. مرفوت : مرفوض. سلالي : مثل حد السيف.
٧ - الخراعيب : الفتيات ذوات الطول والجمال والكمال الصحي. عين : ابين وامتنعن. مراح : موطن الابل والاغنام الذي تأوي إليه ليلاً.
٨ - شرح : نوع وشيء. يكبن : يتركن. يجاز : يصطبر. خمنت : ظننت.
٩ - شياهين : صقور كناية عن الفتيان. جابن : الجبن.

وبعض النشامى يستحق مال ومكن   والبعض عفش ولا به حساب تالي «١»
بهبوه ميت قلب ويدين يومن   وليا ملا بطنه طراه الظلال «٢»
العفش عفش ويافع العفش في مكن   صيده من الحملا ودود الدحالي «٣»
والذيب لو هو جاع ليلين لكن   يجيبهن دسمات من فج خالي
عسى المنايا يوم ياتن يشيلن   كما الذي وصفت في اوسط سوالي
عسى الليالي بالكريمين يبطن   مرباع للخطار والسعر غالي
ان اقبلن نكف هفاهيف يشدن   جول الظبي ومن الصطر في جفالي «٤»
رحب باهلهن حيث للبيت وصلن   قلط لهم ذاك الصحن والخيالي «٥»
في لبسهن يازين يوم ان يقفن   انا اشهد ان الجيش شوق العيال
وقت العشا وان صاح مضيوم فزعن   وضحي لحقن ينظرن في الجلال «٦»
عطوا بهن مجنب وبغن يخطمن   فكوا حلايبهم على علم غال «٧»
وان طول المفزاع قامن يزيدن   لولا الرسن ما ثاب خطف الغزال «٨»

* * * *

ونكمل المعنى فناجيل مع بن   جرز غرانيق وصف الدلال «٩»
صوغ الذي اسمه مرقم عليهن   «ابراهيم» ذاك اللى عليهن يلالي «١٠»
اخذت من بعض المعاني وبقن   واخرتهن للآن في الشرح تالي
ولا أوصي ثم احذر ولكن   ما ضمهن بعض العرب قيس بالي «١١»

---

١ - النشامى : خيار الشباب. مكن : مراكز في المجتمع. عفش : قليل النفع وخامل.
٢ - بهبوه ؟: خالي البال لا وزن له بين الرجال. يومن : من الايماء أي يتحركن عفويا وبدون هدف.
٣ - يافع : يقع. مكن : اماكن. الحملاء : قملة منتفخة البطن بطيئة الحركة. الدحالي : الغيران.
٤ - يشدن : مثل. نكف : عائدات. الصطر : الحيوية والنشوة. جفالي : تبختر في الجري.
٥ - قلط : قدم. الخيال : الكبش.   ٦ - مضيوم : الحق به الضيم. فزعن : اسرعن للنجدة. ضحي تصغير ضحى.
٧ - عطوا : أخذوا وسلكوا. مجنب : طريق مجانب. يبغن : يردن. يخطمن : يعترضن. فكوا : انقذوا واستعادوا. حلايبهم : مواشيهم. علم غالي : بنزاهة وشجاعة.
٨ - المفزاع : مطلب النجدة. قامن يزيدن : أسرعن. الرسن : المقود. ثاب : نفع. خطف الغزال : حبل به خطاف يحد من سرعة الذلول ومتعلق بالرسن.
٩ - المعنى : الكيف. فناجيل : فناجين. ١٠ - صوغ : صياغة. مرقم : مكتوب. يلالي : يلمع. ابرهيم : صانع الدلال
١١ - قيس : ظن.

راع العقل يصحى لهن حيث يدن ... خفيفات في اولهن ثقيلات تالي (١)
لا تخلفون الدين لا تستمع لن ... قاموا بها بعض الهيوت الجهالي (٢)
لا تامن المقهوم يلحق ويمكن ... خايف من المخلوق هان الجلال (٣)
وربي حمدته قال قوله لعن من ... من هو حلف واللي محلف وقالي
والمستمع فيهن ورجليه وقفن ... كثر الاثم معبى لهم يوم يالي (٤)
والله يامن هو شهد زور بالظن ... لو هو في نعمة بدها للزوال (٥)
واللي معه بعض الشهادات ويكن ... ما عدها باللي سمع بالكمال
هذي ثلاث اللي لك الله يمحن ... بعض القبائل يا سمي ما تسال (٦)
مثل الصبخ دايم خسارة على من ... طش الذرا ثم انتظر للحقال (٧)
وبيت جارك لا تبي فيه مخدن ... قن الجوار الطيب وايضا الكمال (٨)
وفي الدرب أصح الظلم واللي يحطن ... شيمة فتى من عقب ما هو خيال
قوم انتظر بالظلم قريات خربن ... تهدمت واليوم أمست هيال
ذا قول ابو حيدر سمع فيه كلن ... قاله على اتم العقل والنوال
وكم قبلنا قالوا من القيل واحسن ... من قولنا واخير منا مثال
واختم كلامي بالصلاة على من ... خير الرسل ان كان أول وتالي
اعداد ما يفرد من القود ويحن ... في ارض اليمن والغرب واقصى الشمال (٩)

في القصيدة معاناة عميقة، وامتثال للقضاء والقدر وشكوى إلى الله ان يرفع الفقر، وفيها تصوير لمأساة الشاعر وآلامه وقلقه وتضجره، ثم يتطرق لبعض القيم والمعايير الاجتماعية التالية :

١ - يصحى : ينتبه ويلاحظ. يدن : يظهرن.
٢ - لن : إذا إن. الهيوت : غير ذوي الحكمة والعقل.
٣ - المقهوم : المغرور أو المقهور.
٤ - معبى : مجهز ومعد.
٥ - بدها : لا بده.
٦ - ياسمي : يافلان. وسمي حسن اسمه حسن.
٧ - الصبخ : السبخة، ارض بحرية مالحة لاتصلح للزراعة. طش : القى. الذراء : البذور. الحقال : النبت.
٨ - تبي : تريد. مخدن : مكان فساد. قن : قانون.
٩ - يفرد : يفصل. القود : الابل التي تقود القافله وتقطر فيها. يحن : من الحنين.

١ - المال، فالشاعر يتألم لعدم وجود من يرعى ماله حيث ان الشاعر عقيم، والناس يعيّرون من يهمل ماله، ولن يصل الاخوة أو الاقارب إلى الدرجة التي للولد في الحفاظ على المال، ثم انه يوطد العلاقة بين الرجولة والمال، فمن ليس له مال مرغوب عنه مهما يبدع من عمل، ثم يؤكد قول الشاعر في النساء :

يـردن ثـراء المـال حـيـث علـمنـه وشـرخ الشـبـاب عندهن عـجـيـب

يؤكده بقوله :

وان راح يخطب الخـراعـيـب عـيّـن من اجل مـالـه مـال ومـراح خـالي

٢ - والمرأة ذات مكانة هامة لأنها تنجب الفتيان الشجعان فالنسب في الأب والخال ولذلك فهم يقولون في مدح جيد الرجال : «فلان أبوه جود خاله» أي انه اختار نسباً ممتازاً وخالا لأبنائه شهماً فالعرق دساس.

٣ - النشء في نظره يجب ان يترفعوا عن دنايا الأمور، وهو يقارن بين الشاب المثالي والشاب الخامل كما يقارن بين الذيب والجدي.

٤ - الكرم عنده حسن استقبال وتكريم بالقهوة وذبح الخراف وهو للوافدين من عابري السبيل وضيوف الحي.

٥ - وصف المطايا سرعتهن في النجدة وما تحلى به من نقوش وألوان زاهية فيما يعلق عليها.

٦ - أواني القهوة ونظافتها وحسن صياغتها. دلالة تمدن وتحضر الشاعر.

٧ - المعتقدات الدينية كاليمين، وشهادة الزور وما يلحق بمن يحيد عن درب الحق.

٨ - العادات والتقاليد في حق الجوار وقطع الطريق وما يجلبه ذلك من خراب القرى.

* * * *

ومن قوله في الغزل :

لو الهـوى ينتـعـازى فـيـه لـقلـت للـنـاس عَـزّوني (١)

١ - ينتعازى : يعزى.

مـــا عـــــاد اقـــبْل على واديه   لجْـلُه مع العـــــال والـدون «١»

وقد اقترح عليه الراوية ، ان يكون عجز البيت الثاني من الكسرة :

«زادت فنونه على فنوني» فاعتمد ذلك .

ومن قوله أيضاً :

لا تأمن البــيض لو ضــحْكن   عــاداتهن خــائنات عــهــود

كم اضــحكن منْ كم أبكن   كم قـتْلن بالعـيـون السـود

وفي رحلة من رحلاته لزيارة صديق له «من الأحامدة» ينزل في وادي «رحقان» وبينما كانا يتسامران قال الأحمدي يصف نساء «رحقان» :

لك خــدْ لك قــدْ لك ترتيب   لك هدْبْ لا اسْــهــيْت به حكمــة

يااللي روايحْك مــسك وطيب   لك يا الغــضي عندمــا حــشــمــة

وكان يريد بذلك ان يثير شاعرية صديقه الحيدري ، ولكن الحيدري تأنى خشية ان يغضب صاحبه أن يشبب بنساء الحي ، فالاحمدي تغزل في بنات قومه مشيداً بجمالهن وكمالهن والحيدري قبل ان يودع الحي ترك بيتين من الشعر تحت وسادته وجدها الاحمدي بعد سفر الحيدري وإذا بها تأييد لما قاله الاحمدي إذ يقول فيهما :

من الضــبط للعنيْق لبــا   إلى المعــيْــرج إلى بهْــمــان

لبْس الاهالي لهم يهْــيــا   يدلْهــون الذي حــزنان

في البيت الأول حدد منطقة صديقه وفي الثاني أشاد بزيهم وانهم يذهبون الحزن .

* * * *

والتقى الشاعر بصديقه (الراوية) وبدأ كسرة وتوقف عند عجز البيت الثاني منها فأكمله (الراوية) ومضيا يبدأ الحيدري البيت و(الراوية) ومضيا يبدأ الحيدري البيت و(الراوية) يتم فجاءت هذه الكسرة :

١ - ما عاد : ماعدت . اقْبل : اقْبل . لجله : لأجل انه . العال : ذو المركز الرفيع . الدون : أقل الناس مكانة .

اخـــاف يـاســيـــدي انـك تـرد لـي بـالجـــفــا ثـانـي
تـخـــيـل ويمـيـل بـك فـنـك واسـيـر بعـدين خـسـران
مـا امـنـك لـو هـو ضـحـك سـنـك عطـنـي عـهـد صـدق وامـان
حـتـى عـيـوني يـشـوفـنـك وابـغـاك واحـد مـن اخـواني

* * * *

وفي الافراح التي تقام في قرية الشاعر تقابل شاعرنا الحيدري مع آخر مشهور وهو الشاعر «أبو حمرون» فقال الحيدري يسأله عن الهوى :

ابـغـى اسْـألكْ يـا مـعـلـم طـبْ أفـيـدني بـالعـجـل ذا الوان «١»
هـو الهـوى مـن أسـاكـل حـب والا مـنـزّل مـع الـقـرآن؟

فأجابه ابو حمرون :

أفـيـدكم قـدرمـا يـاجـبْ هـاتف مـسـلط عـلى العـريـان «٢»
والكل فـيـمـا اعـجـبـه يطرب عـلى كـذا تـعـمـر الأكـوان

* * * *

وفي يوم من الأيام رفع الشاعر المعروف في ينبع «الجيدير» شكوى إلى صديقه الحيدري يقول فيها :

يـامـحـمـد الـود حـاربـني اليـوم سـوى مـعـي مَنْدَر «٣»
حـدْرت ولْـيـاه لاحـقـنـي نـهـار صـبْـحـت في البـنـدر «٤»

فأجابه الحيدري قائلاً :

تشكي عَلَيْ ضَـدْى خـانقـني هو عـاد وانـا كـمـا اسْكَنْدر
قـبـل امْس بـالحَـيْـل عـذْبـني حـمـدت مـولاي مـاقـدّر

* * * *

١ - ذا الوان : هذا الآن.
٢ - ذا اللون : هذا اللون. ٣ - مندر : قضية مفاجئة.
٤ - حدرت : ذهبت من علو إلى منخفض.

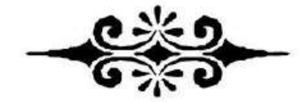
وشغلت الكسرة لخفتها ورقتها شعراءها عن أن يأتوا بالقصائد الطويلة فسهولة تناقل الكسرة، واستخلاصها لمعان عميقة وبعيدة في عبارات قصيرة جعلها تحتل مساحة كبيرة من اهتمام الشعراء.

* * * *

وأخيراً يقول الشاعر الحيدري :

أنا ان طلبني سـيـدي جـيت في ايديه	أصْخي معه واجود له من ماجودي «١»
وإلى متى مانجـود لي يا الغضي ليـه	من المودة مت في طرف عـــودي «٢»
السـد عندي في صاديق مـا يَلْيَـه	مـاني من اللي يبـيْحـون السـدود «٣»
وان كان انا في كتابكم «هاوحيّيـه»	أدني وهيـا نقـيـم حـد العـهـود «٤»
هرجى لفى عندك وبالله تلْبِـيـه	واقـول لزمـاً من تسنّع ردود «٥»
وان كان ما ناسب خذي قُوزْ واحـثَيْـه	اقـنـع ولا رجلي عليكم ترود «٦»





١ - أصخى : أسخى. جيت في ايديه : أطعته.
٢ - الغضى : الحبيب الرقيق.
٣ - السد : السر. مايليه : محفوظ. يبيحون : يفضحون.
٤ - هاوحيه : ترحيب فقط ومجاملات زائفة.
٥ - تلبيه : تفهمينه. تسنع : صناعة وتدبير.
٦ - قوز : رمل. احثيه : القيه وارميه. ترود : ترتاد.

المراجع

- الامام أبي زكريا يحيى بن شرف النووى - رياض الصالحين - الطبعة التاسعة ١٤٠٧ / ١٩٨٧، المكتبة الامدادية مكة المكرمة.
- أيوب صبري باشا - مرآة جزيرة العرب - الجزء الثانى - ترجمة الدكتور أحمد فؤاد متولي وآخر - الطبعة الأولى - دار الرياض للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
- حمد بن أحمد حميدان الهلالي - ظلال الجبال - الطبعة الأولى - مطبعة السلم - المدينة المنورة - ١٤١٧هـ.
- عبد الله بن الحسين - مذكراتي - الطبعة الأولى - الأهلية للنشر والتوزيع - عمان - الاردن - ١٤٠٩ / ١٩٨٩.
- محمد ناصر الدين الألباني - صحيح سنن ابن ماجه - الجزء الأول - الطبعة الثانية ١٤٠٨ / ١٩٨٧، مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض.